الــصــحــيــح

من سيرة الإمام علي عليه السلام

أو

(المرتضى من سيرة المرتضى)

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ. ـ ٢٠٠٩م.

المركز الإسلامي للدراسات

الــصــحــيــح

من سيرة الإمام علي عليه السلام

(المرتضى من سيرة المرتضى)

السيد جعفر مرتضى العاملي

الجزء الخامس

المركز الإسلامي للدراسات

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الرابع:

قتل مرحب..

علوتم، والذي أنزل التوراة:

تقدم: أن اليهودي لما سمع باسم علي «عليه السلام» قال: علوتم، والذي أنزل التوراة على موسى.

ونقول:

ألف: إن أبا نعيم قال: «فيه دلالة على أن فتح علي لحصنهم مقدم في كتبهم، بتوجيه من الله وجهه إليهم، ويكون فتح الله تعالى على يديه».

وهي التفاتة جليلة من أبي نعيم، ويؤيدها:

أولاً: ما روي من أنه «صلى الله عليه وآله» قال لعلي «عليه السلام»: خذ الراية، وامض بها فجبرئيل معك، والنصر أمامك، والرعب مبثوث في قلوب القوم..

واعلم يا علي، أنهم يجدون في كتابهم: أن الذي يدمر عليهم اسمه (إيليا)، فإذا لقيتهم فقل: أنا علي.

فإنهم يُخذلون إن شاء الله تعالى الخ..[١].

(١) بحار الأنوار ج٢١ ص١٥ عن الإرشاد للمفيد ج١ ص١٢٦ وراجع: كتاب الأربعين للماحوزي ص٢٩٥ وكشف الغمة للإربلي ج١ ص٢١٣.

ثانياً: إن مرحباً نفسه قد هرب لما سمع باسم علي «عليه السلام»، وكانت ظئره قد أخبرته: بأن اسم قاتله حيدرة، وذلك يدل على أنها قد أخذت ذلك من أحبارهم، الذين كانوا يخبرون عما يجدونه في كتبهم..

أما ما زعموه، من أنها قالت له ذلك: لأنها كانت تتعاطى الكهانة.

فهو مردود:

بأن تعاطيها الكهانة لا يعطيها القدرة على معرفة الغيب الإلهي، فإنه تعالى وحده ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً، إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ..**﴾[1].

ويشهد لما قلناه من أنهم يجدون ذكر ما يجري عليهم في كتبهم: أننا وجدنا في جملة الأقوال في تسمية علي «عليه السلام» بحيدرة: أن اسمه في الكتب المتقدمة أسد، والأسد هو الحيدرة..

وتقدم وسيأتي أيضاً بعض الحديث عن ذلك، تحت عنوان: «من سمى علياً «عليه السلام» بحيدرة» إن شاء الله تعالى.

ب: لعل هناك من يريد اعتبار قول اليهودي: علوتم (أو غلبتم) والذي أنزل التوراة على موسى، قد جاء على سبيل التفؤل بالاسم..

ونحن وإن كنا لا نصر على بطلان هذا الاحتمال، باعتبار أن الذين يشتد تعلقهم بالدنيا يتشبثون ولو بالطحلب، ويخافون حتى من هبوب الرياح، ويتشاءمون ويتفاءلون بالخيالات والأشباح..

غير أننا نقول:

---

(١) الآيتان ٢٦ و ٢٧ من سورة الجن.

إنه مع وجود الشواهد والمؤيدات لما ذكره أبو نعيم، لا يبقى مجال لترجيح هذا الإحتمال..

ونزيد هنا: أن ما أكد لهم صحة ما ورد في كتبهم، هو ما تناهى إلى مسامعهم من مواقف علي «عليه السلام» التي تظهر أنه أهل لما أهَّله الله تعالى له، كما دلت عليه معالي أموره في المواقع المختلفة في الحرب، وفي السلم على حد سواء.

ومن ذلك مبيته «عليه السلام» على فراش النبي «صلى الله عليه وآله» ليلة الهجرة، وجهاده في بدر، وأحد، والخندق، وقريظة، والنضير، و.. و.. الخ..

قتل علي عليه السلام مرحباً والفرسان الثمانية:

قالوا: ثم خرج أهل الحصن إلى ساحة القتال..

أما رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فإنه لما أصبح أرسل إلى علي «عليه السلام» وهو أرمد، فتفل في عينيه.

قال علي «عليه السلام»: فما رمدت حتى الساعة. ودعا له، ومن معه من أصحابه بالنصر.

فكان أول من خرج إليهم الحارث أبو زينب، أخو مرحب في عادية (أي ممن يعدون للقتال على أرجلهم) ـ قال الحلبي: وكان معروفاً بالشجاعة ـ فانكشف المسلمون، وثبت علي «عليه السلام»، فاضطربا ضربات، فقتله علي «عليه السلام».

ورجع أصحاب الحارث إلى الحصن، وأغلقوا عليهم، ورجع المسلمون

إلى موضعهم..

وخرج مرحب وهو يقول:

قد علمت خيبر أني مرحب الخ..

فحمل عليه علي «عليه السلام» فقطَّره (أي ألقاه على أحد قطريه، أي جانبيه) على الباب، وفتح الباب، وكان للحصن بابان(١).

ورجع أصحاب الحارث إلى الحصن، وبرز عامر، وكان رجلاً جسيماً طويلاً، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله» حين برز وطلع عامر: «أترونه خمسة أذرع»؟ وهو يدعو إلى البراز.

فخرج إليه علي بن أبي طالب «عليه السلام»، فضربه ضربات، كل ذلك لا يصنع شيئاً، حتى ضرب ساقيه فبرك، ثم ذفَّف عليه، وأخذ سلاحه.

قال ابن إسحاق: ثم برز ياسر وهو يقول:

قد علمت خيبر أني ياسرَ شاكي السلاح بطل مغاور

إذا الليوث أقبلت تبادرَ وأحجمت عن صولة تساور

إن حسامي فيه موت حاضرَ

قال محمد بن عمر: وكان من أشدائهم، وكان معه حربة يحوس الناس بها حوساً.

فبرز له علي بن أبي طالب، فقال له الزبير بن العوام: أقسمت إلا خليت

---

(١) المغازي للواقدي ج٢ ص٦٥٣ و ٦٥٤ وراجع: السيرة الحلبية ج٣ ص٣٤.

بيني وبينه، ففعل.

فقالت صفية لما خرج إليه الزبير: يا رسول الله، يقتل ابني؟

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «بل ابنك يقتله، إن شاء الله»، فخرج إليه الزبير وهو يقول:

قد علمت خيبر أني زبار قرم لقرم غير نكس فرار

ابن حماة المجد، ابن الأخيار ياسر لا يغررك جمع الكفار

فجمعهم مثل السراب الختار

ثم التقيا فقتله الزبير.

قال ابن إسحاق: وذكر أن علياً هو الذي قتل ياسراً.

قال محمد بن عمر: وقال رسول الله «صلى الله عليه وآله» للزبير لما قتل ياسراً: فداك عم وخال.

ثم قال: «لكل نبي حواري، وحواريي الزبير وابن عمتي»[١].

وفي حديث سلمة بن الأكوع عند مسلم، والبيهقي: أن مرحباً خرج وهو يخطر بسيفه.

وفي حديث ابن بريدة، عن أبيه: خرج مرحب وعليه مغفر معصفر يماني، وحجر قد ثقبه مثل البيضة على رأسه، وهو يرتجز ويقول:

---

(١) راجع: المغازي للواقدي ج٢ ص٦٥٧ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٢٥ و ١٢٦ وتاريخ الخميس ج٢ ص٥١.

قـد عـلـمـت خـيـبر أني مـرحـب شـاكـي السـلاح بـطـل مجرب

إذا الـلـيـوث أقـبـلـت تـلـهـب

قال سلمة: فبرز له عامر (أي عامر بن الأكوع) وهو يقول:

قـد عـلـمـت خـيـبر أني عـامـر شـاكـي السـلاح بـطـل مغامر

قال: فاختلفا ضربتين، فوقع سيف مرحب في ترس عامر، فذهب عامر يسفل له، وكان سيفه فيه قصر، فرجع سيفه على نفسه، فقطع أكحله.

وفي رواية: أصاب عين ركبته، وكانت فيها نفسه.

قال بريدة: فبرز مرحب وهو يقول:

قـد علـمـت خـيـبر أني مـرحـب شـاكـي السـلاح بـطـل مجرب

إذا الـلـيـوث أقـبـلـت تـلـهـب وأحـجـمـت عـن صـولة المغلب

فبرز له علي بن أبي طالب «عليه السلام»، وعليه جبة أرجوان حمراء قد أخرج خملها، وهو يقول:

أنـا الـذي سمتني أمـي حـيـدَرَة كـلـيـث غـابـاتٍ كريـه المَنـظَرة

أوفـيـهم بالصـاع كيـلَ السنـدَرَة

فضرب مرحباً ففلق رأسه، وكان الفتح[1].

---

(١) صحيح مسلم ج٥ ص١٩٥ ومسند أحمد ج٥ ص٣٣٣ و ٣٥١ والمستدرك للحاكم ج٣ ص٣٨ وتاريخ الأمم والملوك ج٣ ص٣٠ ومناقب الإمام علي لابن المغازلي (ط المكتبة الإسلامية بطهران) ص١٧٦ ولباب التأويل ج٤ ص١٨٢ =

وفي نص آخر: أن علياً «عليه السلام» أجاب مرحباً بقوله:

أنا الذي سمتني أمي حَيْدَرَة　　كليث غابات كريه المَنْظَرَة
عبل الذراعين شديد القسورة　　أضرب بالسيف وجوه الكَفَرَة
ضرب غلام ماجد حزوَّرَة　　أكيلكم بالسيف كيلَ السندَرَة[١]

وفي حديث بريدة، فاختلفا ضربتين، فبدره علي «عليه السلام» بضربة (بذي الفقار) فقدَّ الحجر، والمغفر، ورأسه، ووقع في الأضراس، وأخذ المدينة.

وفي نص آخر: سمع أهل العسكر صوت ضربته. وقام الناس مع علي حتى أخذ المدينة[٢].

= و١٨٣ والرياض النضرة (ط محمد أمين بمصر) ج١ ص١٨٥ و ١٨٧ والبداية والنهاية ج٤ ص١٨٥ فما بعدها ومعالم التنزيل (ط مصر) ج٤ ص١٥٦ وحياة الحيوان ج١ ص٢٣٧ وطبقات ابن سعد (مطبعة الثقافة الإسلامية) ج٣ ص١٥٧ وينابيع المودة (ط بمبي) ص٤١ والمغازي للواقدي ج٢ ص٦٥٧.

(١) تذكرة الخواص ص٢٦.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٢٦ و ١٢٥ وراجع: السيرة الحلبية ج٣ ص٣٢ و ٣٧ و ٣٨ ومسند أحمد ج٥ ص٣٥٨ وتاريخ الأمم والملوك ج٣ ص٣٠ والبداية والنهاية ج٤ ص١٨٥ فما بعدها، ولباب التأويل ج٤ ص١٨٢ و ١٨٣ ومعارج النبوة ص٢١٩ والإصابة ج٢ ص٥٠٢ والكامل في التاريخ ج٢ ص٢٢٠ والمستدرك للحاكم ج٣ ص٤٣٧ ومعالم التنزيل ج٤ ص١٥٦ وتاريخ الخميس ج٢ ص٥٠ وراجع بعض ما تقدم في: إمتاع الأسماع ص٣١٥ و ٣١٦.

وفي نص آخر: ضربه على هامته حتى عض السيف منها بأضراسه، وسمع أهل العسكر صوت ضربته.

قال: وما تَتَامَّ آخر الناس مع علي «عليه السلام» حتى فتح لأولهم(١).

وفي نص آخر: «فخرج يهرول هرولة، فوالله ما بلغت أخراهم حتى دخل الحصن.

قال جابر: فأعجلنا أن نلبس أسلحتنا.

وصاح سعد: اربع، يلحق بك الناس.

فأقبل حتى ركزها قريباً من الحصن الخ..»(٢).

---

(١) مسند أحمد ج٥ ص٣٥٨ وتاريخ الأمم والملوك ج٣ ص٣٠٠ والمستدرك للحاكم ج٣ ص٤٣٧ وراجع: العمدة لابن البطريق ص١٤١ ومجمع الزوائد ج٦ ص١٥٠ والسنن الكبرى للنسائي ج٥ ص١١٠ و ١٧٨ وخصائص أمير المؤمنين للنسائي ص٥٥ وكنز العمال ج١٠ ص٤٦٤ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٩٥ وعن الإصابة ج٤ ص٤٦٦ وفضائل الصحابة لابن حنبل ج٢ ص٦٠٤ وراجع: مناقب الإمام أمير المؤمنين للكوفي ج٢ ص٥٠٩ والمصنف لابن أبي شيبة ج٨ ص٥٢٢ وكتاب السنة لابن أبي عاصم ص٥٩٤ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٤١١ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٥ ص٤٢٢ وج٢٢ ص٦٥٠ وج٢٣ ص١١٦ و ١١٩ و ١٣١ وج٣٠ ص١٨٦ وج٣٢ ص٣٧٤.

(٢) بحار الأنوار ج٢١ ص٢٢ عن إعلام الورى ج١ ص٢٠٨ وفي هامشه قال: انظر الإرشاد للمفيد ج١ ص١٢٥ والخرائج والجرائح ج١ ص١٥٩ و ٢٤٩.

وفي بعض النصوص: «أن مرحباً لما رأى أن أخاه قد قتل خرج سريعاً من الحصن في سلاحه، أي وقد كان لبس درعين، وتقلد بسيفين، واعتم بعمامتين، ولبس فوقهما مغفراً، وحجراً قد ثقبه قدر البيضة، ومعه رمح لسانه ثلاثة أسنان، وذكر أن ياسراً خرج بعد مرحب»(١).

ولم يكن بخيبر أشجع من مرحب ولم يقدر أحد من أهل الإسلام أن يقاومه في الحرب(٢).

وزعموا: أن محمد بن مسلمة قتل أسيراً أيضاً(٣).

وعن علي «عليه السلام» قال: لما قتلت مرحباً، جئت برأسه إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»(٤).

قال الدياربكري: قيل هذا ـ أي قتل علي مرحباً ـ هو الصحيح، وما نظمه بعض الشعراء يؤيده، وهو:

علي حمى الإسلام من قتل مرحب ... غداة اعتلاه بالحسام المضخم

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٣٧ و ٣٨ وراجع: تاريخ الخميس ج٢ ص٥٠.

(٢) تاريخ الخميس ج٢ ص٥٠.

(٣) إمتاع الأسماع ص٣١٥.

(٤) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٢٧ ومسند أحمد ج١ ص١١١ وتذكرة الخواص ص٢٦ وعن البداية والنهاية ج٤ ص١٨٥ فما بعدها، ومجمع الزوائد للهيثمي ج٦ ص١٥٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٥٧.

وفي رواية: قتله محمد بن مسلمة(١).

وسيأتي الكلام حول ذلك، وأنه مكذوب ومختلق.

ولنا مع هذه النصوص وقفات عديدة، نكتفي منها بما يلي:

ضربات علي عليه السلام لا تصنع شيئاً:

لا مجال لقبول ما ذكرته بعض الروايات المتقدمة من أن علياً «عليه السلام» ضرب عامر الخيبري ضربات، فلم تصنع شيئاً.

فإن علياً «عليه السلام» كان إذا علا قدّ.. وإذا اعترض قطّ(٢)..

(١) تاريخ الخميس ج٢ ص٥٠ وراجع: مناقب آل أبي طالب ج١ ص٥ عن جماعة من السفساف والمعاندين ادَّعوا: أن مرحباً قتله محمد بن مسلمة، وادّعوا، وادَّعوا.

(٢) مناقب آل أبي طالب ج١ ص٣٥٥ وبحار الأنوار ج٢١ ص١٧٩ وج٤١ ص٦٧ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١ ص٥٠ ومجمع البيان ج١ ص٢٥٢ و ٣٨٩ والهاشميات والعلويات (قصائد الكميت وابن أبي الحديد) ص١٥٣ والصحاح ج٢ ص٥٩٧ وج٣ ص١١٥٣ والفروق اللغوية ص٤٣٢ و ٤٣٣ ولسان العرب ج٣ ص٣٤٤ وج٤ ص٨٠.

وراجع: مختار الصحاح لمحمد بن عبد القادر ص٣٩ ومجمع البحرين ج١ ص٢٣٢ وتاج العروس ج٢ ص٤٦٠ وج٣ ص٥٨ وج٥ ص٢٠٧ وأعيان الشيعة ج١ ص٣٣٠ و ٣٤٠ و ٣٨٢ و ٣٩٧ وشرح إحقاق الحق ج٨ ص٣٢٨ و ٣٢٩ =

وكانت ضرباته وتراً[1]..

قطع رأس مرحب:

ذكرت بعض الروايات المتقدمة: أن علياً «عليه السلام» كان قد قطع رأس عمرو بن عبد ود في حرب الخندق، وجاء به إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله».. ولم يقل له النبي «صلى الله عليه وآله» شيئاً..

وذكرت الروايات المتقدمة عن قريب: أنه «عليه السلام» قطع رأس مرحب، وجاء به إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» أيضاً، ولم يعترض عليه رسول الله «صلى الله عليه وآله» في فعله هذا..

ونحن لا نرى أن لهذين الخبرين أساساً من الصحة.

أولاً: إنه «عليه السلام» لم يقطع رأس الوليد في بدر، ولا رأس غيره ممن قتلهم في تلك الحرب، كما أنه لم يقطع رأس كبش الكتيبة ولا غيره من بني عبد الدار حملة اللواء في أحد، ولم يقطع أيضاً رؤوس العشرة الذين قتلهم في بني النضير، ولا رأس أي ممن قتلهم في الخندق غير ما زعموه عن عمرو بن عبد ود، ولا رأس أحدٍ من بني قريظة..

= وج١٨ ص٧٩ وج٣١ ص٥٦٩ وج٣٢ ص٣٠٥ و ٣٣٦ و ٣٣٧ وتفسير أبي السعود ج٤ ص٢٦٧ وتفسير الآلوسي ج١٢ ص٢١٨ والنهاية في غريب الحديث ج١ ص١٤٩.

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١ ص٢٠ والصراط المستقيم ج١ ص١٦١ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٤١٥ وبحار الأنوار ج٤١ ص١٤٣.

وأما قطعه لرأس الأسيرين في بدر، فلأن قتلهما قد تم بهذه الصورة. ولعل ذلك كان أهون أنواع القتل.. لأن غير هذه الطريقة يطيل أمد موت القتيل، ويعرِّضه معها لآلام هائلة..

ثانياً: لم نجد مبرراً لقطع الرؤوس، والإتيان بها من ساحة المعركة إلى محضر رسول الله «صلى الله عليه وآله» للتشفي، ولا لغيره.. وذلك بعيد عن منطق الرسول، وعن منهجه..

وقد كان هدف خوض هذه الحرب، هو دفع شر هؤلاء الطغاة عن أهل الإسلام، ولم يكن يراد التشفي بهم، بقطع رؤوسهم بعد موتهم، ولا بتعذيبهم في حياتهم..

وقد علمنا: أن علياً «عليه السلام» لم يجهز على عمرو بن عبد ود حين أساء إليه وشتم أمه، إلا بعد أن زال غضبه، لأنه أراد أن يكون قتله خالصاً لله تعالى.. كما تقدم.

ولما ضربه ابن ملجم «لعنه الله»، قال: «ما فعل ضاربي؟! أطعموه من طعامي، واسقوه من شرابي، فإن عشت فأنا أولى بحقي، وإن مت، فاضربوه ولا تزيدوه»(١).

وفي نص آخر: «احبسوه، وأطيبوا طعامه، وألينوا فراشه، فإن أعش

---

(١) المناقب للخوارزمي ص٢٨٠ و٢٨١ وكشف الغمة ج٢ ص١١١ والفصول المهمة لابن الصباغ ج١ ص٦٢٣ وأشار في الهامش إلى العديد من المصادر.

فعفو، أو قصاص»[١].

ثالثاً: إذا كانت ضربته «عليه السلام» قد شقت رأس مرحب وجسده نصفين، حتى بلغ السرج كما في بعض النصوص[٢]، فإن قطع رأسه وحمله في هذه الحالة يصبح بمثابة جمع أشلاء، ولململة قطع من جسد بشري، بصورة غير مستساغة، ولا يرضى الإنسان العادي بالإقدام عليها، فكيف بأنبل الناس، وأكرمهم وأشرفهم؟!

ولو أنه «عليه السلام» قطع رأس عمرو بن عبد ود أو غيره لرأيت قريشاً، وسائر من حاربهم من اليهود والمشركين يقطعون رؤوس قتلى المسلمين طيلة كل تلك الحروب التي دارت فيما بينهم.

أحداث خيبر بصيغة أخرى:

تقدم: أن النبي «صلى الله عليه وآله»، قال لعلي «عليه السلام»: قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله..

ولكن نصاً آخر ذكر تفصيلاً لهذه الوصية يحتاج إلى الكثير من التأمل، وهو أنه «صلى الله عليه وآله» حين دفع إليه الراية قال له:

---

(١) الثقات ج٢ ص٣٠٣ والأخبار الطوال ص٢١٥ والطبقات الكبرى لابن سعد = = ج٣ ق١ ص٢٥ و٢٦ وراجع: أنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج٢ ص٤٥٩ و٥٠٢ و٥٠٤.

(٢) معارج النبوة ص٣٢٣ و٢١٩.

«سر في المسلمين إلى باب الحصن، وادعهم إلى إحدى ثلاث خصال: إما أن يدخلوا في الإسلام، ولهم ما للمسلمين، وعليهم ما عليهم، وأموالهم لهم..

وإما أن يذعنوا للجزية والصلح، ولهم الذمة، وأموالهم لهم.

وإما الحرب.

فإن اختاروا الحرب فحاربهم.

فأخذها وسار بها والمسلمون خلفه، حتى وافى باب الحصن، فاستقبله حماة اليهود، وفي أولهم مرحب يهدر كما يهدر البعير.

فدعاهم إلى الإسلام فأبوا، ثم دعاهم إلى الذمة فأبوا، فحمل عليهم أمير المؤمنين «عليه السلام»، فانهزموا بين يديه، ودخلوا الحصن، وردوا بابه، وكان الباب حجراً منقوراً في صخر، والباب من الحجر في ذلك الصخر المنقور كأنه حجر رحى، وفي وسطه ثقب لطيف.

فرمى أمير المؤمنين «عليه السلام» بقوسه من يده اليسرى، وجعل يده اليسرى في ذلك الثقب الذي في وسط الحجر دون اليمنى، لأن السيف كان في يده اليمنى، ثم جذبه إليه، فانهار الصخر المنقور، وصار الباب في يده اليسرى.

فحملت عليه اليهود، فجعل ذلك ترساً له، وحمل عليهم فضرب مرحباً فقتله، وانهزم اليهود من بين يديه؛ فرمى عند ذلك الحجر بيده اليسرى إلى خلفه، فمر الحجر الذي هو الباب على رؤوس الناس من المسلمين إلى أن وقع في آخر العسكر.

قال المسلمون: فذرعنا المسافة التي مضى فيها الباب فكانت أربعين ذراعاً، ثم اجتمعنا على الباب لنرفعه من الأرض، وكنا أربعين رجلاً حتى

تهيأ لنا أن نرفعه قليلاً من الأرض»[١].

ونقول:

يلاحظ هنا ما يلي:

١ ـ أن الناس يعاملون من ينقض العهود، ويخون المواثيق بحزم وصرامة، ويجرون عليه أحكامهم وقراراتهم، ولا يعطونه بعدها أي خيار، ولا يمنحونه أية فرصة للإختيار. ومع تكرار الخيانات، وظهور تصميم العدو على العدوان، فإنهم يبادرون إلى ضربه ضربة قاضية، وسحق كل مظاهر القدرة لديه، واقتلاعه من جذوره.

ولكن نبينا الأعظم «صلى الله عليه وآله» لم يعامل اليهود بهذه الروحية، بل بالعفو والتسامح، وفتح مجال الخيار والاختيار أمامهم، لمجرد إبطال كيدهم، ودفع شرهم، رغم تكرر خياناتهم، وتآمرهم المتواصل عليه، وإصرارهم على نقض العهود والمواثيق.

وقد أظهر النص المتقدم هذه الحقيقة، فإنه عرض عليهم خيارات تمنحهم الحياة، وتعفيهم من العقوبة. وبعضها يجعل لهم حصانةً وحقوقاً تساويهم مع سائر المسلمين، فهو لم يضعهم أمام خيار الموت والفناء، والعقاب والجزاء، بل عرض عليهم أولاً أن يسلموا، فإن فعلوا ذلك حقنوا دماءهم، وأحرزوا أموالهم، ولهم ما للمسلمين، وعليهم ما عليهم..

---

(١) بحار الأنوار ج٢١ ص٢٩ والخرائج والجرائح ج١ ص١٦١ وراجع: إحقاق الحق (الملحقات) ج٥ ص٣٦٨.

فإن أبوا ذلك، فإنه أيضاً لم يسد عليهم باب النجاة، بل فتحه لهم على مصراعيه أيضاً، ومنحهم فرصة أخرى للعيش بأمن وسلام، وتكون أموالهم لهم، ولهم ذمة المسلمين، وحظر عليهم الإحتفاظ بالسلاح، بل يتولى المسلمون حمايتهم، والدفع عنهم، مقابل بدل مالي يعطونه (يسمى جزية).

فإن أبوا ذلك.. وأصروا على العداوة والبغي، فإنهم يكونون هم الذين عرضوا أنفسهم لما لا يحب لهم أن يتعرضوا له.. ورضوا بأن يعاملهم معاملة الأعداء، وبأن يكسر شوكتهم، ويقوض هيمنتهم..

٢ ـ لقد كان اقتلاع باب خيبر بيد رجل واحد كافياً لإقناع اليهود بالكف عن عدوانهم، وإفهامهم أن هذا الدين مؤيد ومنصور من الله، وأن الإيمان بهذا النبي هو الخيار الصائب، وما عداه هلاك وبوار في الدنيا والآخرة.

ولكن ذلك ليس فقط لم يحصل.. وإنما حصل عكسه، حيث ظهر حرصهم على البغي والعدوان، حين حملوا على علي «عليه السلام» مرة ثانية، فحمل عليهم وهزمهم، كما تقدم بيانه.

٣ ـ كما أن رميه «عليه السلام» باب الحصن إلى مسافات بعيدة، دليل آخر على ذلك التأييد الإلهي، وقد كان يفترض أن يكون كافياً لصحوة ضميرهم، واستجابة وجدانهم، وعطف قلوبهم إلى الحق، وإعلان إيمانهم.. لكن ذلك لم يحصل أيضاً..

٤ ـ قول الرواية: إنه «عليه السلام» رمى الباب، فوقع خلف

المسلمين.. وكانت المسافة بين موقع علي «عليه السلام»، وموضع سقوط الباب أربعين ذراعاً.. موضع ريب، فإن من غير المعقول أن يكون المسلمون محصورين في هذه المسافة الضيقة جداً، لأنهم كانوا يعدون بالألوف.. حتى لو فرضنا أن قسماً من الجيش كان يقوم بمهمات أخرى.

ولعله لم يكن خلفه سوى طائفة من المسلمين، ممن كان في ضمن الأربعين ذراعاً، أما الآخرون، فكانوا قد قصروا في اللحاق به..

ويؤيد ذلك: ما سيأتي من أن علياً «عليه السلام» قد فتح الحصن وحده.

٥ ـ والأهم من كل ذلك: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يغير طريقة تعامله مع اليهود، بل بقي يعتمد سياسة الصفح، والرفق، والتخفيف، فهو بعد كل هذا العناد والتحدي، والإصرار على مواصلة الحرب، لم ينتقم منهم، ولم يعاقبهم على ما فعلوه، بل قبل منهم أن يعملوا في الأرض، وأن يعطوه نصف حاصلها.. وكان يمكنه أن لا يعطيهم شيئاً سوى ما يقيم أودهم، ويحفظ حياتهم..

بل لو أراد أن يجازيهم بأعمالهم لما كانوا يستحقون البقاء على قيد الحياة.

من سمى علياً بحيدرة؟!:

تقدم: أن علياً «عليه السلام» قال في مواجهة مرحب:

أنا الذي سمتني أمي حيدَرَة كليث غابات كريه المنظَرَة

وقال ثابت بن قاسم: في تسمية علي «عليه السلام» بحيدرة، ثلاثة

أقوال:

أحدها: أن اسمه في الكتب المتقدمة أسد، والأسد هو الحيدرة.

الثاني: أن أمه فاطمة بنت أسد «رضي الله عنها» حين ولدته كان أبوه غائباً، فسمته باسم أبيها. فقدم أبوه فسماه علياً.

الثالث: أنه كان لقب في صغره بحيدرة، لأن «الحيدرة» الممتلئ لحماً مع عظم بطن. وكذلك كان علي(١).

وذكر ذلك الحلبي أيضاً، ولكنه لم يشر إلى أن اسمه في الكتب المتقدمة أسد، فراجع(٢).

ثم قال: «ويقال: إن ذلك كان كشفاً من علي كرم الله وجهه، بحيث إن الله أطلع علياً على رؤيا كان مرحب قد رآها في تلك الليلة في المنام: أن أسداً افترسه، فذكَّره علي كرم الله وجهه بذلك، ليخيفه، ويضعف نفسه»(٣).

ونقول:

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٦٣ وقال: «وذكره الشيخ كمال الدين الدميري في شرح المنهاج» وراجع: حياة الحيوان (ط المكتبة الشرفية بالقاهرة) ج١ ص٢٣٧ ولسان العرب (ط سنة ١٤١٦ هـ) ج٣ ص٨٤ و ٨٥ ومجمع البحرين ج٣ ص٢٦١ وتاريخ الخميس ج٢ ص٥٠ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١ ص١٢.

(٢) السيرة الحلبية ج٣ ص٣٨ و (ط دار المعرفة) ج٢ ص٧٣٩.

(٣) السيرة الحلبية ج٣ ص٣٨ و (ط دار المعرفة) ج٢ ص٧٣٩.

أولاً: لو صح قولهم: إن لكلمة حيدرة عدة معان، فلماذا يختارون منها ما يوهم الناس بأمور غير محببة؟! كقولهم: الحيدرة: الممتلئ لحماً مع عظم بطن، وكذلك كان علي «عليه السلام». أي أنه لقب بـ «الحيدرة» لعظم بطنه..

مع أنهم يقولون: إن أمه هي التي سمته بذلك حين ولدته، فهل كان عظيم البطن من حين ولادته؟!

وإذا كان قد صرح هو نفسه: بأن أمه قد سمته بحيدرة، وكان ذلك منذ ولادته، فما معنى قولهم: لُقِّب بذلك منذ صغره؟!

فإن اللقب غير الاسم.. والاسم يوضع للمولود من حين يولد، ولحوق اللقب في الصغر قد يتأخر لعدَّة سنوات.

ثانياً: ما معنى قولهم: كان لُقِّب في صغره بـ «الحيدرة»؟ ألا ينافي هذا قول علي «عليه السلام» نفسه:

أنا الذي سمتني أمي حيدرة كليث غابات كريه المنظرة

ثالثاً: لماذا لا يذكرون ما قاله ابن الأعرابي: الحيدرة في الأسد مثل الملك في الناس، وما قاله أبو العباس: يعني لغلظ عنقه، وقوة ساعديه؟!

رابعاً: ذكر ابن بري: أن أم علي لم تسم علياً «عليه السلام» حيدرة، بل سمته أسداً(١).

---

(١) لسان العرب (ط سنة ١٤١٦ هـ.) ج٣ ص٨٤ و (نشر أدب الحوزة) ج٤ ص١٧٤ وخزانة الأدب للبغدادي ج٦ ص٦٤ والإمام علي بن أبي طالب =

لكنه «عليه السلام» لم يتمكن من ذكر الأسد لأجل القافية، فعبر بمعناه وهو: «حيدرة»، فرد عليه ابن منظور بقوله:

«وهذا العذر من ابن بري لا يتم له، إلا إن كان الرجز أكثر من هذه الأبيات، ولم يكن أيضاً ابتدأ بقوله: «أنا الذي سمتني أمي حيدرة»، وإلا فإذا كان هذا البيت ابتداء الرجز، وكان كثيراً أو قليلاً، كان «عليه السلام» مخيراً في إطلاق القوافي على أي حرف شاء، مما يستقيم الوزن له به.

كقوله: «أنا الذي سمتني أمي الأسد»، أو «أسداً»، وله في هذه القافية مجال واسع، فنطقه بهذا الاسم على هذه القافية من غير قافية تقدمت، يجب اتباعها، ولا ضرورة صرفته إليها، مما يدل على أنه سمي حيدرة»(١).

= «عليه السلام» للهمداني ص٦١٢. وراجع: شرح مسلم للنووي ج١٢ ص١٨٥ والفايق في غريب الحديث ج١ ص٢٣٢ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٩ ص١٢٧ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص١٧ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٢ ص٧٣٨ وينابيع المودة ج٢ ص١٤٤ وغريب الحديث ج١ ص٣٥٠ والصحاح للجوهري ج٢ ص٦٢٥ والنهاية في غريب الحديث ج١ ص٣٥٤.

(١) لسان العرب (ط سنة ١٤١٦ هـ.) ج٣ ص٨٤ و ٨٥ و (نشر أدب الحوزة سنة ١٤٠٥هـ) ج٤ ص١٧٤ والإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» للهمداني ص٦١٢.

الصحيح في هذه القضية:

والصحيح هو: ما رواه المفيد، عن الحسين بن علي بن محمد التمار، عن علي بن ماهان، عن عمه، عن محمد بن عمر، عن ثور بن يزيد، عن مكحول، قال:

لما كان يوم خيبر خرج رجل يقال له: مرحب، وكان طويل القامة، عظيم الهامة، وكانت اليهود تقدمه لشجاعته ويساره.

قال: فخرج ذلك اليوم إلى أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فما واقفه قرن إلا قال: أنا مرحب، ثم حمل عليه، فلم يثبت له.

قال: وكانت له ظئر، وكانت كاهنة، تعجب بشبابه، وعظم خلقه.

وكانت تقول له: قاتل كل من قاتلك، وغالب كل من غالبك، إلا من تسمَّى عليك بـ «حيدرة»، فإنك إن وقفت له هلكت.

قال: فلما كثر مناوشته، وجزع الناس بمقاومته، شكوا ذلك إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، وسألوه أن يخرج إليه علياً «عليه السلام»، فدعا النبي «صلى الله عليه وآله» علياً «عليه السلام»، وقال له: «يا علي، اكفني مرحباً».

فخرج إليه أمير المؤمنين «عليه السلام»، فلما بصر به مرحب يسرع إليه، فلم يره يعبأ به، أنكر ذلك، وأحجم عنه، ثم أقدم وهو يقول:

أنا الذي سمتني أمي مرحباً ......

فأقبل علي «عليه السلام» وهو يقول:

أنا الذي سمتني أمي حيدَرَة   كليث غابات كريه المنظَرَه

فلما سمعها منه مرحب هرب ولم يقف، خوفاً مما حذرته منه ظئره، فتمثل له إبليس في صورة حبر من أحبار اليهود، فقال: إلى أين يا مرحب؟!

فقال: قد تسمى عَلَيَّ هذا القرن بحيدرة!!

فقال له إبليس: فما حيدرة؟!

فقال: إن فلانة ظئري كانت تحذرني من مبارزة رجل اسمه حيدرة، وتقول: إنه قاتلك.

فقال له إبليس: شوهاً لك، لو لم يكن حيدرة إلا هذا وحده لما كان مثلك يرجع عن مثله، تأخذ بقول النساء، وهن يخطئن أكثر مما يصبن؟! وحيدرة في الدنيا كثير، فارجع فلعلك تقتله، فإن قتلته سُدت قومك، وأنا في ظهرك أستصرخ اليهود لك، فرده.

فوالله ما كان إلا كفواق ناقة حتى ضربه علي ضربة سقط منها لوجهه، وانهزم اليهود يقولون: قتل مرحب، قتل مرحب(١).

وقالوا أيضاً: إن ضربته «عليه السلام» على رأس مرحب قدته نصفين، حتى بلغت إلى السرج(٢).

وقد تقدم: أن الكاهنة لا تعلم الغيب، فهي مع أنها كانت كاهنة لا بد أن تكون قد أخذت هذا الخبر عن أحبار اليهود الذين وجوده في كتبهم..

---

(١) بحار الأنوار ج٢١ ص٩ عن الأمالي للمفيد، والأمالي للطوسي ص٤ ومدينة المعاجز ج١ ص١٧٨.

(٢) معارج النبوة ص٣٢٣ و ٢١٩ .

إشارات ودلالات:

وقد تضمن هذا الحديث أموراً هامة تحسن الإشارة إليها، والدلالة عليها، وهي التالية:

ألف: سر زعامة مرحب:

ذكر الحديث: أن سبب تقديم اليهود لمرحب أمران:

أحدهما: شجاعته.

والثاني: يساره.

نعم.. وهذا هو المتوقع من اليهود الذين لا يفكرون إلا بالمال، وبالدنيا، والذين يسعون في الأرض فساداً، ويثيرون الفتن بين الناس، وكل همهم هو الهيمنة على الآخرين، وإذلالهم، وقهرهم، فإن ذلك هو ما ينسجم مع نظرتهم الاستعلائية إلى كل من هو غير إسرائيلي، لأنهم ـ بزعمهم ـ شعب الله المختار، وقد خلق الله تعالى غيرهم من أجل خدمتهم، وقد تحدثنا عن بعض ذلك في كتابنا: سلمان الفارسي في مواجهة التحدي.

إن تقدم مرحب بينهم لم يكن لأجل عقله، ودينه، ومزاياه الأخلاقية، والإنسانية، بل لأنهم يحتاجون إلى فروسيته وشجاعته، وقوته، وإلى ماله ودنياه أيضاً.

ب: اكفني مرحباً:

وبعد، فما أروع كلمة رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «يا علي، اكفني مرحباً»، فإنه تحدث بصيغة المتكلم وحده «اكفني»، ربما لكي يشير: إلى أنه

«صلى الله عليه وآله» هو المقصود الحقيقي لمرحب، وأن همة اليهود منصرفة إلى النيل من شخص رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأن لا مشكلة لمرحب مع أحد من الناس إلا معه «صلى الله عليه وآله»..

أما سائر من حضر، فلا يقيم مرحب لهم وزناً، وهو قادر على استيعاب كل حركتهم ضده.

وليشير «صلى الله عليه وآله» أيضاً: إلى أن الذي يكفيه إياه، ويدفعه عنه هو خصوص علي «عليه السلام» دون سواه، وإن كانت الدعاوى عريضة.

ج: الناس يريدون علياً عليه السلام:

وصرحت الرواية المتقدمة أيضاً: بأن الناس حين جزعوا وعَجَزُوا عن مقاومة مرحب التجأوا إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، وسألوه أن يخرج إليه علياً «عليه السلام»، مع علمهم بشدة مرضه «عليه السلام»، فإن صحت هذه الرواية، فهي تدل على أنهم كانوا يعرفون طرفاً من جهاده «عليه السلام»، وإقدامه وتضحياته في سبيل الله تعالى. ويعرفون أنه لا يتعرض له أحد إلا هلك، ولعل طلبهم هذا يشير إلى أنهم كانوا لا يعرفون بأنه «عليه السلام» مصاب بالرمد..

وهذه الرواية لا تنافي روايات إرسال غير علي «عليه السلام» بالراية قبله، لجواز أن يكون الناس قد طلبوا من النبي «صلى الله عليه وآله» إرسال علي «عليه السلام» بعد فشل الذين كان قد أرسلهم قبل ذلك..

بل قد يكون طلبهم هذا قبل إرسال الآخرين أيضاً، لكن النبي

الأعظم «صلى الله عليه وآله» آثر أن لا يرسل علياً «عليه السلام» من أول يوم لمصالح رآها..

قاتل مرحب محمد بن مسلمة:

تقدم: أن هناك من يزعم: أن قاتل مرحب هو محمد بن مسلمة، وليس علي بن أبي طالب «عليه السلام»، فقد روى البيهقي عن عروة، وعن موسى بن عقبة، وعن الزهري، وعن ابن إسحاق، وعن محمد بن عمر عن شيوخه، قالوا: واللفظ لابن إسحاق، قال: حدثني عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن بن سهل، أخو بني حارثة، عن جابر بن عبد الله، قال:

خرج مرحب اليهودي من حصن خيبر، وقد جمع سلاحه يقول: من يبارز؟ ويرتجز:

قد علمت خيبر أني مرحب — شاكي السلاح بطل مجرب
أطعن أحياناً وحيناً أضرب — إذا الليوث أقبلت تجرب
إن حماي للحمى لا يقرب

فأجابه كعب بن مالك:

قد علمت خيبر أني كعب — مفرج الغمى جريء صلب
إن شبت الحرب تلتها الحرب — معي حسام كالعقيق عضب
نطؤكم حتى يذل الصعب — نعطي الجزاء أو يفيء النهب
بكف ماضٍ ليس فيه عتب

قال ابن هشام: وأنشدني أبو زيد:

قد علمت خيبر أني كعب وأنني متى تشب الحرب
ماض على الهول جريء صلب معي حسام كالعقيق عضب
بكف ماضٍ ليس فيه عتب ندككم حتى يذل الصعب

قال: ومرحب: ابن عميرة.

قال جابر: فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «من لهذا»؟

قال محمد بن مسلمة: أنا له يا رسول الله، أنا والله الموتور الثائر، قتل أخي بالأمس.

فأمره بأن يقوم إليه، وقال: «اللهم أعنه عليه».

(**وفي بعض المصادر:** وأعطاه سيفه، فخرج إليه، ودعاه إلى البراز، فارتجز كل منهما).

قال: فلما دنا أحدهما من صاحبه، دخلت بينهما شجرة عُمْرية (غمرته) من شجر العشر، فجعل أحدهما يلوذ بها من صاحبه، فكلما لاذ منه بها اقتطع صاحبه ما دونه منها، حتى برز كل واحد منهما لصاحبه، وصارت بينهما كالرجل القائم، ما فيها فنن.

ثم حمل مرحب على محمد بن مسلمة فضربه، فاتقاه بالدرقة، فوقع سيفه فيها، فعضت به فأمسكته، وضربه محمد بن مسلمة فقطع فخذيه حتى قتله(١).

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٢٧ و ١٢٨ والسيرة الحلبية ج٣ ص٣٧ و ٣٨ =

قالوا: ونفَّل رسول الله «صلى الله عليه وآله» محمد بن مسلمة يوم خيبر سلب مرحب: سيفه، ورمحه، ومغفره، وبيضته(١).

قال الواقدي: «فكان عند آل محمد بن مسلمة سيفه، فيه كتاب لا يدرى ما هو، حتى قرأه يهودي من يهود تيماء، فإذا فيه:

هذا سيف مرحب من يذقه يعطب»(٢).

ويقولون أيضاً: إنه بعد تعذيب كنانة بن أبي الحقيق دفعه «صلى الله عليه وآله» لمحمد بن مسلمة، فضرب عنقه بأخيه محمود.

وذكروا في توجيه بشارة النبي «صلى الله عليه وآله» لمحمود بن مسلمة هذا بنزول فرائض البنات: أن محموداً كان متمولاً، وكان ماله أكثر من

= والمغازي للواقدي ج٢ ص٦٥٥ و ٦٥٦ وتاريخ الخميس ج٢ ص٥٠ و ٥١ عن الإكتفاء وعن مسند أحمد ج٣ ص٣٨٥ ومجمع الزوائد ج٦ ص١٥٠ وبغية الباحث ص٢١٧ وتاريخ مدينة دمشق ج٥٥ ص٢٦٨ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٩٩ عن السيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٧٩٧ والبداية والنهاية ج٤ ص٢١٥.

(١) مختصر المزني ص٢٧٠ والسيرة الحلبية ج٣ ص٣٨ و (ط دار المعرفة) ج٢ ص٧٣٨ عنه، وراجع: المغازي للواقدي ج٢ ص٦٥٦.

(٢) المغازي للواقدي ج٢ ص٦٥٦ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٤١٧ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج٤ ص٢١٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٥٨ والسنن الكبرى للبيهقي ج٦ ص٣٠٩ وشرح السير الكبير ج٢ ص٦٠٦.

أموال أخيه محمد. فلما سقطت عليه الرحى في حصن ناعم جعل يقول لأخيه: بنات أخيك لا يتبعن الأفياء، يسألن الناس.

فيقول له محمد: لو لم تترك مالاً لكان لي مال. ولم تكن فرائض البنات قد نزلت.

فلما كان يوم موته، وهو اليوم الذي قتل فيه مرحب، أرسل النبي «صلى الله عليه وآله» جعيل بن سراقة الغفاري، ليبشر محموداً بأن الله قد أنزل فرائض البنات، وأن محمد بن مسلمة قد قتل قاتله.

فسر بذلك، ومات في اليوم الذي قتل فيه مرحب، بعد ثلاث من سقوط الرحى عليه من حصن ناعم(١).

ونقول:

إن ذلك مكذوب جملة وتفصيلاً، وذلك لما يلي:

أولاً: هناك فاصل زمني كبير بين قتل محمود بن مسلمة وبين قتل مرحب، يصل إلى عشرات الأيام وقد قتل محمود في حصن ناعم لا في حصن القموص.

ثانياً: لا ربط بين البشارة بنزول فرائض البنات، وبين البشارة بقتل مرحب..

ثالثاً: إن الآيات المرتبطة بفرائض البنات كانت قد نزلت قبل ذلك، بسنوات، فراجع..

---

(١) إمتاع الأسماع ص٣١٦ و(ط أخرى) ج١ ص٣١١ والمغازي للواقدي ج٢ ص٦٥٨.

رابعاً: لم يثبت أن قاتل محمود بن مسلمة هو مرحب، إذ يقال: إن قاتله هو ذلك الذي أخذه علي حين فتح الحصن وسلّمه لمحمد بن مسلمة ليقتله بأخيه، فقتله به..

ولعله هو كنانة بن أبي الحقيق الذي دفعه النبي «صلى الله عليه وآله» لمحمد بن مسلمة ليقتله بأخيه(١)، فإن علياً «عليه السلام» هو الذي أخذ كنانة أيضاً وهو فاتح الحصن، فيصح نسبة تسليمه لابن مسلمة إلى النبي «صلى الله عليه وآله» تارة، وإلى علي «عليه السلام» أخرى.

خامساً: دعوى تعذيب كنانة على يد هذا تارة، وذاك أخرى، دليل آخر على وهن هذه الرواية، فإن التعذيب لا يمكن أن يقبله النبي، ولا الوصي، ولا أي من الذين يأتمرون بأمرهما، وقد قدمنا عن قريب وصايا علي «عليه السلام» بقاتله، وعلي هو تلميذ النبي «صلى الله عليه وآله».

سادساً: قال الحاكم النيسابوري والذهبي: الأخبار متواترة بأسناد كثيرة أن قاتل مرحب هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام»(٢).

وقال الصالحي الشامي:

قلت: جزم جماعة من أصحاب المغازي: بأن محمد بن مسلمة هو الذي

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٣٤ و (ط دار المعرفة) ج٢ ص٧٤٠ وشرح السير الكبير للسرخسي ج١ ص٢٨١ وراجع: السير الكبير للشيباني ج١ ص٢١٨ والكامل في التاريخ ج٢ ص٢٢١.

(٢) المستدرك للحاكم ج٣ ص٤٣٧ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٧٢ و ٤٠٤.

قتل مرحباً.

ولكن ثبت في صحيح مسلم ـ كما تقدم ـ عن سلمة بن الأكوع: أن علياً «عليه السلام» هو الذي قتل مرحباً.

وورد ذلك: في حديث بريدة بن الحصيب، وأبي رافع مولى رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وعلى تقدير صحة ما ذكره جابر، وجزم به جماعة، فما في صحيح مسلم مقدم عليه من وجهين:

أحدهما: أنه أصح إسناداً.

الثاني: أن جابراً لم يشهد خيبر، كما ذكره ابن إسحاق، ومحمد بن عمر، وغيرهما، وقد شهدها سلمة، وبريدة، وأبو رافع. وهم أعلم ممن لم يشهدها.

وما قيل: من أن محمد بن مسلمة ضرب ساقي مرحب فقطعهما، ولم يجهز عليه، ومرَّ به علي «عليه السلام» فأجهز عليه، يأباه حديث سلمة، وأبي رافع، والله أعلم.

وصحح أبو عمر: أن علياً «عليه السلام» هو الذي قتل مرحباً.

وقال ابن الأثير: إنه الصحيح(١).

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٢٧ و ١٢٨ وأسد الغابة ج٤ ص٣٣١ وراجع: نيل الأوطار ج٨ ص٨٧ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج٤ ص٢١٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٥٧.

وقال أيضاً: «وقيل: إن الذي قتل مرحباً، وأخذ الحصن علي بن أبي طالب، وهو الأشهر والأصح»(١).

وقال: «الصحيح الذي عليه أهل السير والحديث: أن علياً كرم الله وجهه قاتله»(٢).

وقال الحلبي: «وقيل: القاتل له علي «عليه السلام»، وبه جزم مسلم في صحيحه.

وقال بعضهم: والأخبار متواترة به»(٣).

وقال أيضاً: «وقد يجمع بين القولين: بأن محمد بن مسلمة أثبته، أي بعد أن شق علي كرم الله وجهه هامته، لجواز أن يكون قد شق هامته، ولم يثبته، فأثبته محمد بن مسلمة. ثم إن علياً كرم الله وجهه وقف عليه»(٤).

ثم استدل الحلبي على ذلك بما في بعض السير عن الواقدي، قال: «لما قطع محمد بن مسلمة ساقي مرحب، قال له مرحب: أجهز عليَّ.

فقال: لا، ذق الموت كما ذاقه أخي.

ومرّ به علي فضرب عنقه، وأخذ سلبه، فاختصما إلى رسول الله «صلى

---

(١) الكامل في التاريخ ج٢ ص٢١٩.

(٢) أسد الغابة ج٤ ص٣٣١ وشرح مسلم للنووي ج١٢ ص١٨٦ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٧٢ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٢ ص٧٣٨.

(٣) السيرة الحلبية ج٣ ص٣٨ و (ط دار المعرفة) ج٢ ص٧٣٨.

(٤) السيرة الحلبية ج٣ ص٣٨ و (ط دار المعرفة) ج٢ ص٧٣٩.

الله عليه وآله» في سلبه.

فقال محمد: يا رسول الله، ما قطعت رجليه وتركته إلا ليذوق الموت، وكنت قادراً أن أجهز عليه.

فقال علي «عليه السلام»: صدق.

فأعطى سلبه لمحمد بن مسلمة»[١].

وقالوا: لعل هذا كان بعد مبارزة عامر بن الأكوع لمرحب، فلا ينافي ما مر عن فتح الباري[٢].

وفي الإستيعاب: «والصحيح الذي عليه أكثر أهل السير والحديث أن علياً قاتله»[٣].

الإختصام في سلب مرحب:

ثم إن الحديث عن اختصام علي «عليه السلام» ومحمد بن مسلمة إلى

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٣٨ و (ط دار المعرفة) ج٢ ص٧٣٩. وأشار إلى ذلك في الإمتاع ص٣١٥ والمغازي للواقدي ج٢ ص٦٥٦ وراجع: السير الكبير ج٢ ص٦٠٦ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج٤ ص٢١٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٥٨.

(٢) السيرة الحلبية ج٣ ص٣٨ و (ط دار المعرفة) ج٢ ص٧٣٩.

(٣) الإستيعاب (ط دار الجيل) ج٣ ص١٣٧٧ والسيرة الحلبية ج٣ ص٣٨ و (ط دار المعرفة) ج٢ ص٧٣٨.

رسول الله «صلى الله عليه وآله» في سلب مرحب، مكذوب أيضاً، بدليل:

أنهم رووا: أن علياً «عليه السلام» لم يقدم على سلب عمرو بن عبد ود، وهوأنفس سلب! وحين طالبه عمر بن الخطاب بذلك قال: «كرهت أن أبز السبيَّ ثيابه»(١).

قال المعتزلي: فكأن حبيباً (يعني أبا تمام الطائي) عناه بقوله:

إن الأسـود أسـود الغـاب همتهـا يوم الكريهة في المسلوب لا السلب(٢)

كما أنه «عليه السلام» قال لعمرو بن عبد ود حين طلب منه أن لا يسلبه حلته: هي أهون علي من ذلك(٣).

فمن كان كذلك: فهو لا يجاحش على السلب، ولا ينازع فيه أحداً، فضلاً عن أن يرفع الأمر إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» ليفصل فيه.

---

(١) شرح النهج للمعتزلي ج١٤ ص٢٣٧ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٥٥.

(٢) شرح النهج للمعتزلي ج١٤ ص٢٣٧ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٥٥.

(٣) كنز الفوائد للكراجكي ص١٣٧ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢١٦ و ٢٦٣ وشجرة طوبى ج٢ ص٢٩٠ وأعيان الشيعة ج١ ص٣٩٩ والإرشاد (ط دار المفيد) ج١ ص١١٢ والدر النظيم ص١٦٩ وكشف الغمة ج١ ص٢٠٨.

الفصل الخامس:

قلع باب خيبر في الحديث والتاريخ..

علي عليه السلام قالع باب خيبر:

ومن الأمور التي لا يرتاب منها أحد، وقد شاعت وذاعت بين الناس: قلع علي باب حصن خيبر.

فقد قالوا: «وقتل علي يومئذٍ ثمانية من رؤسائهم، وفر الباقون إلى الحصن، فتبعهم المسلمون. فبينما علي يشتد في أثرهم، إذ ضربه يهودي على يده ضربة سقط منها الترس، فبادر يهودي آخر، فأخذ الترس، فغضب علي، فتناول باب الحصن، وكان من حديد، فقلعه، وترس به عن نفسه»(١).

---

(١) تاريخ الخميس ج٢ ص٥١ وراجع: ذخائر العقبى ص٧٣ ومسند أحمد ج٦ ص٨ والدرر لابن عبد البر ص١٩٨ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٤١١ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج٤ ص٢١٦ والسيرة النبوية لابن هشام (ط محمد علي صبيح) ج٣ ص٧٩٨ والمناقب للخوارزمي ص١٧٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٥٩ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٢٨ وينابيع المودة ج٢ ص١٦٤ وبحار الأنوار ج٢١ ص٤ و مجمع البيان ج٩ ص٢٠٢ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٠١ والكامل في التاريخ ج٢ ص٢٢٠.

قال ابن إسحاق: حدثني عبد الله بن حسن، عن بعض أهله، عن أبي رافع مولى رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: خرجنا مع علي بن أبي طالب «عليه السلام» حين بعثه رسول الله «صلى الله عليه وآله» برايته، فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم، فضربه رجل من يهود ـ وقد صرحوا بأنه مرحب(١) ـ فطرح ترسه من يده، فتناول علي باباً كان عند الحصن فترَّس به عن نفسه، فلم يزل في يده، وهو يقاتل، حتى فتح الله تعالى عليه الحصن.

ثم ألقاه من يده حين فرغ، فلقد رأيتني في نفر سبعة أنا ثامنهم، نجهد على أن نقلب ذلك الباب، فما نقلبه(٢).

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٣٧ و (ط دار المعرفة) ج٢ ص٧٣٧ وإمتاع الأسماع ج١ ص٣١٠ وأعيان الشيعة ج١ ص٤٠٥ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٥ ص٤١٩ وج٨ ص٣٨٩.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام (ط المكتبة الخيرية بمصر) ج٣ ص١٧٥ و (ط محمد علي صبيح) ج٣ ص٧٩٨ والمناقب للخوارزمي ص١٧٢ وتاريخ الأمم والملوك ج٣ ص٣٠ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج٢ ص٣٠١ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٢٨ ومطالب السؤول ص٢١٠ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص١١٠ والجوهرة في نسب الإمام علي وآله ص٧٠ والكامل في التاريخ ج٢ ص٢٢٠ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٤١١ و ٦٢٦ وشرح أصول الكافي ج٦ ص١٣٧ وج١٢ ص٤٩٨ وبحار الأنوار ج٢١ ص٤ ومناقب أهل البيت =

وعن زرارة، عن الإمام الباقر «عليه السلام»: انتهى إلى باب الحصن، وقد أغلق الباب في وجهه، فاجتذبه اجتذاباً، وتترس به، ثم حمله على ظهره، واقتحم الحصن اقتحاماً، واقتحم المسلمون، والباب على ظهره..

إلى أن قال «عليه السلام»: ثم رمى بالباب رمياً الخ..(١).

قال الدياربكري: ثم لما وضعت الحرب أوزارها ألقى علي ذلك الباب الحديد وراء ظهره ثمانين شبراً.. وفي هذا قال الشاعر:

= للشيرواني ص١٤٠ ومستدرك سفينة البحار ج٣ ص١١ ومجمع الزوائد ج٦ ص١٥٢ وفتح الباري ج٧ ص٣٦٧ والدرر لابن عبد البر ص١٩٨ ومجمع البيان ج٩ ص٢٠٢ وتفسير الثعلبي ج٩ ص٥١ والدر النظيم ص١٧٥ وكشف الغمة ج١ ص٢١٢ وعيون الأثر ج٢ ص١٣٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٥٩ وراجع: الإصابة ج٢ ص٥٠٢.

وراجع: تذكرة الخواص ص٢٧ والبداية والنهاية ج٤ ص١٨٥ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج٤ ص٢١٦ وذخائر العقبى (ط مكتبة القدسي) ص٧٤ و ٧٥ والرياض النضرة (ط محمد أمين بمصر) ج١ ص١٨٥ ـ ١٨٨ ومعارج النبوة ص٢١٩ والسيرة الحلبية ج٣ ص٣٧ و (ط دار المعرفة) ج٢ ص٧٣٧ ومسند أحمد ج٦ ص٨ وتاريخ الخميس ج١ ص٥١ عن المنتقى، والتوضيح، عن الطبراني، وأحمد.

(١) بحار الأنوار ج٢١ ص٢٢ وج٤١ ص٢٨٠ وإعلام الورى ج١ ص٢٠٨ ومدينة المعاجز ج١ ص١٧٦ ومناقب آل أبي طالب ج٢ ص١٢٥ ونهج الإيمان ص٣٢٤.

علي رمى باب المدينة خيبر ثمانين شبراً وافياً لم يثلم[١]

غير أن الحلبي قال: «قال بعضهم: في هذا الخبر جهالة وانقطاع ظاهر.

قال: وقيل: ولم يقدر على حمله أربعون رجلاً. وقيل: سبعون.

وفي رواية: أن علياً كرم الله وجهه لما انتهى إلى باب الحصن اجتذب أحد أبوابه، فألقاه بالأرض، فاجتمع عليه بعده سبعون رجلاً، فكان جهداً أن أعادوه إلى مكانه»[٢].

وقال القسطلاني وغيره: «قلع علي باب خيبر، ولم يحركه سبعون رجلاً إلا بعد جهد»[٣].

وروى البيهقي من طريقين: عن المطلب بن زياد، عن ليث بن أبي سليم، عن أبي جعفر محمد بن علي «عليه السلام» عن آبائه، قال: حدثني جابر بن عبد الله: أن علياً «عليه السلام» حمل الباب يوم خيبر، حتى صعد عليه المسلمون فافتتحوها. وأنه جرب بعد ذلك فلم يحمله أربعون رجلاً.

---

(١) تاريخ الخميس ج٢ ص٥١ وراجع: السيرة الحلبية ج٣ ص٣٧ و (ط دار المعرفة) ج٢ ص٧٣٧.

(٢) السيرة الحلبية ج٣ ص٣٧ و (ط دار المعرفة) ج٢ ص٧٣٧ وتاريخ الخميس ج٢ ص٥١ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٢٨ والإصابة ج٢ ص٥٠٢ والبداية والنهاية ج٤ ص١٨٤ وعن البيهقي، والحاكم.

(٣) شرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٨ ص٣٨٣ عن الأنوار المحمدية (ط بيروت) ص٩٨.

رجاله ثقات إلا ليث بن أبي سليم، وهو ضعيف(١).

وفي شواهد النبوة: روي أن علياً «عليه السلام» بعد ذلك حمله على ظهره، وجعله قنطرة حتى دخل المسلمون الحصن(٢).

وهذا إشارة إلى وجود خندق كان هناك.

فلما أغلقوا باب الحصن صار أمير المؤمنين «عليه السلام» إليه، فعالجه حتى فتحه، وأكثر الناس من جانب الخندق لم يعبروا معه، فأخذ أمير المؤمنين «عليه السلام» باب الحصن فجعله على الخندق جسراً لهم، حتى عبروا، فظفروا بالحصن، ونالوا الغنائم.

فلما انصرفوا من الحصن أخذه أمير المؤمنين «عليه السلام» بيمناه، فدحا به أذرعاً من الأرض. وكان الباب يغلقه عشرون رجلاً(٣).

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٢٨ و ١٢٩ ودلائل النبوة للبيهقي ج٤ ص٢١٢ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٩٠ والبداية والنهاية ج٤ ص١٨٩ والسيرة الحلبية ج٣ ص٣٧ وراجع: تذكرة الخواص ص٢٧ والرياض النضرة (ط محمد أمين بمصر) ج١ ص١٨٥ ـ ١٨٨ ومعارج النبوة ص٢١٩ وتاريخ الخميس ج٢ ص٥١ عن الحاكم، والبيهقي، وبحار الأنوار ج٢١ ص١٩ وفي هامشه عن المجالس والأخبار ص٦.

(٢) تاريخ الخميس ج٢ ص٥١ وراجع: تحف العقول ص٣٤٦.

(٣) بحار الأنوار ج٢١ ص١٦ وج٤١ ص٢٨١ والإرشاد للمفيد ج١ ص١٢٨ وعن مناقب آل أبي طالب ج٢ ص١٢٦ ومدينة المعاجز ج١ ص١٧٥.

وخُبِّر النبي «صلى الله عليه وآله» عن رميه «عليه السلام» باب خيبر أربعين شبراً، فقال «صلى الله عليه وآله»: والذي نفسي بيده، لقد أعانه عليه أربعون ملكاً[1].

قال الشيخ المفيد «رحمه الله»: روى أصحاب الآثار عن الحسن بن صالح، عن الأعمش، عن أبي عبد الله الجدلي قال: سمعت أمير المؤمنين «عليه السلام» يقول: لما عالجت باب خيبر، جعلته مجناً لي، فقاتلتهم به، فلما أخزاهم الله، وضعت الباب على حصنهم طريقاً، ثم رميت به في خندقهم.

فقال له رجل: لقد حملت منه ثقلاً.

فقال: ما كان إلا مثل جنتي التي في يدي في غير ذلك المقام[2].

ولا عجب في ذلك، فإنه هو الذي يقول: إنه ما قلع باب خيبر بقوة جسمانية، ولكن بقوة إلهية[3].

وقال بعض الصحابة: ما عجبنا ـ يا رسول الله ـ من قوته في حمله ورميه وإتراسه، وإنما عجبنا من إجساره، وإحدى طرفيه على يده!

---

(١) بحار الأنوار ج٢١ ص١٩ وفي هامشه عن مناقب آل أبي طالب ج٢ ص٧٨.

(٢) الإرشاد للمفيد ج١ ص١٢٨ وأعيان الشيعة ج١ ص٣٣٩ والثاقب في المناقب ص٢٥٨ وشرح مئة كلمة لأمير المؤمنين لابن ميثم البحراني ص٢٥٧ ومدينة المعاجز ج١ ص١٧١ وبحار الأنوار ج٢١ ص١٦ و ١٧ وكشف الغمة ج١ ص٢١٥ ونهج الإيمان ص٣٢٣.

(٣) ستأتي مصادر ذلك إن شاء الله.

فقال النبي «صلى الله عليه وآله» كلاما معناه: يا هذا، نظرت إلى يده، فانظر إلى رجليه.

قال: فنظرت إلى رجليه، فوجدتهما معلقين، فقلت: هذا أعجب، رجلاه على الهواء؟!

فقال «صلى الله عليه وآله»: ليستا على الهواء، وإنما هما على جناحي جبرئيل(١).

ونقول:

لا مجال لاعتبار هذا من الخرافة، فإن الله تبارك وتعالى يفعل أعظم من ذلك لمن يشاء من عباده المخلصين والمجاهدين. وقد قال تعالى في كتابه: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾(٢).

وأن يضع جبريل جناحه تحت قدمي علي «عليه السلام» هو أحد مفردات تثبيت الأقدام، ومن أجلى مظاهر النصر الإلهي.

التشكيك غير المنطقي:

قال القسطلاني: قال شيخنا: «قال بعضهم: وطرق حديث الباب كلها واهية، ولذا أنكره بعض العلماء»(٣).

---

(١) بحار الأنوار ج٤١ ص٢٨١ عن روض الجنان.

(٢) الآية ٧ من سورة محمد.

(٣) تاريخ الخميس ج٢ ص٥١ عن المواهب اللدنية وراجع: السيرة الحلبية ج٣ ص٣٧ و (ط دار المعرفة) ج٢ ص٧٣٧.

وفي بعضها قال الذهبي: إنه منكر.

وفي الإمتاع: وزعم بعضهم: أن حمل علي كرم الله وجهه الباب لا أصل له، وإنما يروونه عن رعاع الناس، وليس كذلك.

ثم ذكر جملة ممن خرجه من الحفاظ»[1].

ونقول:

إن لنا هنا العديد من الوقفات، نجملها فيما يلي:

خبر قلع الباب صحيح:

وتقدم أنهم زعموا: أن خبر قلع باب خيبر بعضه فيه جهالة، وبعضه فيه انقطاع، وبعضه ضعيف أو منكر..

بل فيهم من يقول: طرق حديث الباب كلها واهية، أو يقول: حديث الباب لا أصل له، أو أنه يروي عن رعاع الناس..

ونقول:

أولاً: إذا ثبت حديث قلع الباب أو غيره من طريق أهل البيت «عليه السلام» فذلك يكفينا عن كل حديث، لأن أهل البيت هم سفينة نوح، وهم أحد الثقلين الذين لن يضل من تمسك بهما.

ثانياً: لقد روى حديث قلع باب خيبر محدثوا أهل السنة، وأثبته علماء

---

(١) إمتاع الأسماع ج١ ص٣١٠ والسيرة الحلبية ج٣ ص٣٧ و (ط دار المعرفة) ج٢ ص٧٣٧. وراجع: كشف الخفاء للعجلوني ج١ ص٢٣٢

المسلمين في كتبهم، وذكروا أن أربعين أو سبعين رجلاً عَجَزوا عن حمله.. فإذا كان هذا الحديث مكذوباً أو مختلقاً، فمعنى ذلك اتهام محدثي أهل السنة وعلمائهم بالكذب والإختلاق، لأنهم قد رووه وتناقلوه بأسانيدهم وفي مصادرهم.. لأن رواية هذا الحديث لا تنحصر بشيعة أهل البيت «عليهم السلام».

ثالثاً: ضعف سند الحديث لا يبرر الحكم عليه بأنه مكذوب أو موضوع، لأن الكذاب والوضاع لا يكون جميع ما يرويه مكذوباً، بل يكون الكثير أو ربما أكثر ما يرويه صحيحاً، ولكنه يدخل فيه بعض الموضوعات أو التحريفات التي توافق أغراضه.

إذ لو كان جميع ما يقوله الوضاع والكذاب موضوعاً لم يجد من يروي عنه، فلا معنى للحكم الجازم بكذب حديث قلع الباب حتى لو فرضنا أن راويه يتهم بالكذب أو بالوضع..

رابعاً: لقد حكموا على بعض طرق الحديث: بأن فيه انقطاعاً.

وقالوا عن خبر آخر: إن رجاله ثقات، باستثناء شخص واحد هو ليث بن أبي سليم، مع أنه وإن ضعَّف الكثيرون منهم ليثاً هذا، ولكن آخرين منهم قد أثنوا عليه، ووصفوه بالصلاح والعبادة، وبغير ذلك، ولم يصفه أحد بالكذب، ولا بالوضع على الإطلاق..

بل غاية ما قالوه عنه: إنه ضعيف في الحديث، أو مضطرب الحديث، أو ليِّن الحديث، أو نحو ذلك.. وذكروا هم أنفسهم أن سبب قولهم هذا: هو أنه اختلط في آخر عمره.

فذلك يدل على: أنه في نفسه ليس من رعاع الناس، وإليك طائفة من كلماتهم فيه، نأخذها من كتاب تهذيب التهذيب متناً وهامشاً.

قال الذهبي: أحد العلماء، كوفي.

وقال ابن حجر في تقريب التهذيب: صدوق، اختلط أخيراً، ولم يتميز حديثه، فترك.

وقال العجلي: جائز الحديث.

وقال عبد الوارث: من أوعية العلم.

وقال ابن معين: منكر الحديث، صاحب سنة.

وقال عثمان ابن أبي شيبة: صدوق ضعيف الحديث.

وقال ابن شاهين: في الثقات.

وقال الساجي: صدوق فيه ضعف، كان سيِّئ الحفظ، كثير الغلط.

وقال البزار: كان أحد العُبَّاد، إلا أنه أصابه اختلاط، فاضطرب حديثه، وإنما تكلم فيه أهل العلم بهذا، وإلا فلا نعلم أحداً ترك حديثه..

وقال ابن سعيد: كان رجلاً صالحاً عابداً.. وكان ضعيفاً في الحديث..

ثم ذكر: أنه كان يسأل عطاء، وطاووساً، ومجاهداً، فيختلفون فيه، فيروي أنهم اتفقوا من غير تعمد.

وقال ابن حِبان: اختلط في آخر عمره، فكان يقلب الأسانيد، ويرفع المراسيل الخ..

وقال الدارقطني: صاحب سنة، يكتب حديثه، إنما أنكر عليه الجمع

بين عطاء، وطاووس، ومجاهد حسب..

وسئل عنه يحيى، فقال: لا بأس به.

وقال ابن عدي: له أحاديث صالحة، وقد روى عنه شعبة والثوري، ومع الضعف الذي فيه يكتب حديثه.

وقال محمد: ليث صدوق، يهم.

وقال فضيل بن عياض: كان ليث أعلم أهل الكوفة بالمناسك.

وسأل ابن أبي حاتم أباه عنه، فقال: ليث عن طاووس أحب إلي من سلمة بن وهرام عن طاووس.

قلت: أليس تكلموا في ليث؟!

قال: ليث أشهر من سلمة. ولا نعلم روى عن سلمة إلا ابن عيينة، وربيعة.

فهذه العبارات وأمثالها أفادت: أن اختلاطه في آخر عمره هو السبب في تكلمهم في حديثه، أما هو نفسه فقد وصفوه بأجل الأوصاف كما رأينا..

فإذا حصل الإطمئنان: بأن ما رواه إنما رواه قبل الإختلاط، خصوصاً إذا تأيدت صحته من طرق أخرى، كما في رواية عبد الله بن حسن، عن بعض أهله، عن أبي رافع، وكذلك غيرها من الطرق التي ذكرها البيهقي في دلائل النبوة، وما أورده في الإمتاع، فإن الرواية تصبح صحيحة، ولا يكون رواتها من الرعاع، وليس فيها انقطاع ولا جهالة، ولا غير ذلك.

رابعاً: ذكر العلماء: أن تعدد طرق الحديث يعد من الشواهد التي

توصله إلى درجة الحسن[١].

وقال الزرقاني: «..ومن القواعد: أن تعدد الطرق يفيد: أن للحديث أصلاً»[٢].

خامساً: ما معنى وصف رواة هذا الحديث بأنهم من رعاع الناس.. وفيهم جعفر بن محمد، عن آبائه «عليهم السلام»، وفيهم أبو رافع، وعبد الله بن حسن، وسواهم ممن يعتمد عليهم نفس هؤلاء الجارحين ويصفونهم بالأوصاف الحميدة، ويثنون عليهم الثناء الجميل، ويعظمونهم؟!

اختلافات لا أثر لها:

إن الروايات المتعارضة هي تلك التي يكون موضوعها ومحمولها واحداً ذاتاً، وزماناً ومكاناً، وجهةً، وشرطاً وإضافة، وقوة، وفعلاً، وفي الكل والجزء وغير ذلك.. ولكن إحداها تثبت هذا المحمول لذلك الموضوع، والأخرى تنفيه..

وفي مثل هذه الحال لا بد من طرح الروايتين، إن لم يمكن ترجيح إحداهما بمرجح مقبول ومعقول، وطرح الأخرى، أو إذا لم يمكن الأخذ بهما معاً بإسقاط التناقض، باكتشاف الخلل في أحد العناصر التي يتحقق بها التنافي، بشرط أن لا يكون جمعاً تبرعياً اقتراحياً، ليس له شاهد يؤيده.

---

(١) راجع: نسيم الرياض ج٣ ص١٠ و ١١ وتحفة الأحوذي ج٢ ص٣٧٢.

(٢) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٦ ص٤٩٠.

وقد نجد في أحاديث ما جرى في خيبر بعض الروايات التي يظن لأول وهلة أنها متناقضة، فإذا تأمل فيها الباحث اكتشف أنها ليست كذلك، ونذكر منها ما يلي:

١ ـ أربعون أم سبعون:

تقدم: أن الذين حاولوا حمل الباب الذي أخذه علي «عليه السلام» بيده هم ثمانية رجال، وفي أخرى أنهم أربعون، وفي ثالثة: سبعون رجلاً.. فقد يتخيل أن ثمة تناقضاً..

ويمكن الجواب بأن من الممكن أن تكون هناك أكثر من محاولة لحمل ذلك الباب، أو لتحريكه، فحاول ثمانية رجال، ثم أربعون، وفي مرة ثالثة حاول سبعون، فعجزوا جميعاً عن حمله..

فلا يمكن إحراز توفر عناصر التناقض في هذا المورد، ليكون ذلك من موجبات ضعف أو سقوط الرواية عن الإعتبار..

٢ ـ باب واحد أو بابان..

وفي بعض الروايات: أن علياً «عليه السلام» اقتلع باب الحصن، وبعضها الآخر يقول: إن ترسه طرح من يده، فوجد عند الحصن باباً، فأخذه فترس به عن نفسه.

ويجاب: بأن الروايتين صريحتان بالإختلاف الموجب لدفع الشبهة، فإحداهما: تصرح بأنه قد اقتلع باب الحصن حين كان يهاجمه.. والأخرى: تصرح بأنه وجد باباً عند الحصن فترس به عن نفسه، أي قبل اقتلاع باب

الحصن.. ولا مانع من حصول كلا الأمرين.

وبذلك تنحل الإختلافات الأخرى التي تقول: تارة إن الباب من الحجر تارة، وإنه من الحديد تارة أخرى..

ولعل بعض الرواة قد خلط في توصيفه للباب المقتلع بما هو وصف للباب الملقى على الأرض، أو عكس ذلك.

ولعل إحدى الروايتين، التي تقول: إنه لم يستطع الثمانية أن يقلبوه ناظرة إلى أحد البابين، والأخرى تتحدث عن عجز الأربعين والسبعين عن الباب الآخر..

٣ ـ المناداة من السماء:

وكذلك الحال بالنسبة للمناداة من السماء:

لا سيف إلا ذو الفَقار ولا فتى إلا علي

حيث ذكرت روايات أن ذلك كان في أحد، وأخرى إنه كان في بدر، وثالثة إنه كان في خيبر، أو غيرها..

فظهر التناقض بين هذه الأخبار..

ونجيب: بأنه لا مانع من أن يكون النداء بذلك من السماء قد حصل في المواطن الثلاثة: بدر، وأحد، وخيبر.. وسواها.. إذ لم تصرح أية واحدة منها بنفي حصول ذلك في غير موردها.. بل اقتصرت على التنويه بحصول ذلك في الواقعة التي تتحدث عنها..

لا سيف إلا ذو الفقار في المواطن الثلاثة:

قلنا: إن الروايات ذكرت أن الناس سمعوا تكبيراً من السماء في ذلك اليوم، وسمعوا نداء يقول:

لا سـيـف إلا ذو الـفـقـــار ولا فـتـــى إلا عـــلي

ورووا أيضاً: أن علياً «عليه السلام» لما شطر مرحباً شطرين نزل جبرئيل من السماء متعجباً، فقال له النبي «صلى الله عليه وآله»: ممَّ تعجبت؟!

فقال: إن الملائكة تنادي في صوامع جوامع السماوات:

لا سـيـف إلا ذو الـفـقـــار ولا فـتـــى إلا عـــلي(١)

وذكر أحمد في الفضائل: أنهم سمعوا تكبيراً من السماء في ذلك اليوم، وقائلاً يقول:

لا سـيـف إلا ذو الـفـقـــار ولا فـتـــى إلا عـــلي

فاستأذن حسان بن ثابت رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن ينشد شعراً، فأذن له، فقال:

جـبريـل نـــادى مـعـلنـــاً والـنـقـع لـيس بـمـنـجـلي

---

(١) بحار الأنوار ج٢١ ص٤٠ عن مشارق أنوار اليقين، وراجع: حلية الأبرار للبحراني ج٢ ص١٦١ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٨ ص٣١٩ ومجمع النورين ص١٧٨ و ١٩٤ وشجرة طوبى ج٢ ص٢٩٢.

والمسلمون قد احدقوا حول النبي المرسل
لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي(١)

قال سبط ابن الجوزي: «فإن قيل: قد ضعَّفوا لفظة: لا سيف إلا ذو الفقار.

قلنا: الذي ذكروه: أن الواقعة كانت في يوم أحد.

ونحن نقول: إنها كانت في يوم خيبر». وكذا ذكر أحمد بن حنبل في الفضائل.

وفي يوم أحد، فإن ابن عباس قال: لما قتل علي «عليه السلام» طلحة بن أبي طلحة حامل لواء المشركين صاح صائح من السماء:

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي

قالوا: في أسناد هذه الرواية عيسى بن مهران، تكلم فيه، وقالوا: كان شيعياً.

أما يوم خيبر فلم يطعن فيه أحد من العلماء»(٢).

وقيل: إن ذلك كان يوم بدر. والأول أصح.

---

(١) راجع: الإحتجاج للطبرسي ج١ ص١٦٧ ونهج الإيمان لابن جبر ص١٧٧ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٦ ص١٧ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٥٢ والغدير ج٢ ص٥٩ وج٧ ص٢٠٥ وتذكرة الخواص ص١٦.

(٢) الغدير للأميني ج٢ ص٦٠ عن تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي ص١٦.

مضمون النداء دلالة ومعنى:

قد تحدثنا في واقعة أحد عن بعض ما نستفيده من هذا النداء، ونزيد هنا الأمور التالية:

الأول: إن هذا التكبير وذلك النداء حجة قاطعة على الأعداء، وعلى الأولياء، يفرض عليهم اليقين بحقانية هذا الدين، وبأنه مرعي من الله، وأنه ظاهر ومنصور لا محالة.

فلا معنى لاستمرار المكابرة، ولا مبرر للقتال، إلا إذا اعتقد هؤلاء الناس أنهم أقوى من الله، وأن بإمكانهم أن يغلبوا ربهم، ويفرضوا عليه إراداتهم.

لا بد أن تزيل عنهم هذه الكرامة (المعجزة) كل شبهة، وتغنيهم عن الأدلة والبراهين.. وتفهمهم أن حربهم على الإسلام والمسلمين، حرب باغية وظالمة وبلا مبرر، وأنهم إنما ينقادون فيها لشهواتهم، وعصبياتهم وأهوائهم..

كما أنه لا بد لأهل هذا الدين من أن يتعمق ويترسخ إيمانهم به، ويزول كل ترديد أو شبهة لهم فيه، ولا بد أيضاً من أن يزول الخوف عنهم، وأن تزيد صلابتهم في الدفاع عنه..

فما معنى فرارهم من الزحف هنا.. وما المبرر لفرارهم في حنين وأحد، وذات السلاسل، وقريظة وغيرها من المواطن؟!

ثم إن ذلك لا بد أن يسقط هيمنة القوة من نفوسهم، فلا مجال بعد للإنبهار بكثرة الأعداء، أو بحسن عدتهم وظهور قوتهم..

الثاني: إن هذا النداء يتضمن تعريضاً بأولئك الهاربين، ويبين أن سيوفهم ليست سيوفاً حقيقة، وإنما هي أشكال سيوف.. لأن السيف لا بد أن يجد موقعه في رقاب أهل البغي والطغيان، والجحود، ودوره في الذب عن الحق وأهله، فإذا لم يحصل ذلك فإن وجوده يكون كعدمه.. فيصح نفي صفة السيف عنه..

الثالث: إن الفتوة والرجولة، تعني القوة، والمنعة، والقوة تؤثر فيما عداها وتفعل فيه، والضعف منفعل ومحل لظهور الأثر.. فإذا أصبحت القوة بلا أثر، فإن وجودها أيضاً كعدمها.. ولذلك صح النداء:

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي

الرابع: إن أهم سبب للعناد والجحود، والمكابرة لدى المشركين واليهود هو الشعور بالقوة، والإعتماد على الكثرة في العدد، وعلى حسن العدة وتوفرها. وقد أظهرت الحروب التي سلفت، ابتداء من بدر، مروراً بأحد، وحمراء الأسد، والنضير، وقينقاع، والخندق وقريظة، وظهر الآن في خيبر: أن ما اعتمد عليه المشركون واليهود في هذه المواطن وسواها لم يكن مفيداً، ولا مؤثراً، بل سقط كله تحت أقدام رجل واحد اسمه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام»، وكان نصيب أهل الكثرة والعدة والعدد هو الفناء، والدمار، والسقوط والبَوار، وظهر لهم أن الله أكبر من كل شيء عندهم، وأن كل ما سوى الله يباب وسراب..

اهتزاز حصن خيبر:

ورووا: أنه لما اقتلع علي «عليه السلام» باب خيبر اهتز الحصن كله،

حتى سقطت صفية عن سريرها، فشجها جانب السرير[1]. وهي كرامة صنعها الله تعالى لعلي «عليه السلام»، كان لا بد أن يعرف بها يهود خيبر كلهم، لتقوم بذلك الحجة عليهم.. وليتناقل الناس هذا الحدث الكبير، ويعرف النساء والرجال، والصغار والكبار.. ليحيي من حيي عن بينة، ويهلك من هلك عن بينة.

وذلك منه تعالى لطف بالأحياء منهم، لأنه يتضمن فتح باب الهداية لهم..

وكان اهتزاز الحصن كله هو الوسيلة الفضلى التي لا مجال للريب فيها والأداة الأصلح لهذا التعريف.. كما هو ظاهر لا يخفى..

ما قلعته بقوة جسمانية:

ورووا أيضاً: أن علياً «عليه السلام» قال: ما قلعت باب خيبر بقوة جسمانية، ولكن بقوة إلهية[2].

---

(١) معارج النبوة ص٣٢٣ و ٢١٩ ومشارق أنوار اليقين ص١٧٠ وحلية الأبرار ج٢ ص١٦١ ومدينة المعاجز ج١ ص٤٢٥ وبحار الأنوار ج٢١ ص٤٠ وشجرة طوبى ج٢ ص٢٩٣ ومستدرك سفينة البحار ج٧ ص٥٧٦ .

(٢) المواقف للإيجي ج٣ ص٦٢٨ و ٦٣٨ وتاريخ الخميس ج٢ ص٥١ عن شرح المواقف، وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٢٠ ص٣١٦ والطرائف لابن طاووس ص٥١٩ وشرح مئة كلمة لأمير المؤمنين لابن ميثم ص٢٥٧ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٤٣٠ وبحار الأنوار ج٥٥ ص٤٧ وج٧٠ ص٧٦ وج٨٤ =

وفي نص آخر: أن عمر سأل علياً «عليه السلام» قال: يا أبا الحسن، لقد اقتلعت منيعاً، وأنت ثلاثة أيام خميصاً، فهل قلعتها بقوة بشرية؟!

فقال «عليه السلام»: ما قلعتها بقوة بشرية، ولكن قلعتها بقوة إلهية، ونفس بلقاء ربها مطمئنة رضية(١).

وجاء في رسالته «عليه السلام» لسهل بن حنيف قوله: «والله، ما قلعت باب خيبر، ورميت به خلف ظهري أربعين ذراعاً بقوة جسدية، ولا حركة غذائية، لكنني أيدت بقوة ملكوتية، ونفس بنور ربها مضيئة، وأنا من أحمد كالضوء من الضوء الخ..»(٢).

ونقول:

١ ـ إن أمير المؤمنين «عليه السلام» عرف نفسه فعرف ربه، عرف في نفسه الضعف، فعرف أن القوة من الله، وعرف في نفسه الحاجة، فعرف الله تعالى بالغنى، وعرف نفسه بأنها مخلوقة، فعرف ربه بالخالقية، وهكذا.. فاستمد كل كمالاته منه تعالى.

ولأجل ذلك نلاحظ: أنه حين قلع باب خيبر، وجعله ترساً، أو جعله

= ص٣٢ وج٩٩ ص١٣٨ ومناقب أهل البيت «عليه السلام» للشيرواني ص٢٢٢ والدر النظيم ص٢٧١ وكشف اليقين ص١٤١.

(١) بحار الأنوار ج٢١ ص٤٠ عن مشارق أنوار اليقين.

(٢) الأمالي للصدوق ص٣٠٧ و (ط مؤسسة البعثة) ص٦٠٤ وبحار الأنوار ج٢١ ص٢٦ ونهج السعادة ج٥ ص٢١.

جسراً، يعبر عليه الناس.. كان أشد تذكراً لله تعالى، ورؤية لنعمه، وإحساساً بكرمه، وألطافه، وأعمق شعوراً بفضله عليه، فجاء اعترافه بهذه الحقيقة التي يراها رأي العين بمثابة الشكر والتعظيم له تعالى، وليعلمنا أن على الإنسان أن لا يغتر بنفسه، وأن يستكين ويخضع أمام عظمة ربه تبارك وتعالى..

٢ ـ إن قوله هذا «عليه السلام» يهدف إلى إبعاد شبح الغلو فيه، بتقويض مبررات هذا الغلو، لأن مبرر الغلو هو توهم أن يكون «عليه السلام» قد قلع الباب بقوته الجسدية.. وهذا درس آخر للناس، يتضمن أن عليهم أن لا يأخذوا الأمور على ظواهرها، بل لا بد من التدبر والتفكر، ووضع كل شيء في موضعه. ولا غرو فإنه «عليه السلام» كان يهتم بالحفاظ على صفاء الإيمان، ونقاء العقيدة من أية شائبة أو عائبة..

٣ ـ إنه «عليه السلام» أوضح: أن الإطمئنان بلقاء الله تعالى، يهون على النفس الإنسانية الإقدام على كل أمر تعرف أن فيه رضا الله تعالى.. أما من أخلد إلى الأرض، فإنه لن يحقق شيئاً، ولن يقدم على شيء ذي بال. بل هو سوف يعيش الضعف والهروب، والفشل الذريع، والخيبة القاتلة، والخزي في الدنيا، والخسران في الآخرة..

القموص ليس آخر ما فتح:

وقد صرحت بعض الروايات: بأن حصن القموص ليس هو آخر الحصون التي فتحها الرسول «صلى الله عليه وآله»، وعلي «عليه السلام». بل هناك قلعة أخرى فتحت بعده، يقول النص:

«ولما فتح علي حصن خيبر الأعلى بقيت لهم قلعة فيها جميع أموالهم،

ومأكولهم. ولم يكن عليها حرب بوجه من الوجوه.

فنزل رسول الله «صلى الله عليه وآله» محاصراً لمن فيها، فصار إليه يهودي منهم، فقال: يا محمد، تؤمنني على نفسي، وأهلي، ومالي، وولدي، حتى أدلك على فتح القلعة؟!

فقال له النبي «صلى الله عليه وآله»: أنت آمن، فما دلالتك؟!

قال: تأمر أن يحفر هذا الموضع؛ فإنهم يصيرون إلى ماء أهل القلعة، فيخرج ويبقون بلا ماء، ويسلمون إليك القلعة طوعاً.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أو يحدث الله غير هذا وقد أمناك..

فلما كان من الغد ركب رسول الله «صلى الله عليه وآله» بغلته، وقال للمسلمين: اتبعوني.

وسار نحو القلعة، فأقبلت السهام والحجارة نحوه، وهي تمر عن يمنته ويسرته، فلا تصيبه ولا أحداً من المسلمين شيء منها حتى وصل رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى باب القلعة.

فأشار بيده إلى حائطها، فانخفض الحائط حتى صار مع الأرض، وقال للناس: ادخلوا القلعة من رأس الحائط بغير كلفة»[1].

ونقول:

تستوقفنا هنا أمور عديدة، نكتفي منها بما يلي:

---

(١) الخرائج والجرائح ج١ ص١٦٤ و ١٦٥ وبحار الأنوار ج٢١ ص٣٠ و ٣١ عنه.

١ ـ إن هذه الرواية إذا صحت، فإنها تكون حجة على اليهود، تفرض عليهم التخلي عن اللجاج والعناد، وتوجب عليهم قبول الحق.. وتكون أيضاً آية للمسلمين، تقوي من ثباتهم، وتربط على قلوبهم. وتعرفهم بأن الله سبحانه يرعى نبيه «صلى الله عليه وآله»، ويحفظه، ويسهل له العسير، وأن انتصاره ليس متوقفاً على أحد منهم، ولا منوطاً بهم.

فإذا فروا، فإن فرارهم يحرمهم من الخيرات والبركات، ويوجب لهم المذلة في الدنيا، والخسران في الآخرة..

٢ ـ إنه «صلى الله عليه وآله» لم يعمل بمشورة اليهودي، واستعاض عنها بإظهار هذا الأمر الخارق للعادة، ليسهل على الناس تحصيل القناعة بهذا الدين، والدخول في زمرة أهل الإيمان، والتخلي عن الإستكبار والجحود..

٣ ـ إنه «صلى الله عليه وآله» رغم عدم عمله بمشورة ذلك اليهودي، لكنه لم يلغ الأمان الذي أعطاه إياه، بل هو قد صرح بأنه ملتزم به، وحافظ له..

٤ ـ نحتمل جداً أن تكون هذه القضية هي الرواية الصحيحة التي أوردناها في كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله»، أبواب غزوة خيبر، وفيها: أن بعض اليهود دل النبي «صلى الله عليه وآله» على دبول (أي جدول، أو نفق) لليهود تحت الأرض، وأنهم سوف يخرجون منه..

وربما تكون أيضاً هي الأصل للرواية الأخرى التي تزعم: أن النبي

«صلى الله عليه وآله» قد سمم لهم المياه التي يشربون منها. وقد عبرنا عن شكنا بصحة هذه الرواية أيضاً.

وللرواية الثالثة التي تقول: إنه «صلى الله عليه وآله» رمى حصن النزار بكف من تراب فساخ، ولم يبق له أي أثر. وذلك بعد قتال وحصار..

تواتر حديث جهاد علي عليه السلام في خيبر:

لقد روى حديث جهاد علي «عليه السلام» في خيبر جم غفير، وجماعة كثيرة، منهم:

١ ـ علي أمير المؤمنين «عليه السلام».

٢ ـ الحسن المجتبى «عليه السلام».

٣ ـ سهل بن سعد.

٤ ـ حسان بن ثابت.

٥ ـ بريدة الأسلمي.

٦ ـ سويد بن غفلة.

٧ ـ أبو ليلى الأنصاري.

٨ ـ عبد الرحمن بن أبي ليلى.

٩ ـ ابن عباس.

١٠ ـ عمر بن الخطاب.

١١ ـ أنس بن مالك.

١٢ ـ أبو هريرة.

١٣ ـ سلمة بن الأكوع.

١٤ ـ سعد بن مالك.

١٥ ـ عمران بن حصين.

١٦ ـ الضحاك الأنصاري.

١٧ ـ أبو سعيد الخدري.

١٨ ـ أبو رافع.

١٩ ـ ابن عمر.

٢٠ ـ جابر بن عبد الله الأنصاري.

٢١ ـ عامر بن سعد.

٢٢ ـ سعد بن أبي وقاص.

٢٣ ـ حذيفة.

ومعنى ذلك: أن هذا الحديث متواتر، والحديث المتواتر قطعي الصدور، ولا ينظر في رجال أسناده.

علي عليه السلام يفتح خيبر وحده:

تؤكد النصوص المتقدمة على أن علياً «عليه السلام» هو الذي فتح خيبر دون سواه، فقد ذكرت: أنه لما خرج أهل الحصن، بقيادة الحارث أخي مرحب، هاجموا أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» «فانكشف

المسلمون، وثبت علي»[١].

ويقول علي «عليه السلام» مخاطباً يهودياً سأله عن علامات الأوصياء:

«إنَّا وردنا مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» مدينة أصحابك خيبر، على رجال من اليهود وفرسانها، من قريش وغيرها، فتلقونا بأمثال الجبال، من الخيل، والرجال، والسلاح، وهم في أمنع دار، وأكثر عدد، كل ينادي، ويدعو، ويبادر إلى القتال، فلم يبرز إليهم من أصحابي أحد إلا قتلوه.

حتى إذا احمرت الحدق، ودعيت إلى النزال، وأهمت كل امرئ نفسه، والتفت بعض أصحابي إلى بعض، وكل يقول: يا أبا الحسن، انهض.

فأنهضني رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى دارهم، فلم يبرز إلي منهم أحد إلا قتلته، ولا يثبت لي فارس إلا طحنته، ثم شددت عليهم شدة الليث على فريسته حتى أدخلتهم جوف مدينتهم، مسدداً عليهم، فاقتلعت باب حصنهم بيدي، حتى دخلت عليهم مدينتهم وحدي، أقتل من يظهر فيها من رجالها، وأسبي من أجد من نسائها، حتى افتتحتها وحدي، ولم يكن لي فيها معاون إلا الله وحده»[٢].

---

(١) راجع: إمتاع الأسماع ج١ ص٣١٠ و ٣٣٣ والسيرة الحلبية ج٣ ص٣٧ و (ط دار المعرفة) ج٢ ص٧٣٧ والمغازي للواقدي ج٢ ص٦٥٣ و ٦٥٤ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٢٥ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٨ ص٣٨٦ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٧١ و ٤٠٣.

(٢) بحار الأنوار ج٢١ ص٢٧ وج٣٨ ص١٧١ والخصال ج٢ ص١٦ و (ط مركز =

وهذا صريح في: أن الذين كانوا مع علي «عليه السلام» قد هربوا عنه، وبقي «عليه السلام» وحده، وبالتالي يكون «عليه السلام» قد أخذ المدينة وحده.

ثم إن في هذا النص الذي ذكرناه إشارات عديدة، منها:

١ ـ **قد يقال**: إنه «عليه السلام» ذكر: أن اليهود لم يكونوا وحدهم في خيبر، بل كان معهم فرسان، من قريش، ومن غيرها. وقد بقوا يحاربون معهم إلى النهاية.. مع أن اليهود لم يكن معهم أحد من قريش..

ويجاب:

أولاً: لعل بعض فرسان قريش التحقوا بهم لمساعدتهم..

ثانياً: لعل كلمة: من قريش ومن غيرها، أريد بها توضيح المراد من الذين وردوا على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقد كان فيهم من قريش وغيرها، وكلهم سمع عن فرسان اليهود، وأخذتهم الرهبة منهم.

٢ ـ أن أعداد مقاتلي خيبر كانت كبيرة جداً، حتى إنه «عليه السلام» يصفهم بأمثال الجبال من الرجال، والخيل، والسلاح، وبأنهم قد قاتلوا المسلمين بأكثر عدد، وأمنع دار..

٣ ـ أن رغبة اليهود ومن معهم في الحرب كانت جامحة وقوية بصورة غير عادية..

= النشر الإسلامي) ص٣٦٩ ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج٣ ص١٢٧ والإختصاص للمفيد ص١٦٨ وحلية الأبرار ج٢ ص٣٦٤.

٤ ـ يظهر من كلامه «عليه السلام»: أن عدد القتلى من المسلمين لم يكن قليلاً، حيث قال: فلم يبرز من أصحابي أحد إلا قتلوه.

٥ ـ أن المسلمين تضايقوا إلى حدّ أن كلاً منهم قد أهمته نفسه.

٦ ـ أنهم كانوا يرون: أن أحداً سواه «عليه السلام» لا يستطيع كشف هذه الغمة عنهم، فكانوا يحثونه على مباشرة الحرب، رغم ما هو فيه من رمد في العين، وصداع في الرأس.

٧ ـ أنه «عليه السلام» قد طحن ذلك العدو طحناً، حتى أدخلهم إلى جوف حصنهم.

٨ ـ أنه «عليه السلام» قد اقتلع باب حصنهم، ودخل وحده، ولم يشاركه المسلمون في ذلك، فإن كانوا قد شاركوه فإنما كان ذلك بعد سكون رياح الحرب.. وانحسار كل خطر.

٩ ـ والأهم من ذلك: تأكيده «عليه السلام» على أنه هو الذي فتح خيبر، وأن أحداً غير الله تعالى لم يعنه على ذلك.

فلا يصح قولهم: «وقام الناس مع علي حتى أخذ المدينة».

لأن الناس بعد أن قاموا معه انهزموا أمام اليهود من أهل الحصن.

ولكن حين هاجمهم علي «عليه السلام»، وأخذ باباً كان عند الحصن، ثم قتل «عليه السلام» مرحباً وسائر الفرسان، انهزم اليهود إلى داخل حصنهم، فاقتلع «عليه السلام» بابه، وهاجمهم، فثاب إليه المسلمون، وحمل «عليه السلام» باب الحصن بيده، وصار المسلمون يصعدون عليه، ويمرون إلى الحصن، فلما حصل له ما أراد ألقاه خلف ظهره ثمانين شبراً..

فلم يساعده المسلمون في الفتح، كما تحاول بعض الروايات أن تدَّعيه، بل الحقيقة، كل الحقيقة هي: أن علياً «عليه السلام» قد فتح الحصن وحده، ومن دون مساعدة أحد.

ولأجل ذلك: نسب النبي «صلى الله عليه وآله» الفتح إلى علي «عليه السلام» كما تقدم. فقال: لا يرجع حتى يفتح الله على يديه.

كما أن نفس روايات الفتح فيها تصريحات عديدة بأنه «عليه السلام» هو الذي أخذ المدينة، ولا تشير طائفة منها إلى مشاركة أحد له في ذلك، فراجع النصوص في مصادرها تجد صحة ذلك.

بل هو «عليه السلام» قد فتح الحصن قبل أن يلحق آخر الناس بأولهم، كما صرحت به بعض الروايات(١).

وفي نص آخر: عن عبد الله بن عمر، قال: «فلا والله ما تتامت الخيل

---

(١) الإصابة ج٢ ص٥٠٢ و (ط دار الكتب العلمية) ج٤ ص٤٦٦ والمصنف لابن أبي شيبة ج٨ ص٥٢١ وكنز العمال ج١٠ ص٤٦٣ وبحار الأنوار ج٢١ ص٢٢ وإعلام الورى ج١ ص٢٠٧ ومسند أحمد ج٥ ص٣٥٨ ومجمع الزوائد ج٦ ص١٥٠ والسنن الكبرى للنسائي ج٥ ص١١٠ وتاريخ الأمم والملوك ج٣ ص٣٠٠ والمستدرك للحاكم ج٣ ص٤٣٧ وخصائص أمير المؤمنين للنسائي ص٥٥ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٤١١ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٥ ص٤٢٢ ومناقب الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» للكوفي ج٢ ص٥٠٩.

حتى فتحها الله عليه»(١).

وتقدم: أنهم قالوا في الحديث الوارد في تفسير قوله تعالى: ﴿..**وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً**﴾(٢): «أجمعوا على أنه فتح خيبر، وكان ذلك بيد علي بن أبي طالب بإجماع منهم».

وهذا، وسواه يجعلنا نعتقد: أن ذلك من الواضحات، فلا حاجة إلى تكثير النصوص والمصادر.

جراح علي عليه السلام في خيبر:

عن علي «عليه السلام» قال: جرحت في وقعة خيبر خمساً وعشرين جراحة، فجئت إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، فلما رأى ما بي بكى. وأخذ من دموع عينيه، فجعلها على الجراحات، فاسترحت من ساعتي(٣).

ونقول:

دل هذا الخبر على ما يلي:

أولاً: إن هذه الرواية لم تتضمن أمراً غير مألوف، فإن ما ذكرته من كثرة جراح علي «عليه السلام» في خيبر لا توجب الريب فيها، فقد كان

---

(١) مجمع الزوائد ج٩ ص١٢٣ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٥ ص٤٠٦.

(٢) الآية ١٨ من سورة الفتح.

(٣) كمال الدين وتمام النعمة ص٥٤٢ وبحار الأنوار ج٥١ ص٢٢٨ ومستدرك سفينة البحار ج٢ ص٤٨ وإلزام الناصب ج١ ص٢٧٠.

«عليه السلام» وكأنه يقاتلهم وحده، حيث سبق الجميع إليهم. ولم يكن أحد أقرب إليهم منه، وقد لحقوا به، وقد فتحها.. ولا بد أن تناله سهامهم ورماحهم، وحتى سيوفهم. فلماذا لا تصيبه الجراحات الكثيرة، وهو يواجه عشرات، بل مئات الرجال؟!

ثانياً: إن للأنبياء، والأوصياء، والأولياء، وأدعيتهم، ولمساتهم، ولريقهم وعرقهم، وكل ما هو منهم آثاراً لا يمكن إنكارها في الشفاء، وفي سائر الأحوال، وفوائد جليلة وكبيرة، في الكثير الكثير من الموارد والحالات..

فما ورد في هذه الرواية من تغير حال علي «عليه السلام» بمجرد جعل النبي «صلى الله عليه وآله» من دموع عينيه على الجراحات، ليس بالأمر المستغرب، فكم لهذا الأمر من نظير في حياته «صلى الله عليه وآله».

ثالثاً: إن ذلك يسقط مقولات من ينكر التبرك والإستشفاء، بالأنبياء وبآثارهم، وريقهم، ودموعهم، وعرقهم.

رابعاً: يلاحظ: أن علياً «عليه السلام» لم يقل: فشفيت من ساعتي. بل قال: فاسترحت من ساعتي، فالله تعالى يريد الكرامة الإلهية، والبركات النبوية من جهة، ثم هو نيله ثواب الجهاد، ومعانات آلام الجراح من جهة أخرى.

اللمسات الأخيرة:

قال العليمي المقدسي: كان فتح خيبر في صفر على يد علي «عليه السلام»[١].

---

(١) الأنس الجليل (ط الوهبية) ص١٧٩.

وعن آية: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ..﴾(١) قال جابر: «أولى الناس بهذه الآية علي بن أبي طالب «عليه السلام»، لأنه تعالى قال: ﴿وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً﴾(٢) أجمعوا على أنه فتح خيبر. وكان ذلك بيد علي بإجماع منهم»(٣).

وفي هذه المناسبة يقول حسان بن ثابت:

وكان علي أرمد العين يبتغي ... دواءً فلما لم يحس مداويا

شفاه رسول الله منه بتفلة ... فبورك مرقياً وبورك راقيا

وقال سأعطي راية القوم فارساً ... مكيناً شجاعاً في الحروب مجاريا

يحب إلهي والإله يحبه ... به يفتح الله الحصون الأوابيا

فخص لها دون البرية كلها ... علياً وسماه الولي المؤاخيا(٤)

والبيت الأوسط حسب رواية المفيد كما يلي:

---

(١) الآية ١٨ من سورة الفتح.

(٢) الآية ١٨ من سورة الفتح.

(٣) كفاية الطالب (ط الغري) ص١٢٠ عن الخوارزمي، وراجع: بحار الأنوار ج٣٦ ص١٢١ والمناقب للخوارزمي ص٢٧٦ وكشف الغمة ج١ ص٣١١ وغاية المرام ج٤ ص٢٨٨.

(٤) الفصول المهمة لابن الصباغ ص١٩ و (ط دار الحديث) ج١ ص٢١٧ والإرشاد للمفيد ج١ ص٦٤ و ١٢٨ وبحار الأنوار ج٢١ ص١٦ ورسائل المرتضى ج٤ ص١٠٤ ومناقب آل أبي طالب ج٢ ص٣٢٠ ومصادر كثيرة أخرى.

وقال سأعطي الراية اليوم صارماً كمـيـاً محبـاً للرسـول مواليـا[١]

وجاء في خطبة الإمام الحسن «عليه السلام» بعد شهادة أمير المؤمنين «عليه السلام»، قوله: منها قوله «صلى الله عليه وآله»:

لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله. ويقاتل جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، ثم لا ترد رايته حتى يفتح الله عليه[٢].

---

(١) الإرشاد للمفيد (ط دار المفيد) ج١ ص١٢٨ ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٢ ص٣٢٠ ومناقب الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» للكوفي ج٢ ص٤٩٩ وروضة الواعظين ص١٣١ ورسائل المرتضى ج٤ ص١٠٦ وبحار الأنوار ج٢١ ص١٦ وج٣٩ ص١٦وج٤١ ص٨٧ وإعلام الورى ج١ ص٣٦٥ والدر النظيم ص١٧٦ و ٣٩٨.

(٢) راجع: خصائص أمير المؤمنين «عليه السلام» للنسائي ص٦١ وينابيع المودة (ط إسلامبول) ص٢٠٨ و (ط دار الأسوة) ج٢ ص٢١٢ والثقات لابن حبان ج٢ ص٣٠٣ والسنن الكبرى للنسائي ج٥ ص١١٢ والذرية الطاهرة النبوية للدولابي ص١١٤ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٤ ص٤١٢ وج١٥ ص٦٣٢ وج١٦ ص٢٥٠ وج٢١ ص٤٨٠ وج٢٣ ص١٢٣ وج٢٦ ص٤٨٧ وج٣٠ ص١٨١ وج٣١ ص٢٨٤ وج٣٢ ص٢٦٦.

الفصل السادس:

فدك.. وحديث رد الشمس..

حدود فدك:

فدك: قرية بالحجاز ـ بينها وبين المدينة يومان، وقيل: ثلاثة ـ أفاءها الله على رسوله «صلى الله عليه وآله» في سنة سبع للهجرة صلحاً، فكانت خالصة له «صلى الله عليه وآله». وفيها عين فوارة، ونخل كثير.

روى عبد الله بن حماد الأنصاري: أن دخْلها كان أربعة وعشرين ألف دينار في كل سنة(١).

وفي رواية غيره: سبعين ألف دينار(٢).

حديث فدك:

زعموا: أن أهل فدك لما سمعوا ما جرى في فتح حصن الناعم في خيبر

---

(١) بحار الأنوار ج١٧ ص٣٧٩ وج٢٩ ص١١٦ ومستدرك سفينة البحار ج٨ ص١٥٢ و ج٩ ص٤٧٨ ومجمع النورين ص١١٧ و ١١٨ واللمعة البيضاء ص٣٠٠ والخرائج والجرائح ج١ ص١١٣.

(٢) كشف المحجة ص١٢٤ وسفينة البحار ج٧ ص٤٥ وبحار الأنوار ج٢٩ ص١٢٣ ومستدرك سفينة البحار ج٨ ص١٥٢ و ج٩ ص٤٧٨ ومجمع النورين ص١١٨ واللمعة البيضاء ص٣٠٠.

انصاعوا للصلح، رغم أنهم كانوا قد ترددوا في بادئ الأمر، فارسلوا إلى النبي جماعة منهم، فبعد القيل والقال صالحوه على أن لهم نصف أرضها، وللنبي النصف الآخر، فلما أجلاهم عمر، هم وأهل خيبر إلى الشام اشترى منهم حصتهم بمال من بيت المال(١).

وفي نص آخر: لما سمعوا ما فعل المسلمون بأهل خيبر، بعثوا إلى رسول الله يسألونه أن يسيرهم أيضاً، ويتركوا الأموال، ففعل(٢).

وهذا هو قول ابن اسحاق.

ونقول:

أولاً: لا صحة لما زعموه، من أن النبي «صلى الله عليه وآله» صالحهم على نصف أرضهم، ثم اشترى عمر منهم النصف الآخر..

---

(١) تاريخ الخميس ج٢ ص٥٨ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٢ ص٧٦٠ واللمعة البيضاء ص٢٩٧ و ٣٠٠ وراجع: السقيفة وفدك للجوهري ص٩٩ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٦ ص٢١٠ و ٢١١ وتاريخ المدينة لابن شبة ج١ ص١٩٤ وفتوح البلدان ج١ ص٣٣ والكامل في التاريخ ج٢ ص٢٢٥.

(٢) تاريخ الخميس ج٢ ص٥٨ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٤٢١ وبحار الأنوار ج٢١ ص٦ والدرر لابن عبد البر ص٢٠١ ومجمع البيان ج٩ ص٢٠٣ وتفسير البغوي ج٤ ص١٩٧ وتاريخ خليفة بن خياط ص٥٠ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٠٢ والكامل في التاريخ ج٢ ص٢٢١ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٨٠٠ واللمعة البيضاء ص٢٩٧ ومعجم ما استعجم ج٢ ص٥٢٣.

وقد تحدثنا عن ذلك في الجزء الثامن عشر من كتابنا الصحيح من سيرة النبي «صلى الله عليه وآله».. ونكتفي هنا بالإشارة إلى التناقض الذي وقع فيه هؤلاء.

فقد ذكر النص الذي أشار إلى ذلك: أنهم عرضوا أن يجليهم، فإذا كان أوان جذاذها، جاؤا فجذوها، فأبى رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يقبل ذلك ..

وقال لهم محيصة بن مسعود: ما لكم منعة ولا حصون، ولا رجال، ولو بعث إليكم رسول الله «صلى الله عليه وآله» مائة رجل لساقوكم إليه، فوقع الصلح بينهم بأن لهم نصف الأرض بتربتها(١).

فما معنى أن يصالحهم على نصف الأرض بتربتها بعد أن رضوا بالجلاء؟! فمن يرضى بالجلاء، هل يعطى نصف الأرض؟! ألا يعد ذلك سفهاً وتضييعاً؟!

كما أنه لا معنى لأن يطلبوا الجلاء، ثم أن يأتوا أوان الجذاذ، فيجذوا النخل، فإن من يجلو عن الأرض لا يبقى له علاقة بها، ولا يسمح له بالإحتفاظ بغلتها ومحاصيلها وشجرها.

فظهر: أن هذا النص ظاهر التناقض، بديهي السقوط..

يضاف إلى ذلك: ما سيأتي من التصريح: بأن الصلح وقع على حقن

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٣٨ والسيرة الحلبية ج٣ ص٥٠ وراجع: المغازي للواقدي ج٢ ص٧٠٧.

دمائهم وحسب[١].

ونحن هنا لا نريد التحقيق الشامل في موضوع فدك، ولكننا نود أن نشير إلى بعض ما يرتبط منها بسيرة أمير المؤمنين «عليه السلام» فنقول:

الراية لعلي عليه السلام في فدك:

قالوا: لما فرغ رسول الله «صلى الله عليه وآله» من خيبر عقد لواء ثم قال: من يقوم إليه، فيأخذه بحقه، وهو يريد أن يبعث به إلى حوائط فدك.

فقام الزبير إليه، فقال: أنا.

فقال: أمط عنه.

ثم قام إليه سعد، فقال: أمط عنه.

ثم قال: يا علي، قم إليه فخذه.

فأخذه فبعث به إلى فدك فصالحهم على أن يحقن دماءهم، فكانت حوائط فدك لرسول الله «صلى الله عليه وآله» خاصاً خالصاً.

فنزل جبرئيل فقال: إن الله عز وجل يأمرك أن تؤتي ذا القربى حقه.

قال: يا جبرئيل، ومن قرباي؟! وما حقها؟!

قال: فاطمة، فأعطها حوائط فدك، وما لله ولرسوله فيها.

فدعا رسول الله «صلى الله عليه وآله» فاطمة، وكتب لها كتاباً، جاءت

---

(١) بحار الأنوار ج٢١ ص٢٢ و ٢٣ و ٣٢ وإعلام الورى ج١ ص٢٠٩ ومكاتيب الرسول ج١ ص٢٩١ والطبقات الكبرى لا بن سعد ج٢ ص١١٠.

به بعد موت أبيها إلى أبي بكر، وقالت: هذا كتاب رسول الله لي ولابنيَّ(١).

وعن أبي سعيد الخدري: أن النبي «صلى الله عليه وآله» أخذ الراية فهزها ثم قال: من يأخذها بحقها؟!

فجاء فلان، فقال: أنا.

فقال: أَمِطْ.

ثم جاء آخر فقال: أنا.

فقال «صلى الله عليه وآله»: أَمِطْ.

فعل ذلك مراراً بجماعة..

ثم قال النبي «صلى الله عليه وآله»: والذي كرم وجه محمد، لأعطينها رجلاً لا يفر.

هاك يا علي.

فانطلق، وفتح الله خيبر على يديه.

وفي مسند أحمد: حتى فتح الله عليه خيبر وفدك، وجاء بعجوتها وقديدها(٢).

---

(١) بحار الأنوار ج٢١ ص٢٢ و ٢٣ وإعلام الورى ج١ ص٢٠٩ ومكاتيب الرسول ج١ ص٢٩١.

(٢) راجع: تذكرة الخواص ص٢٥ عن أحمد في الفضائل، ومجمع الزوائد ج٩ ص١٢٤ ومسند أحمد (ط دار صادر) ج٣ ص١٦ والبداية والنهاية ج٤ =

وفي **مجمع الزوائد**: ذكر أن الزبير طلبها أيضاً[1].

ونقول:

لنا هنا وقفات هي التالية:

في خيبر؟! أو في فدك؟!:

صرحت الرواية المتقدمة: بأن عرض اللواء على من يأخذه كان بعد الفراغ من خيبر، وإرادة البعث إلى حوائط فدك، ثم صرحت ببعث علي «عليه السلام» إلى فدك، وبوقوع الصلح بينه وبينهم على حقن دمائهم.. وزادت في صراحتها بالتصريح بنزول جبرئيل بأمر الله تعالى للنبي«صلى الله عليه وآله» بإعطاء فدك للزهراء «عليها السلام».

وهذا يعطي: أن رواية أبي سعيد الخدري، إما رواية أخرى لخصوص ما جرى في خيبر.. ولم يتعرض فيها لفدك من قريب ولا من بعيد، أو أنهم ربما حاولوا أخذ الراية لها مرة أخرى بعد فشلهم السابق. لأنهم احتملوا أن

= ص١٨٤ و ١٨٥ و (ط أخرى) ص٢١١ و ٢١٢ وذخائر العقبى ص٧٣ ـ ٧٥ والرياض النضرة ج١ ص١٨٥ ـ ١٨٧ وشرح الأخبار ج١ ص٣٢١ والعمدة لابن البطريق ص١٣٩ و ١٤٠ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص١٠٤ و ١٠٥ ومسند أبي يعلى ج٢ ص٥٠٠ ونهج الإيمان ص٣١٧ و ٣١٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٥٢.

(١) مجمع الزوائد ج٩ ص١٢٤ والعمدة لابن البطريق ص١٤٢ ومسند أبي يعلى ج٢ ص٥٠٠ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص١٠٤ و ١٠٥.

يكون ثمة تدخل إلهي يحقق لهم النصر السهل.. فمنعهم إياه، لأن التدخل الإلهي لن يكون لتأييد ومساعدة الخاملين والفاشلين، لأنه يضر بحال الأمة، حين يراد الإستفادة منه بطرق ملتوية..

نعم.. إما إن الأمر كذلك، أو أن ثمة تبديلاً حصل فيها، بتوهم أن عرض الراية إنما كان في خيبر فقط، أما فدك، ففتحت صلحاً، فلم تكن هناك حاجة للرايات فيها..

وهو توهم باطل، فإن إرسال علي «عليه السلام» إليهم، أمر مطلوب لبث المزيد من الرعب في قلوبهم، لكي يبادروا إلى نبذ العناد، والتسليم لحكم رب العباد..

المزيد من التوضيح والبيان:

ونزيد في توضيح ما تقدم، فنقول:

١ ـ قد يقال: إنه «صلى الله عليه وآله» إذا كان قد عرض اللواء على من يأخذه بحقه، فالمفروض: أن يعطيه لأول طالب له.. فلماذا قال للزبير: أمط، وكذلك قال لغيره؟! أليس ذلك يشير إلى عدم صحة هذه الرواية؟!

ونجيب بما يلي:

إن نفس قوله «صلى الله عليه وآله»: من يأخذه بحقه يدل على أن هؤلاء لم يكن يحق لهم أن يطلبوه، لأنهم هربوا في خيبر مرات عديدة، حتى حين أرسلهم مع علي «عليه السلام».. ومن يفعل ذلك، فإنه يكون قد بين أنه ليس أهلاً لأخذ اللواء، وليس هو من الذين يفون بحقه..

٢ ـ إن هذا العرض الذي تعقبه هذا الرفض القوي يزيد في توضيح

الأمر للناس وللأجيال، ويعرفهم بأن هؤلاء رغم فشلهم، ورغم فرارهم بالراية من دون حق، لا يزالون يطمحون إلى ما ليسوا أهلاً له.. وهذا يعطي أنه لا بد من الحذر منهم، حين يذرّ قرن الطمع، أو الجشع فيهم..

٣ ـ إن مبادرة هؤلاء لطلب اللواء، بعد أن فروا به وعنه بالأمس، معناها: أنهم يريدون استغفال رسول الله «صلى الله عليه وآله».. والتعمية على الناس، مع أنه «صلى الله عليه وآله» هو القائل منذ حرب بدر: لا يلدغ المؤمن من جحرٍ مرتين.

٤ ـ يلاحظ هنا هذا التعبير القوي الذي صدر عنه «صلى الله عليه وآله»: حيث قال للطالب في كل مرة: امط.. وهو رد أو فقل: طرد ينضح بالحسم والحزم، ولنا أن نتخيل ما كانت تحمله النبرات التي رافقت هذا الرد، أو الطرد، وما لها من دلالات وإيحاءات.

وقد يقال: لعل هؤلاء ظنوا أن بإمكانهم تحقيق النصر في فدك، لأن ما جرى في خيبر قد أرعب أهل فدك، حتى أصبحوا لقمة سائغة لهم.

ويجاب:

بأنه إذا عرف أهل فدك أن حملة الراية هم الذين فروا بها في خيبر، فسيكونون أكثر جرأة على مقاومتهم ومنازلتهم.. وإلحاق هزيمة أخرى بالمسلمين، لن تكون مقبولة، ولن تكون محتملة، وربما يكون ضررها على روحيات الناس كبيراً جداً.

٦ ـ ولعلك تقول: إن فدك كانت أضعف من أن يُحتاج لفتحها إلى جيش عظيم، وإلى قدرات متميزة، لا سيما وأن محيصة بن مسعود قال لهم:

لو بعث إليكم مائة رجل لساقكم إليه.. فما معنى عرض الراية من جديد؟!

ويجاب:

بأن الذي يخاف من الموت، ويسعى للبقاء على قيد الحياة يحاول أن يتجنب حتى المواجهة لأضعف الإحتمالات، وقد بين عرض النبي «صلى الله عليه وآله» الراية مرة ثانية: أن أحداً لم يطلبها سوى هؤلاء الذين هربوا بها في خيبر مع الجيش، الذي كان حوالي عشرة آلاف. وكان لا بد من رد هؤلاء الهاربين. لأنهم أثبتوا عملياً: أنهم غير مأمونين، ولا مؤهلين لهذه المهمة. فكان المقصود هو قيام غيرهم.. مع أنه لم يقم أحد.

فلان.. وآخر، وهاك يا علي:

١ ـ وقد لاحظنا: أن رواية أبي سعيد الخدري فشلت بالتصريح بأي اسم من أسماء هؤلاء المردودين، بل عبرت بكلمة: فلان. وبكلمة: آخر، وبكلمة جماعة، فلماذا يتعمدون إبهام أسماء هؤلاء يا ترى ؟!..

٢ ـ ودلت أيضاً على أن الذين طلبوا الراية ورد رسول الله «صلى الله عليه وآله» طلبهم، قد كثروا حتى صاروا جماعة.

٣ ـ ثم هي قد دلت: على أنه «صلى الله عليه وآله» قد عرض الراية مراراً..

٤ ـ وفي مقابل ذلك نجده «صلى الله عليه وآله» يعطيها لعلي «عليه السلام» دون أن يطلبها منه.. ولا يحتاج فهم أسباب هذا وذاك إلى التعليق والبيان..

قطع الشك باليقين:

قد يتخيل أحد من أولئك الناس: أن الذين هزموا بالراية أو اللواء بالأمس، إن كانوا لا يستحقون أخذ هذا اللواء وليسوا أهلاً له، فلعل غيرهم كان يستحق، فذلك جاء هذا التأكيد والتكرار منه «صلى الله عليه وآله» مرة بعد أخرى، فإنه يريد أن يقطع الشك باليقين بأن أحداً غير علي «عليه السلام» لا يستحق أخذ هذا اللواء، لأنه هو الوحيد الذي يأخذه بحقه، وقد اثبت ذلك عملاً في خيبر وغيرها.

وثبت أيضاً عملاً ومن خلال فرار الجمع كله أكثر من مرة حتى عن علي «عليه السلام» في خيبر نفسها ، فضلاً عما سواها: أن غيره «عليه السلام» يدعي ما ليس فيه، وبديهي أن:

كل من يدعي بما ليس فيه كذبته شواهد الإمتحان

يضاف إلى ذلك: أنه كان من المصلحة سد أبواب انتحال الأعذار، التي قد يصل بعضها في وقاحته إلى حد اتهام النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» بمحاباة أحبائه، وأصفيائه، وذوي قرابته.

فضيحة لا بد منها:

ولعل ما ذكرناه وسواه يدل على أن الذين يفرون مرة بعد أخرى، ثم لا يزال حبهم للدنيا يدعوهم للتنطح لما ليسوا أهلاً له، وقد أثبتوا فشلهم فيه ـ إن هؤلاء ـ يستحقون هذه الفضيحة، لكي يكون الناس منهم على حذر، ولا تغرهم الإدعاءات الفارغة، والإنتفاخات المصطنعة.

هذا.. وقد تحدثنا عن موضوع فدك وإعطائها لفاطمة «عليها السلام» في الجزء الثامن عشر من كتابنا: الصحيح من سيرة النبي «صلى الله عليه وآله» وسيأتي شطر من الكلام عن ذلك في الجزء الذي نتحدث فيه عن سيرة أمير المؤمنين «عليه السلام» في عهد أبي بكر..

ما جرى في وادي القرى:

وخرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» من خيبر إلى وادي القرى، وتهيأ يهودها ومن انضوى إليهم من العرب للقتال، قالوا: وعبأ رسول الله «صلى الله عليه وآله» أصحابه للقتال، وصفهم، ودفع لواءه إلى سعد بن عبادة، وراية إلى الحباب بن المنذر، وراية إلى سهل بن حنيف، وراية إلى عباد بن بشر، ثم دعاهم إلى الإسلام وأخبرهم: إن أسلموا أحرزوا أموالهم، وحقنوا دماءهم، وحسابهم على الله.

فبرز رجل منهم، فبرز له الزبير فقتله، ثم برز آخر فقتله الزبير، ثم برز آخر، فبرز إليه علي «عليه السلام» فقتله، وبرز آخر، فقتله أبو دجانة، ثم قتل أبو دجانة مبارزاً آخر، حتى قتل منهم «صلى الله عليه وآله» أحد عشر رجلاً(١).

ونقول:

إننا نكتفي هنا بالإلماح إلى ما يلي:

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٤٨ و ١٤٩ والسيرة الحلبية ج٣ ص٥٩ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٤٤٢ وإمتاع الأسماع ج١ ص٣٢٥ والبداية والنهاية ج٤ ص٢٤٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤١٢.

١ ـ إن اعطاء اللواء لسعد، واعطاء الرايات لمن ذكروا آنفاً لا يصح، فإن علياً «عليه السلام» كان هو صاحب الراية واللواء معاً في كل مشهد..

والظاهر: أن اللواء الذي أعطاه لعلي «عليه السلام» هو اللواء الأعظم، وهو لواء الجيش كله.. ثم أعطى رايات كل فريق لرجل فيهم.. فراية الخزرج لسعد، وراية الأوس لفلان. وهكذا..

٢ ـ إننا لا نكاد نطمئن إلى ما زعمته الرواية المتقدمة من وقوع القتال في وادي القرى، فإن ما جرى في خيبر، وفتح حصونها، وقلع بابها، وقتل مرحب، واستسلام أهل فدك، يجعل أهل وادي القرى يجبنون عن القتال.. بل هو يميتهم رعباً.. ولا سيما مع عدم التكافؤ بينهم وبين المسلمين في العدة وفي العدد..

٣ ـ اللافت هنا: التواضع الذي أظهرته الرواية في نصيب علي «عليه السلام» من القتلى، مقابل نصيب أبي دجانة والزبير، فإنهما قتلا ضعف ما قتل علي «عليه السلام»؟!

وفي جميع الأحوال نقول:

إننا نلمح درجة من التزوير المتعمد في هذا الموضع.. كما في غيره.. والله هو العالم بالحقائق..

رد الشمس لعلي عليه السلام:

وذكروا: أن الشمس قد ردت ـ بعدما غربت ـ لعلي «عليه السلام» في

منطقة الصهباء، قرب خيبر(١).

وفي بعض الروايات: أنه «صلى الله عليه وآله» كان مشغولاً بقسم الغنائم في خيبر.

وفي نص آخر: كان النبي «صلى الله عليه وآله» قد أرسله في حاجة فعاد، فنام «صلى الله عليه وآله» على ركبته، وصار يوحى إليه.. فغابت الشمس، أو كادت.

وفي بعض الروايات: أنها ردت إليه مرات عديدة، وقد ذكرنا تفصيل ذلك في كتابنا: «**رد الشمس لعلي** عليه السلام»، فراجع.

---

(١) مصادر ذلك كثيرة، فراجع: مناقب الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» للكوفي ج٢ ص٥١٧ ومشكل الآثار ج٢ ص٩ وج٤ ص٣٨٩ وكفاية الطالب ص٣٨٥ والشفاء ج١ ص٢٨٤ والمعجم الكبير ج٢٤ ص١٤٥ وكنز العمال ج١٢ ص٣٤٩ وعمدة القاري ج١٥ ص٤٣ والبداية والنهاية ج٦ ص٨٠ واللآلي المصنوعة ج١ ص٣٣٨ و ٣٣٩ و ٣٤٠ ومنهاج السنة ج٤ ص١٩١ و ١٨٨ و ١٨٩ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٢٠١ والسيرة الحلبية ج١ ص٣٨٦ و ٣٨٥ وبحار الأنوار ج٤١ ص١٦٧ و ١٧٤ و ١٧٩ وج٢١ ص٤٢ و ٤٣ عن علل الشرائع ص١٢٤ وعن المناقب ج١ ص٣٥٩ و ٣٦١ وعن الخرائج والجرائح، ونسيم الرياض ج٣ ص١٠ و ١١ و ١٢ والمواهب اللدنية ج٢ ص٢٠٩ و ٢١٠ وتاريخ الخميس ج٢ ص٥٨ وعن المنتقى في مولد المصطفى للكازروني.

غير أننا سوف نكتفي هنا بالإلماح إلى نقاط يسيرة، حول ما كان من ذلك في غزوة خيبر، فنقول:

رواة حديث رد الشمس:

إن حديث رد الشمس لعلي «عليه السلام» في المواضع المختلفة قد روي عن ثلاثة عشر صحابياً، وقد وردت رواية اثني عشر منهم في مصادر أهل السنة أيضاً. وهم:

١ ـ علي أمير المؤمنين «عليه السلام».

٢ ـ والإمام الحسين «عليه السلام».

٣ ـ وأسماء بنت عميس.

٤ ـ وأبو هريرة.

٥ ـ وأبو ذر.

٦ ـ وأم هانئ.

٧ ـ وعبد خير.

٨ ـ وأم سلمة.

٩ ـ وجابر بن عبد الله الأنصاري.

١٠ ـ وأبو سعيد الخدري.

١١ ـ وسلمان.

١٢ ـ وأنس.

١٣ ـ وأبو رافع مولى رسول الله «صلى الله عليه وآله»[١].

---

(١) تجد هذه الروايات في: كتاب مناقب علي بن أبي طالب «عليه السلام» لابن المغازلي ص٩٦ وميزان الإعتدال ج٣ ص١٧٠ ومشكل الآثار ج٢ ص٨ وج٤ ص٣٨٨ ـ ٣٩٠ وكفاية الطالب ص٣٨١ ـ ٣٨٨ وفتح الملك العلي ص١٦ و ١٧ و ١٨ و ١٩ و ٢١ و ١٤١ و ١٤٤ وعن الرياض النضرة ص١٧٩ و ١٨٠ وراجع: البداية والنهاية ج٦ ص٧٧ ـ ٨٧ والمناقب للخوارزمي ص ٣٠٦ و ٣٠٧ ولسان الميزان ج٥ ص٧٦ و ١٤٠ و ٣٠١ وكنز العمال ج١٢ ص٣٤٩ وج١١ ص٥٢٤ وج١٣ ص١٥٢ والشفاء لعياض ج١ ص٢٨٤ وترجمة الإمام علي «عليه السلام» من تاريخ ابن عساكر (بتحقيق المحمودي) ج٢ ص٢٨٣ ـ ٣٠٧ وتاريخ الخميس ج٢ ص٥٨ وصفين لنصر بن مزاحم ص١٣٥ وينابيع المودة للقندوزي ص١٣٨ وتذكرة الخواص ص٤٩ ـ ٥٣ ونزل الأبرار ص ٧٦ ـ ٧٩ والضعفاء الكبير للعقيلي ج٣ ص٣٢٧ و ٣٢٨ والمعجم الكبير ج٢٤ ص١٤٥ ـ ١٥٨ ومنهاج السنة ج٢ ص١٨٦ ـ ١٩٥ ومجمع الزوائد ج٣ ص٥٠ وج٨ ص٢٩٧ وكشف الخفاء للعجلوني ج١ ص٢٢٠ و ٤٢٨ والمقاصد الحسنة للسخاوي ص٢٢٦ والخصائص الكبرى للسيوطي ج٢ ص٣٢٤ وعمدة القاري للعيني ج١٥ ص٤٣ واللآلي المصنوعة للسيوطي ج١ ص٣٣٦ ـ ٣٤١ والفصل لابن حزم ج٢ ص٨٧ وج٥ ص٣ و ٤ عن كتاب رد الشمس للفضلي العراقي وفتح الباري ج٦ ص١٥٥ عن الطبراني في الكبير، والحاكم، والبيهقي في الدلائل، والطحاوي، وفرائد السمطين ج١ ص١٨٣ ونهج السعادة ج١ =

= ص١١٧ وج٧ ص٤٤٨ و ٤٤٩ والإمام علي «عليه السلام» لأحمد الهمداني ص ١٧٧ ـ ١٧٩ وإفحام الأعداء والخصوم ص٢٦ وشرح معاني الآثار ج١ ص٤٥ ـ ٤٧ وتذكرة الموضوعات للفتني ص٩٦ وحقائق التأويل ص٧٤ وشواهد التنزيل ج١ ص٩ و ١٠ ـ ١٦ ورجال النجاشي ص٨٥ و ٤٢٨ والفهرست ص٧٩ ونور الثقلين ج٥ ص٢٢٥ وجواهر المطالب في مناقب الإمام علي ج١ ص ١١١ ـ ١١٤ و ١١٧ و ١١٨ و ١١٩ والإحتجاج (ط النجف) ج١ ص١٦٦ ومائة منقبة ص٨ والمستجاد من كتاب الإرشاد ص١٣٥ والصراط المستقيم ج١ ص١٦ و ٩٩ و ١٠٤ و ١٥٣ و ٢٠١ وحلية الأبرار ج٢ ص٣٢٧ وكشف الظنون ج٢ ص١٤٩٤ وبشارة المصطفى، ومرآة الجنان ج٤ ص١٧٨ والجامع لأحكام القرآن ج١٥ ص٩٧ وعلل الشرائع ج٢ ص٤٨ ـ ٥٠ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٢٠١ و ٢٠٢ والسيرة الحلبية ج١ ص٣٨٣ ـ ٣٨٧ وبحار الأنوار ج٤١ ص١٦٦ ـ ١٩١ وج٢١ ص٤٣ وج٩٧ ص٢١٧ وج٩٩ ص٣٠ وج١٧ ص٣٥٧ و ٣٥٨ وج٥٥ ص١٦٦ وج٨٠ ص٣١٧ و ٣١٨ و ٣٢٤ و ٣٢٥ وقرب الإسناد ص٨٢ والخرائج والجرائح ج٢ ص٥٠٠ و ٥٠٢ ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٥١ وعن أمالي المفيد ص٩٤ وعن الكافي ج٤ ص٥٦١ و ٥٦٢ وأمالي ابن الشيخ ص٦٤ وعن السرائر وعدة الداعي ص٨٨ والإرشاد للمفيد ج١ ص٣٤٦ وتفسير العياشي ج٢ ص٧٠ وتفسير البرهان ج٢ ص٩٨ وج٤ ص٣٨٧ ونسيم الرياض ج٣ ص١٠ ـ ١٤ وشرح الشفاء للملا علي القاري (بهامش نسيم الرياض) ج٣ =

= ص١٠ ـ ١٣ وإحقاق الحق (قسم الملحقات) ج١٦ ص٣١٦ ـ ٣٣١ وج٥ ص٥٢١ ـ ٥٣٩ وج٢١ ص٢٦١ ـ ٢٧١ وفيض القدير ج٥ ص٤٤٠ والمواهب اللدنية ج٢ ص٢٠٩ ـ ٢١١ وشرح المواهب للزرقاني ج٦ ص٢٨٤ ـ ٢٩٤.

وراجع أيضاً: عيون المعجزات ص٧ و ٤ و ١٣٦ وبصائر الدرجات ص٢١٧ و ٢٣٩ و ٢٣٧ وفضائل الخمسة من الصحاح الستة ج٢ ص١٣٥ ـ ١٣٨ وكتاب المزار الكبير لابن المشهدي ص٢٥٨ و ٢٠٥ وإقبال الأعمال ج٣ ص١٣٠ والمزار للشهيد الأول ص٩١ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج٥ ص٨١ وج١٤ ص٢٥٥ وج٣ ص٤٦٩ وج١٠ ص٢٧٧ وج٣٠ ص٣٠ و ٣٨ وج١٩ ص٣٢٨ و ٣٤٠ ومن لا يحضره الفقيه ج١ ص١٣٠ و ٦١١ والهداية الكبرى ص١٢٣ ـ ١٣٠ والمسترشد ص٢٦٥ ومناقب أمير المؤمنين ج٢ ص٥١٦ و ٥١٨ و ٥١٩ و ٥٢٠ و ٥٢١ وخاتمة المستدرك ج٤ ص٩٤ و ٢٢٤ و ٢٢٦ وروضة الواعظين ص١٢٩ و ١٣٠ وخصائص الأئمة ص٥٢ و ٥٦ و ٥٧ والخصال ص٥٥٠ ومعالم العلماء ص٥٦ و ٧٨ و ١١٣ و ١٥٢ وإيضاح الإشتباه ص١٠٢ ورجال ابن داود ص٣٩ ونقد الرجال ج١ ص١٢٩ وج٥ ص٣٥٣ و ٣٥١ وجامع الرواة ج١ ص٥٣ وج٢ ص٥٣١ والفوائد الرجالية للسيد بحر العلوم ج٢ ص٧٧ وتهذيب المقال ج٢ ص٢٢ وج٣ ص٣٥٣ و ٣٥٦ وج٤ ص٤٥٣ وتذكرة الحفاظ ج٣ ص١٢٠٠ وسير أعلام النبلاء ج١٠ ص٥٤٤ والكشف الحثيث ص٤٤ وإعلام الورى ج١ ص٣٥٠ و ٣٥١ وقصص الأنبياء للراوندي، ونهج الإيمان لابن جبر ص٧٠ وكشف اليقين ص١١٢ ودفع الشبهة عن الرسول للحصني الدمشقي ص٢٠٦ =

وهذا الحديث متواتر، فلا حاجة إلى التكلم حول أسانيده وقد صححه، أو حسنه عدد من الحفاظ، من علماء أهل السنة أنفسهم، مثل الطحاوي، وعياض، وأبي زرعة، والطبراني، وأبي الحسن الفضلي، والقسطلاني، ودحلان، وغيرهم(١).

وقال الدياربكري: وهذا حديث ثابت الرواية عن ثقات(٢).

وقال بعضهم: يتعذر الحكم على هذا الحديث بالضعف(٣).

لماذا لم تنقل الأمم ذلك؟!:

وقد حاولوا التشكيك بهذه الحادثة، بأن الشمس لو ردَّت بعدما غربت لرآها المؤمن والكافر، وهو أمر غريب تتوفر الدواعي على نقله،

= ومدينة المعاجز ج١ ص١٩٦ و ١٩٧ و ٢٠٢ و ٢٠٥ و ٢٠٧ و ٢١٠ و ٢١٧ وج٤ ص٢٥٨ وكتاب الأربعين للماحوزي ص١٢ و ٤١٧ و ٤١٩ وخلاصة عبقات الأنوار ج١ ص١٤٧.

(١) راجع كتابنا: رد الشمس لعلي «عليه السلام»، فصل: الأسانيد والرواة.

(٢) تاريخ الخميس ج٢ ص٥٨ وبحار الأنوار ج٢١ ص٤٣ عن المنتقى في مولد المصطفى.

(٣) راجع: بحار الأنوار ج٤١ ص١٧٥ عن مناقب آل أبي طالب ج١ ص٣٥٩ ـ ٣٦٥ والبداية والنهاية ج٦ ص٧٩ و ٨٠ و ٨٧ والمواهب اللدنية ج٢ ص٢١١ ومنهاج السنة ج٤ ص١٨٧ و ١٨٩ والغدير ج٣ ص١٣٨ ورسائل في حديث رد الشمس للمحمودي ص٦٩ و ١٨٧ وسبل الهدى والرشاد ج٩ ص٤٣٨.

فالمفروض أن ينقله جماعةكثيرة من الأمم المختلفة[(١)].

والجواب:

أولاً: إن الدواعي لدى كثير من أهل الإسلام كانت متوافرة على كتمان هذا الحديث والتكتم على هذا الحدث، لأنه مرتبط بعلي أمير المؤمنين «عليه السلام»، الذي سبوه حوالي ألف شهر على منابرهم، ولم يدخروا وسعاً في تصغير قدره، وإبطال أمره، والتشكيك بفضائله، وإنكار مقاماته إن أمكنهم ذلك.

ورغم ذلك، فإن هذه الحادثة قد نقلت عن ثلاثة عشر صحابياً.

ثانياً: إن الشمس قد حبست ليوشع بالإتفاق، وهو حدث كوني أيضاً، وإنما وصل إلينا خبر ذلك بواسطة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم[(٢)]. ولم تنقله الأمم في كتاباتها، ولا أهل الأخبار في مروياتهم.

ثالثاً: وقد عبرت بعض الروايات: بحبس الشمس لعلي «عليه السلام».. والحبس يقتضي أن تكون قد شارفت على المغيب، فتحبس حتى يقضي علي «عليه السلام» صلاته، ثم تغيب. وقد لا يلتفت إلى هذا الأمر إلا الذي هو معني به.

---

(١) راجع: بحار الأنوار ج٤١ ص١٧٥ عن مناقب آل أبي طالب ج١ ص٣٥٩ ـ ٣٦٥ وراجع: البداية والنهاية ج٦ ص٧٩ و ٨٠ وراجع ص٨٧ والمواهب اللدنية ج٢ ص٢١١ ومنهاج السنة ج٤ ص١٨٧ و ١٨٩ وغير ذلك.

(٢) منهاج السنة ج٤ ص١٨٤.

كما أن بعضها قال: إن الشمس حين رُدَّت، كانت قد غابت، أو كادت تغيب[1].

فردها مع وجود النور القوي قد لا يتنبه له الكثيرون، وليس لمراد بردها جعلُها في وسط قبة الفلك، بل المراد ردها بمقدار يتمكن فيه المصلي من أداء صلاته..

فلماذا لا يقال: إن الشمس حبست في بعض المرات، وردَّت في بعضها الآخر، في وقت كان نورها لا يزال غامراً للأفق، فلم يلتفت الناس إلى ما جرى، إلا الذين كانوا يراقبونها، كأولئك الذين جرت القضية أمامهم، ويريد الله ورسوله أن يريهم هذه الكرامة لعلي «عليه السلام»..

رابعاً: سيأتي إن شاء الله تعالى: أن حصول هذا الأمر كان على سبيل الكرامة والإعجاز الإلهي، وإنما يجب أن يري الله تعالى معجزته لمن أراد سبحانه إقامة الحجة عليه، وإظهار الكرامة له، كما سيتضح.

---

(١) راجع: بحار الأنوار ج١٧ ص٣٥٩ وج٨٠ ص٣٢٤ عن صفين للمنقري، وعن الخرائج والجرائح، وفضائل أمير المؤمنين «عليه السلام» لابن عقدة ص٧٥ ورسائل في حديث رد الشمس للمحمودي ص٢١٣ و ٢١٤ وراجع: البداية والنهاية ج٦ ص٧٧ و (ط دار إحياء التراث العربي) ص٨٦ وتاريخ مدينة دمشق (بتحقيق المحمودي) ترجمة الإمام على ج٢ ص٢٩٢ و(ط دار الفكر) ج ٤٢ ص٣١٤ وراجع ج٧٠ ص٣٦ والموضوعات لابن الجوزي (ط المكتبة السلفية) ج١ ص١٥ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٥ ص٥٢٦.

لم تحبس الشمس إلا ليوشع:

وزعم أبو هريرة: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: لم تحبس الشمس على أحد إلا ليوشع، أو نحو ذلك. وقد تمسك البعض بهذا الحديث لإنكار حديث رد الشمس(١).

ويرد عليه:

أولاً: إن أبا هريرة لا يؤتمن فيما يرويه على علي «عليه السلام»، كيف وقد ضرب على صلعته في باب مسجد الكوفة، ثم روى لهم حديث: من أحدث في المدينة أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله. ثم شهد بالله أن علياً «عليه

---

(١) السيرة الحلبية ج١ ص٢٨٥ وراجع الحديث في: مشكل الآثار ج٢ ص١٠ وج٤ ص٣٨٩ وعن المعتصر من المختصر، وتذكرة الخواص ص٥١ ونزل الأبرار ص٧٨ وميزان الإعتدال ج٣ ص١٧٠ والضعفاء الكبير للعقيلي ج٣ ص٣٢٨ وكنز العمال ج١١ ص٥٢٤ وفتح الباري ج٦ ص١٥٤ والبداية والنهاية ج٦ ص٧٩ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج١ ص٣٧٦ وج٦ ص٨٧ و ٣١٣ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٢٠٢ ونسيم الرياض ج٣ ص١٠ و ١١ وبهامشه شرح الشفاء للقاري ج٣ ص١١ و ١٣ والجامع الصغير حديث رقم (٧٨٨٩) ومسند أحمد (ط دار الحديث في القاهرة) ج٨ ص٢٧٥ و (ط دار صادر) ج٢ ص٣٢٥ والمواهب اللدنية ج٢ ص٢١٠ وفيض القدير ج٥ ص٥٦٢ وتاريخ بغداد ج٧ ص٣٧ وقصص الأنبياء لابن كثير ج٢ ص٢٠٨ وسبل الهدى والرشاد ج٩ ص٤٣٩.

السلام» قد أحدث في المدينة(١).

مكذباً بذلك آية التطهير، وجميع أقوال النبي «صلى الله عليه وآله» في حق علي «عليه السلام»، مثل أن علياً مع الحق والحق مع علي، ونحو ذلك..

ومن جهة أخرى، فقد روي عن علي «عليه السلام» قوله: ألا إن أكذب الناس، أو أكذب الأحياء على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، أبو هريرة(٢).

---

(١) راجع: شرح النهج للمعتزلي ج٤ ص٦٧ وأضواء على السنة المحمدية لمحمود أبي رية ص٢١٨ وشيخ المضيرة أبو هريرة لمحمود أبي رية ص٢٣٧ والغارات للثقفي ج٢ ص٦٥٩ وخلاصة عبقات الأنوار ج٣ ص٢٥٥ والنص والإجتهاد ص٥١٤ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٢٩٥ ونهاية الدراية للسيد حسن الصدر ص٢٢ ومستدرك سفينة البحار ج١٠ ص٥٢٩ ونهج السعادة ج٨ ص٤٨٦ والكنى والألقاب ج١ ص١٧٩ وأبو هريرة للسيد شرف الدين ص٤٣.

(٢) الإيضاح لابن شاذان ص٤٩٦ والغارات للثقفي ج٢ ص٦٦٠ وشرح النهج للمعتزلي ج٤ ص٦٨ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٢٩٦ وبحار الأنوار ج٣٣ ص٢١٥ وج٣٤ ص٢٨٧ ومستدرك سفينة البحار ج١٠ ص٥٢٥ وخلاصة عبقات الأنوار ج٣ ص٢٤٧ وشجرة طوبى ج١ ص٩٧ وأضواء على السنة المحمدية ص٢٠٤ وأبو هريرة للسيد شرف الدين ص١٦٠ و ١٨٦ و ١٨٨ وشيخ المضيرة أبو هريرة ص١٣٥ عن سير أعلام النبلاء ج٢ ص٤٣٥ وراجع: تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص١٦.

وقد وضع معاوية قوماً من الصحابة والتابعين على رواية أخبار قبيحة في علي «عليه السلام»، تقتضي الطعن فيه، والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جُعلاً يرغب فيه، فاختلقوا ما أرضاه. منهم أبو هريرة(١).

ثانياً: لو صح هذا الحديث، فلعل أبا هريرة قد دلس فيه، ورواه عن شخص آخر. ويكون قول النبي «صلى الله عليه وآله»: لم تحبس الشمس إلا ليوشع، قد صدر عنه قبل رد الشمس لعلي «عليه السلام» في خيبر وفي بدر..

ثالثاً: إن هذا الحديث لو صح: فإنما ينفي حبس الشمس لغير يوشع، ولا ينفي ردها..

رابعاً: حديث أبي هريرة مردود عليه، فقد روي حبس الشمس لرسول الله «صلى الله عليه وآله» صبيحة الإسراء، وفي الخندق(٢).

---

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٤ ص٦٣ و ٦٤ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٢٩٤ وبحار الأنوار ج٣٠ ص٤٠١ وج٣٣ ص٢١٥ ومستدرك سفينة البحار ج١٠ ص٥٢٨ وقاموس الرجال للتستري ج١١ ص٥٥٤ وشيخ المضيرة أبو هريرة ص١٩٩ و ٢٣٦ وصلح الحسن للسيد شرف الدين ص٣٢٦.

(٢) راجع: عمدة القاري ج١٥ ص٤٢ و٤٣ وراجع: فتح الباري ج٦ ص١٥٥ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٢٠٢ والسيرة الحلبية ج١ ص٣٨٣ ونسيم الرياض ج٣ ص١١ و١٢ و١٣ وبهامشه شرح الشفاء للقاري ج٣ ص١٣ وفيض القدير ج٥ ص٤٤٠ وبحار الأنوار ج١٧ ص٣٥٩ والمواهب اللدنية ج٢ ص٢١٠ و٢١١.

خامساً: قد حبست الشمس، وردَّت لغير رسول الله «صلى الله عليه وآله» أيضاً، فقد روي: أنها حبست لداود «عليه السلام».

وردت لسليمان «عليه السلام».

وحبست لموسى «عليه السلام».

وحبست في أيام حزقيل.

وزعموا: أنها حبست لأبي بكر.

وزعموا: أنها حبست للحضرمي[١].

سادساً: ورد عن الشافعي وغيره: ما أوتي نبي معجزة إلا أوتي نبينا «صلى الله عليه وآله» نظيرها أو أبلغ منها[٢].

سابعاً: قال الشافعي: إن الشمس إذا كانت قد حبست ليوشع ليالي قتال الجبارين، فلا بد أن يقع نظير ذلك في هذه الأمة أيضاً[٣]. فيدل ذلك على أن ما ثبت ليوشع، وهو وصي موسى، ولحزقيل، وداود، وسليمان،

---

(١) راجع كتابنا: رد الشمس لعلي «عليه السلام» ص٦٣ ـ ٦٥ للإطلاع على بعض تفاصيل ذلك، وعلى بعض مصادره.

(٢) عمدة القاري ج١٥ ص١٤٤ راجع: رسائل في حديث رد الشمس للشيخ المحمودي ص١٠٨ وتفسير البغوي ج١ ص٢٣٦ وتفسير البحر المحيط ج٢ ص٢٨٣.

(٣) نسيم الرياض ج٣ ص١٢ واللآلي المصنوعة ج١ ص٣٤١ ورسائل في حديث رد الشمس للمحمودي ص١٠٨ وعن الصواعق المحرقة ص١٩٧.

وموسى «عليه السلام» لا بد أن يثبت لوصي محمد في هذه الأمة، ولنبينا محمد نفسه «صلى الله عليه وآله».. وذلك للأخبار الواردة عن النبي «صلى الله عليه وآله» في أنه سيجري في أمته ما جرى في الأمم السابقة[1].

ثامناً: إن كلام أبي هريرة ليس صريحاً في نفي ردها لعلي «عليه السلام». إذ لعل المراد: أن الله تعالى لم يردها قبل علي «عليها السلام» لغير يوشع.. ويقصد بالغير: من عدا الأنبياء طبعاً. أو يكون المقصود لم يحبسها لأحد من الأوصياء لغير يوشع وصي موسى «عليهما السلام»، وعلي «عليه السلام» وصي محمد «صلى الله عليه وآله»..

الذين يرون المعجزة:

وبعد.. فإن الذين يجب أو يمكن أن يروا المعجزة كمعجزة شق القمر، أو رد الشمس هم:

إما الصفوة الأخيار، الذين تزيدهم يقيناً وإيماناً.

وإما الذين يراد إقامة الحجة عليهم، أو ردّ التحدي الوارد من قبلهم، وتحطيم كبريائهم، وبغيهم.

ويراها أيضاً أولئك الذين خدعوا بالباطل، من أجل تعريفهم بزيف الذين خدعوهم، وبباطلهم، وجحودهم..

---

(١) راجع: المستدرك للحاكم ج١ ص١٢٩ ومجمع الزوائد ج٧ ص٢٦٠ والمصنف لابن أبي شيبة ج٨ ص٦٣٦ والمعجم الكبير ج١٧ ص١٣ ومسند الشاميين ج٢ ص١٠٠ وكنز العمال ج١١ ص١٧٠ و٢٣٠.

وأما الآخرون الغافلون فقد يجب أن لا يراها الكثيرون منهم، وهم الذين يصابون بالخوف، والهلع، الذي يُفقِدُ إيمانهم قدرته على التأثير في جلب المثوبة لهم، لأن المناط في جلب المثوبة هو الإختيار، البعيد عن أجواء الإلجاء، والاضطرار، ليكون إيماناً مستنداً إلى الوعي والالتفات، وإلى القناعة الناتجة عن روية وتبصر، وعن تأمل وتفكر، ووعي وتدبر.

إختلال النظام الكوني:

وقد زعموا أيضاً: أن رد الشمس لعلي «عليه السلام» غير ممكن، لأنها لو تخلفت أو ردّت لاختلت الأفلاك، وفسد النظام(١).

ونقول:

أولاً: إن أمر الكون بيد الله تعالى، فهو يخضعه للمعجزة، دون أن يوجب حدوثها أي اختلال في نظامه.. لأن صانع المعجزة هو إله قادر عالم حكيم.. وليس عاجزاً ولا جاهلاً.

ثانياً: هذا الكلام لو صح للزم تكذيب جميع المعجزات التي لها ارتباط بالنظام الكوني، ومن ذلك معجزة انشقاق القمر. ومعجزة حبس الشمس ليوشع. وغير ذلك..

---

(١) راجع: السيرة الحلبية ج٣ ص٣٨٥ و (ط دار المعرفة) ج٢ ص١٠١ وبحار الأنوار ج٤١ ص١٧٥ وتذكرة الخواص ص٥٢ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص٣٥٩ ـ ٣٦٥ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٢ ص١٤٦.

لو ردت لعلي عليه السلام لردت للنبي صلى الله عليه وآله:

وقالوا: لو ردت الشمس لعلي «عليه السلام» لردت للنبي «صلى الله عليه وآله»، حينما نام هو وأصحابه عن صلاة الصبح في الصهباء، وهو راجع من غزوة خيبر نفسها(١).

ونقول:

أولاً: حديث نوم النبي «صلى الله عليه وآله» عن صلاة الصبح لا يمكن قبوله.

ثانياً: إن الشمس ردت على رسول الله «صلى الله عليه وآله» في غزوة الخندق وغيرها، وحبست له «صلى الله عليه وآله» حين الإسراء.

وتقدم أيضاً: أنها ردَّت وحبست لغيره من الأنبياء والأوصياء السابقين..

بل زعموا: أنها حبست للحضرمي، ولأبي بكر أيضاً. كما أن من يصدق بهذا وذاك، فعليه أن يعتقد أن ذلك لا يوجب اختلال النظام الكوني أيضاً.

ثالثاً: قال الخفاجي: «إنما ردت إلى علي «عليه السلام» ببركة دعائه «صلى الله عليه وآله». مع أن كرامات الأولياء في معنى معجزات الأنبياء».

---

(١) البداية والنهاية ج٦ ص٧٩ و ٨٠ و ٨٧ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج٦ ص٨٨ وراجع: منهاج السنة ج٤ ص١٨٧ و ١٨٩.

إلى أن قال: «مع أن المفضول قد يوجد فيه ما لا يوجد في الفاضل. كما يلزم منه القول بعدم حبسها ليوشع»(١).

ولعله يقصد بقوله: قد يوجد في المفضول ما لا يوجد في الفاضل: أن بعض المصالح قد توجب حدوث أمر للمفضول، ولا يكون هناك ما يوجب حدوثه للفاضل..

فإذا كان هناك من سوف يعاند علياً «عليه السلام» في إمامته، وفي خصوصيته، وفي أفضليته على البشر جميعاً، باستثناء رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فإن الله يختصه «عليه السلام» بكرامات تثبت له ذلك كله، وتقيم عليهم الحجة فيه، فيولد علي «عليه السلام» في الكعبة، ولا يولد رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيها، ويقلع علي «عليه السلام» باب حصن خيبر، وترد له الشمس و.. و.. الخ.. ولا يكون هناك ما يقتضي حدوث ذلك لرسول الله «صلى الله عليه وآله»..

علي عليه السلام لا يترك الصلاة:

وقالوا: إن علياً «عليه السلام» أجلُّ من أن يترك الصلاة(٢). فإذا ورد ما ينسب ذلك إليه، فلابد من ردِّه.

ونقول:

أولاً: صرح النص الذي ذكر رد الشمس لعلي «عليه السلام» في منزل

---

(١) شرح الشفاء للقاري (مطبوع مع نسيم الرياض) ج٣ ص١٣.

(٢) منهاج السنة ج٤ ص١٨٦ و ١٩٥.

رسول الله «صلى الله عليه وآله» في المدينة، بأن علياً «عليه السلام» قد صلى إيماءً، وأراد الله أن يظهر كرامته، فردها عليه ليصلي صلاة المختار.

ثانياً: إذا كان الغروب يتحقق بذهاب الحمرة المشرقية، فإذا أردت فور غيابها عن النظر، فإن الصلاة لا تكون قضاء في هذه الحالة، لأن المفروض أن الغروب لم يتحقق بعد.. فلا يصح القول: إن الصلاة قد فاتته، وقد روي في صحيح مسلم وغيره: أنه «صلى الله عليه وآله» قال: إذا غابت الشمس من ها هنا وأشار إلى المغرب، وأقبل الليل من ها هنا، وأشار إلى المشرق، فقد أفطر الصائم(١).

ثالثاً: ذكرت بعض النصوص: أن الله تعالى رد الشمس عليه، أو حبسها له بعدما كادت تغرب.

وهذا معناه: أن صلاة العصر لم تكن قد فاتته، لأن وقتها يمتد إلى وقت غروب الشمس.

وقال ابن إدريس في السرائر: «ولا يحل أن يعتقد أن الشمس غابت، ودخل الليل، وخرج وقت العصر بالكلية، وما صلى الفريضة «عليه السلام»، لأن هذا من مُعْتَقِدِهِ جهل بعصمته «عليه السلام»، لأنه يكون مخلاً بالواجب

---

(١) صحيح مسلم ج٣ ص١٣٢ والمجموع للنووي ج٦ ص٣٠٣ وراجع: الجامع لأحكام القرآن ج٢ ص٣٢٨ و ٣٢٩ وتفسير القرآن العظيم ج٣ ص٥٧٨ والسنن الكبرى للبيهقي ج٤ ص٢١٦ ومسند الحميدي ج١ ص١٢ والسنن الكبرى للنسائي ج٢ ص٢٥٢ والإستذكار لابن عبد البر ج٣ ص٢٨٨ .

المضيق عليه. وهذا لا يقوله من عرف إمامته، واعتقد بعصمته»[١].

وعلى كل حال: فإن مناوئي علي «عليه السلام» قد سعوا بكل ما لديهم من طاقة وحول إلى إبطال هذه الكرامة الكبرى له «عليه السلام»، أو إثارة الشبهات والتشكيكات حولها، ولكن الله يأبى إلا أن يتم نوره، ولو كره الشانئون، والحاقدون، والحاسدون لعلي «عليه السلام»، وللأئمة الطاهرين من ولده «عليهم السلام»..

فمن أراد الاطلاع على المزيد مما يرتبط بهذا الموضوع، فليرجع إلى كتابنا الموسوم بـ: «رد الشمس لعلي عليه السلام»، والله الموفق، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

(١) راجع: السرائر ج١ ص٢٦٥ وبحار الأنوار ج٨٠ ص٣١٨.

الباب السابع:

إلى فتح مكة..

الفصل الأول:

ذات السلاسل..

سرية ذات السلاسل:

١ ـ ورد في بعض الروايات عن الإمام الصادق «عليه السلام»: أن النبي «صلى الله عليه وآله» وجَّه عمر بن الخطاب في سرية فرجع منهزماً، يجبِّن أصحابه ويجبنونه، فأرسل علياً «عليه السلام» وأمره أن لا يفارقه العين، فأغار عليهم، فنزلت: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً..﴾ إلى آخر السورة[١].

٢ ـ وروي: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لما بعث سرية ذات السلاسل، عقد الراية وسار بها أبو بكر، حتى إذا صار بها بقرب المشركين اتصل بهم خبرهم، فتحرزوا ولم يصل المسلمون إليهم.

فأخذ الراية عمر وخرج مع السرية، فاتصل بهم خبرهم، فتحرزوا، ولم يصل المسلمون إليهم.

فأخذ الراية عمرو بن العاص، فخرج في السرية فانهزموا.

فأخذ الراية علي، وضم إليه أبا بكر، وعمر، وعمرو بن العاص، ومن

---

(١) أمالي ابن الشيخ ص٢٥٩ و ٢٦٠ وبحار الأنوار ج٢١ ص٧٥ و ٧٦ عنه، والبرهان (تفسير) ج٤ ص٤٩٨ و ٤٩٩ ونور الثقلين ج٥ ص٦٥٢ والتفسير الصافي ج٥ ص٣٦١.

كان معه في تلك السرية.

وكان المشركون قد أقاموا رقباء على جبالهم، ينظرون إلى كل عسكر يخرج إليهم من المدينة على الجادة، فيأخذون حذرهم واستعدادهم.

فلما خرج علي «عليه السلام» ترك الجادة، وأخذ بالسرية في الأودية بين الجبال.

فلما رأى عمرو بن العاص وقد فعل علي ذلك، علم أنه سيظفر بهم، فحسده، فقال لأبي بكر، وعمر، ووجوه السرية: إن علياً رجل غر، لا خبرة له بهذه المسالك، و نحن أعرف بها منه، وهذا الطريق الذي توجه فيه كثير السباع، وسيلقى الناس من معرتها أشد ما يحاذرونه من العدو، فاسألوه أن يرجع عنه إلى الجادة.

فعرَّفوا أمير المؤمنين «عليه السلام» ذلك، فقال: من كان طائعاً لله ولرسوله منكم فليتبعني، ومن أراد الخلاف على الله ورسوله فلينصرف عني.

وفي نص آخر: فقال لهم أمير المؤمنين «عليه السلام»: الزموا رحالكم، وكفوا عما لا يعنيكم، واسمعوا وأطيعوا، فإني أعلم بما أصنع(١).

فسكتوا، وساروا معه، فكان يسير بهم بين الجبال في الليل، ويكمن في الأودية بالنهار، وصارت السباع التي فيها كالسنانير، إلى أن كبس المشركين

---

(١) راجع هذه الفقرة في: بحار الأنوار ج٢١ ص٧٤ وتفسير القمي ج٢ ص٤٣٩ ونور الثقلين ج٥ ص٦٥٧.

وهم غارون آمنون وقت الصبح، فظفر بالرجال، والذراري، والأموال، فحاز ذلك كله، وشد الرجال في الحبال كالسلاسل، فلذلك سميت غزاة ذات السلاسل.

فلما كانت الصبيحة التي أغار فيها أمير المؤمنين «عليه السلام» على العدو ـ ومن المدينة إلى هناك خمس مراحل ـ خرج النبي «صلى الله عليه وآله» فصلى بالناس الفجر، وقرأ: «والعاديات» في الركعة الأولى، وقال: «هذه سورة أنزلها الله عليَّ في هذا الوقت، يخبرني فيها بإغارة علي على العدو. وجعل حسده (أي حسد الإنسان) لعلي حسداً له، فقال: ﴿**إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ**﴾(١). والكنود: الحسود(٢).

٣ ـ وذكر نص آخر: أن أعرابياً أخبر النبي «صلى الله عليه وآله» باجتماع قوم من العرب في وادي الرمل ليبيتوه في المدينة.. فأخبر النبي «صلى الله عليه وآله» المسلمين..

فانتدب إليهم جماعة من أهل الصفة، فأقرع بينهم، فخرجت القرعة على ثمانين رجلاً، فاستدعى أبا بكر، فقال له: خذ اللواء، وامض إلى بني سليم، فإنهم قريب من الحرة..

فمضى إليهم. وهم ببطن الوادي، والمنحدر إليهم صعب. فخرجوا

---

(١) الآية ٦ من سورة العاديات.

(٢) بحار الأنوار ج٢١ ص٧٦ و ٧٧ والخرائج والجرائح ج١ ص١٦٧ و ١٦٨ وراجع: إثبات الهداة ج٢ ص١١٨.

إليه ـ حين أرادوا الإنحدار ـ فهزموه، وقتلوا من المسلمين جمعاً كثيراً.

فعقد «صلى الله عليه وآله» لعمر بن الخطاب، وبعثه إليهم.. فهزموه أيضاً.

فأرسل إليهم عمرو بن العاص بطلب من عمرو نفسه، فخرجوا إليه، فهزموه، وقتلوا جماعة من أصحابه..

فدعا علياً «عليه السلام»، فعقد له، ثم قال: «أرسلته كراراً غير فرار».

وشيعه إلى مسجد الأحزاب، وأنفذ معه أبا بكر، وعمر، وعمرو بن العاص.

فسار بهم «عليه السلام» نحو العراق متنكباً للطريق، حتى ظنوا أنه يريد بهم غير ذلك الوجه، ثم انحدر بهم على محجة غامضة، حتى استقبل الوادي من فمه..

وكان يسير بالليل، ويكمن بالنهار.

فلما قرب من الوادي أمرهم أن يعكموا الخيل..

فعرف عمرو بن العاص أنه الفتح.

ثم ذكرت الرواية نحو ما تقدم في الرواية السابقة.

ثم قالت: قالوا: وقتل منهم مئة وعشرين رجلاً. وكان رئيس القوم الحارث بن بشر، وسبى منهم مئة وعشرين.

فلما رجع واستقبله النبي «صلى الله عليه وآله» والمسلمون.. قال له: «لولا أني أشفق أن تقول فيك طوائف من أمتي ما قالت النصارى في

المسيح عيسى بن مريم لقلت فيك اليوم مقالاً لا تمر بملأ من الناس إلا وأخذوا التراب من تحت قدميك»(١).

٤ ـ وجاء في نص آخر: أن النبي «صلى الله عليه وآله» أخبر الناس بما أنذر به الإعرابي، وقال لهم: «فمن للوادي»؟!

فقام رجل من المهاجرين، فقال: أنا له يا رسول الله، فناوله اللواء، وضم إليه سبع مائة رجل، فسار إليهم، فسألوه عن شأنه، فأخبرهم، فقالوا: «ارجع إلى صاحبك، فإنَّا في جمع لا تقوم له»، فرجع.

فأرسل مهاجرياً آخر، فمضى، ثم عاد بمثل ما عاد به صاحبه.

فأرسل علياً «عليه السلام» فمضى إلى وادي الرمل، فوافى القوم بسحر، فأقام حتى أصبح، ثم عرض على القوم أن يسلموا أو يضربهم بالسيف، فطلبوا منه أن يرجع كما رجع صاحباه، فأبى، وأخبرهم أنه علي، فاضطربوا لما عرفوه، ثم اجترأوا على مواقعته، فقتل منهم ستة أو سبعة، وانهزموا، وظفر المسلمون بالغنائم، ورجعوا.

فاستقبله المسلمون والنبي، فلما بصر بالنبي «صلى الله عليه وآله» ترجل عن فرسه، وأهوى إلى قدميه يقبلهما.

فقال له «صلى الله عليه وآله»: «اركب، فإن الله تعالى ورسوله عنك

---

(١) الإرشاد للمفيد ج١ ص ١٦٤ و ١٦٥ وبحار الأنوار ج٢١ ص٧٧ ـ ٧٩ وراجع ص٨٣ و ٨٤ وتفسير فرات، والبرهان (تفسير) ج٤ ص٤٩٨ والمستجاد من كتاب الإرشاد ص١٠٣ وكشف الغمة ج١ ص٢٠٣ و ٢٣١.

راضيان».

فبكى علي «عليه السلام» فرحاً، ونزلت سورة العاديات في هذه المناسبة(١).

٥ ـ وفي حديث ابن عباس: أنه «صلى الله عليه وآله» دعا أبا بكر إلى غزوة ذات السلاسل، فأعطاه الراية فردها..

ثم دعا عمر، فأعطاه الراية فردها.

ثم دعا خالد بن الوليد فأعطاه الراية، فرجع.

فأعطاها علياً «عليه السلام» فانطلق بالعسكر، فنزل في أسفل جبل كان بينه وبين القوم، وقال: اركبوا (لعل الصحيح: اكعموا) دوابكم.

فشكا خالد لأبي بكر وعمر: أنه أنزلهم في واد كثير الحيات، كثير الهام، كثير السباع، فإما يأكلهم مع دوابهم سبع، أو تعقرهم ودوابهم حيات، أو يعلم بهم العدو فيقتلهم..

فراجعوا علياً «عليه السلام» بالأمر، فلم يقبل منهم.

---

(١) راجع: الإرشاد للمفيد ج١ ص ١١٤ ـ ١١٧ وبحار الأنوار ج٢١ ص٨٠ ـ ٨٢ عنه وج٣٦ ص١٧٨ و ١٧٩ وج٤١ ص٩٢ و ٩٣ وعن إعلام الورى ص ١١٦ و ١١٧ ومناقب آل أبي طالب ص٣٢٨ ـ ٣٣٠ والمستجاد من كتاب الإرشاد ص١٠٠ ـ ١٠٣ وشجرة طوبى ج٢ ص٢٩٥ و ٢٩٦ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٥٧٤ ـ ٥٧٦ وعن كشف الغمة ج١ ص٢٣٠ ـ ٢٣٢ وكشف اليقين ص١٥١ و ١٥٢ وتأويل الآيات ج٢ ص٨٤٠ و ٨٤١.

ثم راجعوه مرة أخرى فلم يقبل.

فلما كان السحر أمرهم فطلعوا الجبل، وانحدروا على القوم، فأشرف عليهم، وقال لأصحابه: انزعوا عكمة دوابكم، فشمَّت الخيل ريح الإناث، فصهلت، فسمع القوم صهيل الخيل فهربوا.

فقتل مقاتليهم، وسبى ذراريهم. فنزلت سورة «والعاديات» على النبي «صلى الله عليه وآله»، ثم جاءته البشارة(١).

إختلافات لها حل:

وقد ظهرت في النصوص المتقدمة بعض الإختلافات التي تحتاج إلى معالجة معقولة ومقبولة.

وهذه المعالجة ليست بعيدة المنال في هنا.

ونحن نذكر نماذج من تلك الإختلافات، ثم نعقب ذلك بما نراه معالجة مناسبة، فنقول:

من اختلافات الروايات:

ظهرت إختلافات كثيرة في الروايات التي ذكرناها، وفي سواها مما لم نذكر، مما تعرض لهذه الحادثة.. فلاحظ ما يلي:

١ ـ هل بعث النبي «صلى الله عليه وآله» هذه السرية إلى قضاعة،

(١) بحار الأنوار ج٢١ ص٨٢ و ٨٣ وج٤١ ص٩٢ و ٩٣ ومناقب آل أبي طالب ج٢ ص٣٢٨ و ٣٢٩ وشجرة طوبى ج٢ ص٢٩٥ وتفسير فرات ص٥٩١.

وعاملة، ولخم، وجذام، وكانوا مجتمعين؟![1].

أو إلى قضاعة فقط[2].

أو إلى بني سليم[3].

أو بعث عمرو بن العاص يستنفر العرب إلى الشام؟![4].

٢ ـ هل المقتولون من الأعداء حين هاجمهم علي «عليه السلام» مئة

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٦٨ عن البلاذري.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٦٧ والمغازي للواقدي ج٢ ص٧٧٠ وعيون الأثر ج٢ ص١٧١ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص١٣١ وفتح الباري ج٨ ص٥٩ وعمدة القاري ج١٨ ص١٣ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص١٩٩.

(٣) بحار الأنوار ج٢٠ ص٣٠٨ وج٢١ ص٧٧ و ٨٠ وج٣٦ ص١٧٨ وتفسير فرات ص٥٩٢ وكشف اليقين ص١٥١ وتأويل الآيات ج٢ ص٨٤٠ و ٨٤١ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص١٧٤ والإرشاد للمفيد ج١ ص١٦٢ وكشف الغمة ج١ ص٢٣٠.

(٤) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٦٧ والمغازي للواقدي ج٢ ص٧٧٠ وتاريخ مدينة دمشق ج٢ ص٢٣ وأسد الغابة ج٤ ص١١٦ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣١٤ والبداية والنهاية ج٤ ص٣١١ و ٣١٢ وج٥ ص٢٣٨ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص١٠٤٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥١٦ وج٤ ص٤٣٥ وفتح الباري ج٨ ص٥٩.

وعشرون رجلاً، والسبايا منهم مئة وعشرون ناهداً؟![1].

أم قتل منهم ستة، أو سبعة، ثم انهزموا؟![2].

٣ ـ هل المحرض لأبي بكر وعمر على الإعتراض على علي في مسيره في الطريق الوعر هو عمرو بن العاص؟![3].

أم هو خالد بن الوليد؟![4].

٤ ـ هل اعترض أبو بكر وعمر، وابن العاص على المنزل الذي أنزلهم فيه علي «عليه السلام»[5].

أم اعترضوا على الطريق التي سلكها بهم؟![6].

---

(١) تفسير فرات ص٥٩٢ وبحار الأنوار ج٢١ ص٨٤ عنه.

(٢) بحار الأنوار ج٢١ ص٨١ والإرشاد للمفيد ج١ ص١١٦ وإعلام الورى ص١١٦ و ١١٧ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٥٧٦ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٨٥ ومنهاج الكرامة ص١٦٧.

(٣) بحار الأنوار ج٢١ ص٧٧ و ٧٨ وج٣٦ ص١٧٩ وج٤١ ص٩٢ والخرائج والجرائح ج١ ص١٦٧ والإرشاد ج١ ص١٦٤ وتأويل الآيات ج٢ ص٨٤٢ وكشف اليقين ص١٥١ و ١٥٢.

(٤) بحار الأنوار ج٢١ ص٨٢ وج٤١ ص٩٢ وتفسير فرات ص٥٩١.

(٥) بحار الأنوار ج٢١ ص٨٢ وج٣٦ ص١٧٩ وج٤١ ص٩٢ وتفسير فرات ص٥٩١ وشجرة طوبى ج٢ ص٢٩٥.

(٦) الإرشاد ج١ ص١٦٤ وتأويل الآيات ج٢ ص٨٤٢ وكشف اليقين ص١٥١ =

٥ ـ من الذي أخبر النبي «صلى الله عليه وآله» بجمع الأعداء، وبعددهم، وبما تعاقدوا عليه؟!

هل هو جبرائيل؟![1] أم رجل أَعرابي؟![2].

٦ ـ هل أغار علي «عليه السلام» على الأعداء عند الفجر؟![3] أم عند السحر؟![4].

٧ ـ هل خرج إلى أبي بكر مئتا رجل، فكلموه، وخوفوه، فرجع؟![5] أم

= و ١٥٢ وكشف الغمة ج١ ص٢٣١ وبحار الأنوار ج٢١ ص٧٧ و ٧٨.

(١) بحار الأنوار ج٢١ ص٦٨ وتفسير القمي ج٢ ص٤٣٤ ونور الثقلين ج٥ ص٦٥٢ وتفسير الصافي ج٥ ص٣٦٢ وتأويل الآيات ج٢ ص٨٤٤.

(٢) بحار الأنوار ج٢١ ص٧٧ و ٨٠ والإرشاد ج١ ص١١٤ و ١٦٢ وكشف الغمة ج١ ص٢٣٠ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٨٤٤.

(٣) راجع: بحار الأنوار ج٢١ ص٧٦ و ٧٧ و ٧٩ و ٨٣ وج٤١ ص٩٢ والأمالي للشيخ ص٢٥٩ و ٢٦٠ وشجرة طوبى ج٢ ص٢٩٥ وتفسير فرات ص٦٠٢ ومناقب آل أبي طالب ج٢ ص٣٢٩ والخرائج والجرائح ج١ ص١٦٨ والإرشاد ج١ ص١٦٥ والمستجاد من كتاب الإرشاد ص١٠٣ وكشف الغمة ج١ ص٢٣٢.

(٤) بحار الأنوار ج١ ص٨٣ و ٨٤ وتفسير فرات ص٥٩٢.

(٥) بحار الأنوار ج٢١ ص٦٩ و ٧٠ وتفسير القمي ج٢ ص٤٣٥ وتفسير فرات ص٥٩٩ وتفسير الصافي ج٥ ص٣٦٢ وإعلام الورى ص١١٦ و ١١٧ وتأويل الآيات ص٨٤٥ ونور الثقلين ج٥ ص٦٥٣.

أنه لما صار إلى الوادي، وأراد الإنحدار هاجموه، وهزموه، ثم أرسل إليهم عمر فهزموه، ثم عمرو بن العاص فكذلك؟![١].

٨ ـ هل تمكن علي من كبس المشركين وهم غارون فظفر بهم؟![٢]، أم أنهم سمعوا صهيل خيله فولوا هاربين؟![٣].

أم أنه لم يباغتهم، بل خاطبهم، وأخبرهم أن النبي «صلى الله عليه وآله» أرسله إليهم، فأجترأوا عليه وقاتلوه؟![٤].

٩ ـ هل ذهبت السرية إلى وادي اليابس؟![٥] أو أنها ذهبت إلى وادي

(١) بحار الأنوار ج٢١ ص٧٨ وج٣٦ ص١٧٩ وج٤١ ص٩٢ والإرشاد ج١ ص١٦٣ ومناقب آل أبي طالب ج٢ ص٣٢٨ والمستجاد من كتاب الإرشاد ص١٠١ و ١٠٢ وتأويل الآيات ج٢ ص٨٤٠ وكشف الغمة ج١ ص٢٣١ وكشف اليقين ص١٥١.

(٢) بحار الأنوار ج٢١ ص٧٩ و ٨٤ وتفسير فرات ص٥٩٣ ص٦٠٢ والخرائج والجرائح ج١ ص١٦٨ وراجع: الإرشاد ج١ ص١٦٥ والمستجاد من كتاب الإرشاد ص١٠٣.

(٣) بحار الأنوار ج٢١ ص٨٣ وج٤١ ص٩٣ وتفسير فرات ص٥٩٢ ومناقب آل أبي طالب ج٢ ٣ ص٣٢٩.

(٤) بحار الأنوار ج٢١ ص٨١ والإرشاد للمفيد ج١ ص١١٦ وإعلام الورى ص١١٦ و ١١٧ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٥٧٦.

(٥) بحار الأنوار ج٢١ ص٦٨ وشجرة طوبى ج٢ ص٢٩٥ وتفسير القمي ج٢ =

الرمل؟!(١).

١٠ ـ هل فر المشركون بمجرد سماعهم صهيل خيل علي «عليه السلام»؟!(٢) أو أنهم فروا بعد أن كلمهم علي، وأخبرهم بأن النبي «صلى الله عليه وآله» أرسله إليهم؟!(٣).

١١ ـ بعض النصوص اقتصرت على أن عمرو بن العاص هو المهاجم، لأولئك القوم، الذي دوَّخ البلاد.

وفي بعضها: أنه أرسل عمر ففشل، فأرسل علياً «عليه السلام»، فكان

= ص٤٣٤ وتفسير فرات ص٥٩٩ والتفسير الصافي ج٥ ص٣٦٢ والتفسير الأصفى ج٢ ص١٤٦٩ وبحوث في تاريخ القرآن للزرندي ص٥١ وتأويل الآيات ج٢ ص٨٤٤.

(١) مستدرك الوسائل ج٤ ص١٦١ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٣٠٨ وج٢١ ص٨٠ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٥٧٤ وإعلام الورى ج١ ص٣٨٢ وكشف الغمة ج١ ص٢٣٠ والإرشاد ج١ ص١٦٢ والمستجاد من كتاب الإرشاد ص١٠٠ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص١٧٤ والنص والإجتهاد ص٣٣٦ وكشف اليقين ص١٥١ وتأويل الآيات ج٢ ص٨٤٠.

(٢) بحار الأنوار ج٢١ ص٨٣ وج٤١ ص٩٣ وتفسير فرات ص٥٩٢ ومناقب آل أبي طالب ج٢ ٣ ص٣٢٩.

(٣) بحار الأنوار ج٢١ ص٨١ والإرشاد للمفيد ج١ ص١١٦ وإعلام الورى ص١١٦ و ١١٧ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٥٧٦.

الفتح على يديه(١).

وفي بعضها: أرسل أبا بكر، وعمر، وعلياً(٢).

وفي بعضها: أرسل رجلاً من المهاجرين ثم رجلاً من الأنصار، ثم علياً «عليه السلام»(٣).

وفي بعضها: أرسل أبا بكر، ثم عمر، ثم ابن العاص، ثم علياً(٤).

ونص آخر: يذكر أبا بكر، ثم عمر، ثم خالداً، ثم علياً(٥).

١٣ ـ وهل كان عدد أفراد السرية خمس مئة مقاتل، مئتان منهم جاء

---

(١) بحار الأنوار ج٢١ ص٧٥ والأمالي للشيخ ص٢٥٩ و ٢٦٠ والصافي (تفسير) ج٥ ص٣٦١ والتفسير الأصفى ج٢ ص١٤٦٩.

(٢) بحار الأنوار ج٢١ ص٦٨ وتفسير القمي ج٢ ص٤٣٤ وتأويل الايات ج٢ ص٨٤٤ ونور الثقلين ج٥ ص٦٥٢ وتفسير الصافي ج٥ ص٣٦٢.

(٣) بحار الأنوار ج٢١ ص٨٠ وراجع ص٦٦ والإرشاد للمفيد ج١ ص١١٤ وإعلام الورى ص١١٦ و ١١٧ ومجمع البيان ج١٠ ص٥٢٨ و ٥٢٩ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٥٧٤.

(٤) بحار الأنوار ج٢١ ص٧٧ وج٤١ ص٩٢ والخرائج والجرائح ج١ ص١٦٧ والإرشاد ج١ ص١٦٣ ومناقب آل أبي طالب ج٢ ص٣٢٨ والمستجاد من كتاب الإرشاد ص١٠١ وكشف الغمة ج١ ص٢٣١.

(٥) بحار الأنوار ج٢١ ص٨٢ وتفسير فرات ص٥٩١.

بهم أبو عبيدة مدداً لعمرو بن العاص؟![1].

أو كان العدد أربعة آلاف؟![2]، أو سبع مئة مقاتل؟![3].

أو أنه أرسل ثمانين رجلاً مع علي أخرجتهم له القرعة؟![4].

١٤ ـ وهل إن أبا بكر وعمر عادا إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، ولم يباشرا قتالاً، كما في رواية القمي؟!..

أم أن أولئك القوم خرجوا إلى أبي بكر فهزموه، وقتلوا من المسلمين

---

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٦٧ و ١٦٨ والمغازي للواقدي ج٢ ص٧٧٠ وتاريخ الخميس ج٢ ص١٧٥ وعن عيون الأثر ج٢ ص١٧١ وعن فتح الباري ج٨ ص٥٩ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص١٣١ وغير ذلك كثير.

(٢) بحار الأنوار ج٢١ ص٦٧ ـ ٧٣ وتفسير القمي ج٢ ص٤٣٥ وتفسير فرات ص٥٩٩ والتفسير الصافي ج٥ ص٣٦٢ ونور الثقلين ج٥ ص٦٥٢ وتأويل الآيات ج٢ ص٨٤٤.

(٣) بحار الأنوار ج٢١ ص٨٠ و ٨٢ والإرشاد للمفيد ج١ ص١١٤ و ١١٧ وعن إعلام الورى ص١١٦ و ١١٧ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٥٧٥.

(٤) بحار الأنوار ج٢١ ص٧٧ ـ ٧٩ و ٨٣ و ٨٤ وج٣٦ ص١٧٨ وراجع: الإرشاد للمفيد ج١ ص١٦٤ ـ ١٦٦ وتفسير فرات ص٥٩٢ والمستجاد من كتاب الإرشاد ص١٠١ وكشف اليقين ص١٥١ وتأويل الآيات ج٢ ص٨٤٠ وكشف الغمة ج١ ص٢٣.

جمعاً كثيراً؟!(١).

١٥ ـ هل يبعد موقع هذا الحدث عن المدينة اثنتي عشرة مرحلة؟!(٢) أو أربع عشرة؟!(٣) أو خمس مراحل؟!(٤).

أم أنها كانت أقرب من ذلك، حيث كان المشركون قد جعلوا رقباءهم فوق جبالهم ينظرون إلى كل عسكر يخرج من المدينة إليهم؟!(٥)، أم أنهم كانوا من بني سليم، وكانوا قريبين من الحرة؟!(٦).

---

(١) الإرشاد للمفيد ج١ ص١٦٣ وبحار الأنوار ج٢١ ص٧٨ عنه ومناقب آل أبي طالب ج٢ ص٣٢٨ والمستجاد من كتاب الإرشاد ص١٠١ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٥٧٧ وكشف الغمة ج١ ص٢٣١.

(٢) معجم البلدان ج٢ ص١٥ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٧٩ وكتاب العين للفراهيدي ج٥ ص٣٤٢.

(٣) راجع: فتح الباري ج٨ ص٤٤٨ وشرح النووي على صحيح مسلم (ط دار الكتاب العربي) ج١٥ ص٤٥ و (ط دار الفكر) ص٥٨ وتحفة الأحوذي (ط دار الفكر) ج٥ ص٣١٢ وج٨ ص٤٠٥ و (ط دار الكتب العلمية) ج٥ ص٣١٠ وج٨ ص٤٠٢ وشجرة طوبى ج٢ ص٣١٢ وعون المعبود ج١ ص١٧٤ وعمدة القاري ج٩ ص٦٤ ومجمع البحرين ج١ ص٢٦٥.

(٤) بحار الأنوار ج٢١ ص٧٧ والخرائج والجرائح ج١ ص١٦٨.

(٥) بحار الأنوار ج٢١ ص٧٧ والخرائج والجرائح ج١ ص١٦٧.

(٦) الإرشاد للمفيد ج١ ص١٦٣ ـ ١٦٥ وبحار الأنوار ج٢١ ص٧٧ ـ ٧٩ و ٨٣ =

١٦ ـ وهل حدث ذلك قبل مؤتة؟! أو بعدها؟! أو سنة سبع؟![1]، أو ثمان في جمادي الآخرة؟! أو بعد قريظة، وقبل المريسيع؟![2].

فإن كانت سنة سبع، أو قبل المريسيع، فلا يتلاءم ذلك مع قولهم: إن إسلام عمرو بن العاص كان سنة ثمان.

كانت تلك طائفة من الإختلافات بين الروايات، وهناك اختلافات أخرى أعرضنا عنها اكتفاءً بما ذكرناه.. وهذه الإختلافات وإن أمكن معالجة قسم منها، ولكن القسم الآخر لا بد أن يبقى على لائحة الإنتظار.

وربما يمكن القول بأن هناك أكثر من واقعة حدثت، وقد تشابهت في بعض الخصوصيات، وظهر التباين في البعض الآخر.

وفي جميع الأحوال لا بد من معالجة بعض ما ورد في هذا المقام، فنقول:

= و ٨٤ عنه، وعن تفسير فرات ص٥٩٢ والمستجاد من كتاب الإرشاد ص١٠١ وكشف الغمة ج١ ص٢٣١.

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٧٢ وتاريخ الخميس ج٢ ص٧٥ والنص والإجتهاد ص٣٣٦ عن السيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٢٧٢ و ٢٧٤ وعن الكامل لابن الأثير ج٢ ص١٥٦ والسيرة الحلبية ج٣ ص١٩٠ وراجع: معجم قبائل العرب ج٣ ص٩٧٤ وعن فتح الباري ج٨ ص٥٨.

(٢) بحار الأنوار ج٢١ ص٨٠.

تحرزوا، بدل: انهزموا:

وقد ذكرت بعض الروايات: أن أبا بكر وعمر، انهزما بمن معهما من وجه المشركين، ولكننا نجد الرواية رقم (٢) تقول: «حتى إذا صار بقرب المشركين اتصل بهم، خبرهم، فتحرزوا، ولم يصل المسلمون إليهم».

ولكن حين يصل الحديث إلى ابن العاص نجد الرواية تصرح بهزيمته ومن معه، فما هذا العطف والحنان على أبي بكر وعمر، الذي حرم منه عمرو بن العاص، مع أن عمرواً كان من حزبهم أيضاً!

ولكن قد فات هؤلاء أن القارئ والسامع لا بد أن يشك في الأمر هنا ويقول: لماذا تحرز المشركون من أبي بكر وعمر، ولم يتحرزوا من عمرو بن العاص؟! ولماذا هاجموه، وتحاشوا مهاجمتهما؟!

كرار غير فرار، مرة أخرى:

وقد ذكرت الرواية الثانية قول النبي «صلى الله عليه وآله» عن علي «عليه السلام»: إنه كرار غير فرار.. وهي العبارة نفسها التي كان «صلى الله عليه وآله» قد قالها في خيبر، بعد هزيمة أبي بكر وعمر وغيرهما، وأعطى الراية لعلي، فعاد بالفتح..

وقد ظهر مصداق هذه الكلمة في علي «عليه السلام»، وفي مناوئيه في مناسبات عدة أخرى، فهم فرارون، حتى عن علي «عليه السلام» الذي كان كراراً في نفس تلك المواطن التي فرَّ فيها أولئك، فضلاً عما عداها..

فقد حصل ذلك في:

١ ـ قريظة.

٢ ـ خيبر.

٣ ـ فدك.

٤ ـ وادي الرمل بمشاركة عمرو بن العاص..

٥ ـ ذات السلاسل قرب المدينة بمشاركة خالد.

٦ ـ وربما في بني سليم.

٧ ـ وربما في قضاعة في بلاد الشام..

هذا كله.. عدا ما جرى في أحد، وحنين، والخندق.. وغير ذلك.. فهل هذه محض صدف؟! ولماذا يصر النبي «صلى الله عليه وآله» على تكرار إعطاء الراية لغير علي أولاً، وربما لعدة أشخاص، فينهزمون، ثم يعطيها علياً «عليه السلام» فيعود بالنصر المؤزر؟!

ثم يكرر هذا الفعل في مورد آخر.

ثم في ثالث ورابع و.. و.. الخ..؟! ألا ترى معي أنه كان يريد أن يفهم الناس أمراً بعينه؟!

على خلاف ما يتوقع:

وقد رأينا أنه «صلى الله عليه وآله» قد أرسل مع علي «عليه السلام» نفس أولئك المهزومين بالراية قبله.. ولعل سبب ذلك هو:

١ ـ أن يريهم بأم أعينهم أن النصر قد تحقق بوسائله الطبيعية، من خلال شجاعة، وحكمة وتدبير القائد.

٢ ـ إنه قد يكون هناك رغبة لدى بعضهم لإفشال علي في مهمته، ولو بالإتصال بالمشركين، وتحذيرهم من هجومه «عليه السلام».

النصر بالقائد، لا بالعسكر:

وقد رأينا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» أرسل علياً «عليه السلام» في ثمانين رجلاً فقط، وهم من أهل الصفة كما تقدم، وأهل الصفة هم من الضعفاء الذين ليس لهم أموال، يعتمدون عليها..

أما أبو بكر وعمر، وابن العاص، فقد كان معهم الجيش الكثيف، المؤلف من خمس مئة، أو سبع مئة مقاتل، أو من آلاف المقاتلين.. وإذ بالنصر يأتي على يد علي «عليه السلام»، ويأبى أن يأتي على يد أولئك، رغم كثرة جموعهم.

مع العلم بأن هزيمة الجيش أولاً ثلاث أو أربع مرات، من شأنها أن تجعل الهزيمة في المرة التالية أكثر احتمالاً، لأن الهمم تكون قد تضاءلت، والرهبة والرغبة في السلامة تأكدت..

كما أن الأعداء يصبحون أكثر جرأة، وحملاتهم أشد شراسة.

فالنصر في هذه المرة يكون أبعد منالاً، وأقل احتمالاً.

ولكن حين يكون المنتدب لهذه المهمة هو علي «عليه السلام»، فإنه يجعل من الضعف لدى أصحابه قوة له، ومن رهبتهم جرأة وإقداماً، ومن الهزيمة الروحية لهم اندفاعاً وبأساً ومراساً.

الحسد القاتل:

وإن تحريض عمرو بن العاص لأبي بكر وعمر على نقض تدبير علي «عليه السلام»، حين أدرك أنه سوف يأتي بالنصر، لا نجد له مبرراً إلا الحسد الغبي، والحقد الأرعن لإنسان مهزوم، كان يمكن أن يلمِّع صورته ببعض الأعذار حتى لو كانت باهتة وشوهاء، ولو بأن يقر بما انتابه من رعب وخَوَر، وخوف، ناشيء عن ضعف البصيرة، وضعف الصلة بالله، الأمر الذي هوَّن عليه مخالفة التكليف الإلهي، وليدَّع ـ بعد ذلك ـ أنه قد ندم وتاب، وأسف لما بدر منه.

ولكن لا يمكن تصور إنسان يؤمن بالله واليوم الآخر يسعى لتضييع النصر على الدين وأهله، استجابة منه لرذيلة الحسد، والحقد غير المبرر ولا المقبول!

استجابة الشيخين لتحريض ابن العاص:

ولا ندري كيف نفسر انقياد أبي بكر وعمر لتحريض عمرو لهما على العمل لكسر إرادة علي «عليه السلام»، والإخلال بعزيمته، وإبطال تدبيره.

فإن كانا لم يلتفتا إلى حقيقة ما يرمي إليه ابن العاص.. فالسؤال هو أين ما يدعيه محبوهما لهما من حصافة في الرأي، ومن بعد نظر، وحكمة وتبصر في الأمور..

وإن كانا قد التفتا إلى مقاصد عمرو بن العاص، ورضيا بأن يشاركاه في سعيه هذا، فالمصيبة أعظم، وأشد مرارة، ولا نريد أن نقول أكثر من ذلك.

منطق علي عليه السلام:

ويظهر من جواب أمير المؤمنين «عليه السلام» لهؤلاء المعترضين: أنه يعتبر اتباعهم له «عليه السلام» إطاعة لله ولرسوله «صلى الله عليه وآله»، وأن الاعتراض عليه عصيان لله ولرسوله..

وهو يصرح: بأن إصرارهم على اعتراضهم سوف ينتج طردهم من صفوف الجيش الذي يقوده «عليه السلام». وعليهم أن يواجهوا عاقبة فعلهم هذا، وأن يقدموا تفسيراً مقبولاً ومرضياً لدى رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

وإذا أضيف إلى ذلك جوابه الآخر، المتضمن لأمرهم بلزوم رحالهم، والكف عما لا يعنيهم، فإنه يكون قد أفهمهم:

١ ـ أنه سوف يكون حازماً في موقفه هذا بنحو لا مجال فيه لأي جدل، أو اعتراض، لأنه في موقف لا مكان لغير الحزم فيه، وسيكون إفساح المجال للجدل، وللتشكيك، والأخذ والرد فيه سبباً في خلق مشكلات، ونشوء عراقيل قد تؤثر على المهمة التي انتدبه الرسول «صلى الله عليه وآله» لإنجازها.

٢ ـ إن الانضباط في المهمات القتالية، والكون في المواقع التي تحددها من قبل القيادة للأفراد، يعطي القدرة على التخطيط، والطمأنينة لسلامة التنفيذ، ويمكِّن من تحقيق النتائج، بعيداً عن المفاجآت التي يهيئ لها الخلل في الإعداد والاستعداد..

٣ ـ إن تدخل الجنود فيما لا يعنيهم، وخصوصاً فيما يرتبط بالقرارات

الحربية للقيادة.. معناه: أن يفقد القائد قدرته على التأثير في فرض قراراته، وفي سلامة تنفيذها حرفياً.

٤ ـ إنه «عليه السلام» قد عرَّف الناس: أن اعتراض هؤلاء يهدف إلى تهيئة الأجواء لعصيان أوامر القائد، والتمرد على قراراته، وليس من مصلحة المعترضين أن يظهر هذا الأمر للناس عنهم، ولذلك لم يعد أمامهم أي خيار سوى التراجع عن موقفهم..

٥ ـ إنه قد عرفهم وعرف الناس: أن ما يتذرعون به من أنهم يعرفون أمراً لم يكن علي «عليه السلام» عارفاً به غير صحيح، فهو عالم بما يصنع، فلا مجال لتضليل الناس بذرائع من هذا القبيل.

خطة علي عليه السلام:

إن حذر القوم الذين يراد مهاجمتهم، واستعدادهم لابد أن يكون له أسبابه الواقعية.. **وهي أحد أمرين:**

١ ـ أن يكون لهم عين في المسلمين، يرسل إليهم بما يجري، ويعلمهم بتوجه السرية نحوهم، وبطبيعة تحركاتها وبغير ذلك من أمور..

٢ ـ أن يكون لهم رقباء في الجبال المشرفة، يخبرونهم بما يرونه، فيحتاطون ويستعدون للأمر قبل وقوعه.

وقد كان سلوك علي «عليه السلام» لطريق آخر يكفي لتعريف أولئك القادة الذين هزموا أو هربوا بأن علياً «عليه السلام» يتصرف بحكمة، وبدقة بالغة..

ولذلك عرف عمرو بن العاص: أنه «عليه السلام» سيظفر بهم.. فكيف لم يعرف ذلك أبو بكر وعمر؟! ولعل وضوح هذا الأمر وبداهته قد دلَّ علياً «عليه السلام» على أن المعترضين يسعون إلى مجرد الخلاف عليه، وأنهم يريدون معصية الله ورسوله بذلك..

هل أغار عليهم وهم غارّون؟!:

تقدم قولهم : إن علياً أغار على هؤلاء المشركين، وهم غارون..

ونقول:

إننا على يقين من أن علياً «عليه السلام» لا يحارب قوماً إلا بعد أن يحتج عليهم، ويعظهم، ويذكرهم، فإن أصروا على الحرب استعان بالله عليهم، وهذه هي وصية رسول الله «صلى الله عليه وآله» له: «يا علي، لا تقاتل أحداً حتى تدعوه إلى الإسلام[1].

وعن الإمام الصادق «عليه السلام»: «ما بيّت رسول الله «صلى الله

---

(١) بحار الأنوار ج١٩ ص١٦٧ وج٩٧ ص٣٤ وج٩٨ ص٣٦٤ ووسائل الشيعة (ط دار الإسلامية) ج١١ ص٣٠ و (ط مؤسسة آل البيت) ج١٥ ص٤٣ وفي هامشه عن تهذيب الأحكام ج٢ ص٤٧ وغيره، والكافي ج٥ ص٣٦ ومستدرك الوسائل ج١١ ص٣٠ وج١٧ ص٢١٠ وكتاب النوادر ص١٤٠ ومستدرك سفينة البحار ج١٠ ص٥٠٢ ومنتهى المطلب (ط ق) ج٢ ص٩٠٤ وتذكرة الفقهاء (ط ج) ج٩ ص٤٤ و ٤٥ ورياض المسائل (ط ج) ج١ ص٤٨٦ و ٤٩٣ ومشكاة الأنوار ص١٩٣.

عليه وآله» عدواً قط ليلاً»[١].

وعن الإمام الصادق «عليه السلام»: «كان أمير المؤمنين «عليه السلام» لا يقاتل حتى تزول الشمس، ويقول: تفتح أبواب السماء، وتقبل الرحمة، وينزل النصر».

ويقول: هو أقرب إلى الليل، وأجدر أن يقل القتل، ويرجع الطالب، ويفلت المهزوم[٢].

فإن كان «عليه السلام» قد هاجمهم على حين غرة منهم ليلاً ـ وهذا ما نفته الرواية التي قدمناها عن الإمام الصادق «عليه السلام» ـ فلا بد أن يكون ذلك قد حصل بعد إقامة الحجة عليهم، وظهور عدوانيتهم،

---

(١) وسائل الشيعة (ط دار الإسلامية) ج١١ ص٤٦ و (ط مؤسسة آل البيت) ج١٥ ص٦٣ وفي هامشه عن فروع الكافي ج١ ص٣٣٤ ومنتهى المطلب (ط ق) ج٢ ص٩٠٩ وتذكرة الفقهاء (ط ق) ج١ ص٤١٢ ورياض المسائل (ط ق) ج١ ص٤٨٩ و (ط ج) ج٧ ص٥١١ وجواهر الكلام ج٢١ ص٨٢ وتهذيب الأحكام ج٦ ص١٧٤.

(٢) وسائل الشيعة (ط دار الإسلامية) ج١١ ص٤٦ و (ط مؤسسة آل البيت) ج١٥ ص٦٣ وفي هامشه عن علل الشرايع ج٢ ص٦٠٣ وعن تهذيب الأحكام ج٢ ص٥٦ وبحار الأنوار ج٣٣ ص٤٥٣ وج٩٧ ص٢٢ والكافي للحلبي ص٢٥٦ ورياض المسائل (ط ج) ج٧ ص٥١١ وجواهر الكلام ج٢١ ص٨١ والكافي للكليني ج٥ ص٢٨.

وإصرارهم على القتال، ووقوع مواجهات عسكرية معهم من خلال أبي بكر، وعمر، وعمرو بن العاص، وإن كانت هذه المواجهات قد انتهت لغير صالح المسلمين، ولا تجب دعوتهم مرة أخرى في مثل هذا الحال، كما دلت عليه الرواية عن الإمام الصادق «عليه السلام»(١).

بل تقدم: أنه «صلى الله عليه وآله» أمر علياً «عليه السلام» أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم، وقد فعل «عليه السلام» ذلك.

وقد يجوز أن يكون هؤلاء القوم قد تمردوا وتآمروا مرتين، فأرسل إليهم النبي «صلى الله عليه وآله» فلاناً وفلاناً في المرأة الأولى فهزموهم، ثم أرسل إليهم علياً «عليه السلام»، فأقام عليهم الحجة.

ثم نكثوا، فتكرر ما يشبه المرة الأولى، ولكن علياً «عليه السلام» لم يعد بحاجة إلى إقامة الحجة فأغار عليهم ليلاً.

تبييت العدو ليس غدراً:

وقد ذكرت الروايات المتقدمة، وسواها: أنه «عليه السلام»، قد بيت المشركين وكبسهم، وهم غارون فظفر بهم..

ونعتقد: أن ذلك قد كان بعد الاحتجاج عليهم كما دلت عليه رواية

---

(١) وسائل الشيعة (ط دار الإسلامية) ج١١ ص٣٠ و (ط مؤسسة آل البيت) ج١٥ ص٤٣ وراجع: جواهر الكلام ج٢١ ص١٨ والكافي (ط دار الكتب الإسلامية) ج٥ ص٢٠ وتهذيب الأحكام (ط دار الكتب الإسلامية) ج٦ ص١٣٥.

القمي الآتية، التي ذكرت: أنه «صلى الله عليه وآله» أمر أبا بكر «أن إذا رآهم أن يعرض عليهم الإسلام، فإن تابعوا وإلا واقعهم».

كما أنه سيأتي: أنه «صلى الله عليه وآله» ما كان يقاتل قوماً حتى يدعوهم، ويحتج عليهم. وعلى كل حال، فإنه إن أمكن إثبات أن هؤلاء القوم قد حاولوا مهاجمة المسلمين مرتين: فأرسل إليهم النبي «صلى الله عليه وآله» من احتج عليهم وهاجموه وهزموه مرة بعد أخرى، ثم أرسل إليهم علياً «عليه السلام»، فاحتج عليهم وقتل منهم.. ثم نكثوا مرة أخرى، فجرى لهم كما جرى في المرة الأولى.. فبيَّتهم علي «عليه السلام» وهاجمهم. فإن أمكن إثبات ذلك أو اعتماده فلا إشكال. وإن لم يكن إثبات ذلك، أو اعتماده، فإننا نقول:

إن علياً «عليه السلام»، بعد أن فرض المعركة على أعدائه، في الموقع والمكان، والوقت والزمان الذي أحب، لم يعد يمكنهم التخلي عن مواقعهم إلى أي موقع آخر، لأن ذلك معناه: الإستيلاء على كل ما لديهم، وعلى منازلهم وأموالهم، بل وسبي نسائهم وأطفالهم أيضاً..

فإذا أبوا الاستجابة لأي منطق، ورفضوا الانصياع لأي خيار مقبول أو معقول، واختاروا طريق البغي والعدوان، فلا مانع من أن يكبسهم وهم غارون في أي وقت شاء..

وليس في هذا العمل أية مخالفة للشرايع، أو الأخلاق. بل هو العمل الحكيم الذي يؤيده الخلق الإنساني، ويرضاه الشرع، وتقره الضمائر.. لأنه ليس من حق العدو المحارب، والمعتدي والظالم أن يعتبر نفسه في مأمن، في

الوقت الذي يعطي لنفسه الحق بالغدر بالآخرين، ويسمح لنفسه في تبييتهم، والفتك فيهم، ظلماً وعتواً، وبغياً وعلواً..

بل إن أخذ ذلك الظالم على حين غرة يعد إحساناً لكلا الفريقين المتحاربين، لأن من شأنه أن يقلل من عدد القتلى في صفوف هؤلاء، وأولئك لأنه يسقط قدرتهم على المقاومة. وينتهي الأمر بالاستسلام.

وإذا استسلموا لأهل الدين.. فإن معاملتهم لابد أن تخضع لأحكام الشرع، ووفق ما تفرضه الأخلاق الفاضلة، وتقضي به العقول، ولن يكون متأثراً بالأهواء، والنزوات والميول..

علي عليه السلام يقبل قدمي الرسول صلى الله عليه وآله:

وفي الرواية الرابعة: أن علياً «عليه السلام» أهوى إلى قدمي النبي «صلى الله عليه وآله» يقبلهما.. وفي هذا دلالة على جواز التبرك بالأنبياء وآثارهم، لا سيما مع عدم اعتراض النبي «صلى الله عليه وآله» على فعله هذا.

ومن الواضح: أنه «عليه السلام» إنما فعل ذلك طلباً لمرضاة الله، ورغبة في ثوابه، والتماساً للبركة التي تعني المزيد من العطاء الهنيء، والخير النامي، والمقام السامي، ولا يمكن لأحد أن يتوهم في حقه الإخلال بأي درجة من درجات التوحيد الصحيح والخالص..

وفي هذه البادرة إشارة إلى شدة خضوع علي «عليه السلام» لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، ومدى تقديسه له. رغم أنه أقرب الناس إليه، وأكثرهم إطلاعاً على تفاصيل حياته..

ثم هو يشير إلى شدة صفاء روح علي «عليه السلام»، وطهارة ذاته، وخلوص نواياه..

واللافت هنا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» نفسه كان يتبرك بعرق علي «عليه السلام» أيضاً(١).

رضى الله ورسوله عن علي عليه السلام:

وقد كانت الجائزة العظمى التي نالها علي «عليه السلام» هنا هي أن الله تعالى ورسوله «صلى الله عليه وآله» راضيان عنه.. فتكون هذه الكلمات هي البشارة الكبرى التي يبكي علي «عليه السلام» فرحاً بها، وشوقاً إليها..

---

(١) راجع: مستدرك الوسائل ج١٧ ص٣٣٥ ومناقب أمير المؤمنين «عليه السلام» للكوفي ج١ ص٣٩٤ والمسترشد للطبري ص٦٠٢ ومائة منقبة لمحمد بن أحمد القمي (ابن شاذان) ص٥٨ والتحصين للسيد ابن طاووس ص٥٥٥ واليقين للسيد ابن طاووس ص١٧٩ و ١٩٦ و ١٩٧ و ٢٤٣ و ٣٦٧ وبحار الأنوار ج٣٧ ص٣٠٠ و ٣٢٤ وج٣٨ ص٢ وج٤٠ ص١٥ و ٨٢ و ٣١٥ وج٨٩ ص٩١ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٥٥ وحلية الأبرار ج٢ ص٤٤٦ وكتاب الأربعين للماحوزي ص٢٤٩ ومناقب أهل البيت «عليهم السلام» للشيرواني ص١١٦ والغدير ج٨ ص٨٧ ومستدرك سفينة البحار ج٧ ص١٩٤ و ٣٨١ والإمام علي «عليه السلام» للهمداني ص٩٢ و ١٤٨ وتفسير فرات ص٤٠٦ والمناقب للخوارزمي ص٨٥ وكشف الغمة ج١ ص١١٢ وكشف اليقين ص٢٦٦ وتأويل الآيات ج١ ص١٨٥ وتنبيه الغافلين ص٢٨.

فهو إذن لا يطمع بالقصور، ولا بالحور، ولا تهمه الجنان، ولا يفرحه كل ما فيها من حور حسان، بمقدار ما يهمه ويفرحه رضى الله تعالى، ورضى رسوله، وفقاً لقوله تعالى: ﴿..**رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ**﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿**يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ، ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً**﴾[2].

---

(١) الآية ٨ من سورة البينة.

(٢) الآيتان ٢٧ و ٢٨ من سورة الفجر.

الفصل الثاني:

لمحات أخرى عن ذات السلاسل..

ذات السلاسل برواية القمي:

وقد روى القمي عن جعفر بن أحمد، عن عبيد بن موسى، عن الحسن بن علي بن أبي حمزة، عن أبيه، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله «عليه السلام» ـ ما ملخصه ـ:

إن أهل وادي اليابس اجتمعوا اثني عشر ألف فارس، وتعاقدوا، وتعاهدوا، وتواثقوا: أن لا يتخلف رجل عن رجل، ولا يغدر بصاحبه، ولا يخذل أحد أحداً، ولا يفر عن صاحبه، حتى يموتوا كلهم، ويقتلوا محمداً «صلى الله عليه وآله»، وعلي بن أبي طالب «عليه السلام».

فنزل جبرئيل «عليه السلام» على النبي «صلى الله عليه وآله»، وأخبره بالأمر، وأمره أن يبعث أبا بكر في أربعة آلاف فارس، من المهاجرين والأنصار.

فخطب «صلى الله عليه وآله» الناس، وأخبرهم بما أخبره به جبرئيل «عليه السلام» عن أهل وادي اليابس، وأن جبرئيل أمره بأن يسير إليهم أبو بكر بأربعة آلاف فارس.

ثم أمرهم أن يتجهزوا للمسير مع أبي بكر يوم الإثنين، فلما حان وقت المسير أمر «صلى الله عليه وآله» أبا بكر: «أن إذا رآهم أن يعرض عليهم

الإسلام، فإن تابعوا، وإلا واقعهم، فقتل مقاتليهم، وسبى ذراريهم، واستباح أموالهم، وخرب ضياعهم، وديارهم».

فسار أبو بكر بهم سيراً رفيقاً، حتى نزل قريباً منهم، فخرج إليه منهم مئتا فارس، وهم مدججون بالسلاح، فسألوهم: من أين أقبلوا؟! وإلى أين يريدون؟! ثم طلبوا مقابلة صاحبهم.

فخرج إليهم أبو بكر، فسألوه، فأخبرهم بما جاء له.

فقالوا: أما واللات والعزى، لولا رحم ماسة، وقرابة قريبة لقتلناك وجميع أصحابك قتلة تكون حديثاً لمن يكون بعدكم، فارجع أنت ومن معك، وارتجوا العافية، فإنما نريد صاحبكم بعينه، وأخاه علي بن أبي طالب.

فقال أبو بكر لأصحابه: يا قوم، القوم أكثر منكم أضعافاً، وأعدُّ منكم، وقد نأت داركم عن إخوانكم من المسلمين، فارجعوا نُعلِم رسول الله «صلى الله عليه وآله» بحال القوم.

فقالوا جميعاً: خالفت يا أبا بكر رسول الله، وما أمرك به، فاتق الله وواقع القوم، ولا تخالف قول رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فقال: إني أعلم ما لا تعلمون. الشاهد يرى ما لا يرى الغائب.

ورجعوا إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، فأعلن على المنبر: أن أبا بكر قد عصى أمره، وأنه لما سمع كلامهم: «انتفخ صدره، ودخله الرعب منهم» ثم قال «صلى الله عليه وآله»:

«**وإن جبرئيل «عليه السلام» أمرني عن الله:** أن أبعث إليهم عمر مكانه في أصحابه، في أربعة آلاف فارس، فسر يا عمر على اسم الله، ولا تعمل كما

عمل أبو بكر أخوك، فإنه عصى الله وعصاني».

وأمره بما أمر به أبا بكر.

فسار بهم يقتصد بهم في سيرهم، حتى نزل قريباً من القوم، وخرج إليه مئتا رجل، وقالوا له ولأصحابه مثل مقالتهم لأبي بكر.

فانصرف، وانصرف الناس معه، وكاد أن يطير قلبه مما رأى من عدة القوم وجمعهم، ورجع يهرب منهم.

فنزل جبرئيل «عليه السلام» وأخبر محمداً بما صنع عمر..

فصعد «صلى الله عليه وآله» المنبر، وأخبرهم بما صنع عمر، وأنه خالف أمره وعصاه..

فلما قدم عمر قال «صلى الله عليه وآله»: «يا عمر، عصيت الله في عرشه، وعصيتني، وخالفت قولي، وعملت برأيك، ألا قبح الله رأيك».

ثم ذكر: أن جبرئيل «عليه السلام» أمره أن يرسل علياً «عليه السلام» مع الأربعة آلاف، وأن الله يفتح عليه وعلى أصحابه، ثم دعاه وأخبره بذلك..

فخرج علي «عليه السلام» فسار بأصحابه سيراً غير سير أبي بكر وعمر، فقد أعنف بهم في السير، حتى خافوا أن ينقطعوا من التعب، وتحفى دوابهم، فقال لهم: لا تخافوا، فإن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد أمرني بأمر، وأخبرني: أن الله سيفتح عليَّ، وعليكم، فأبشروا، فإنكم على خير، وإلى خير.

فطابت نفوسهم وقلوبهم، وواصلوا سيرهم التَّعِب، حتى نزلوا

بالقرب منهم..

فخرج إليه منهم مائتا رجل شاكين بالسلاح، فلما رآهم علي «عليه السلام» خرج إليهم في نفر من أصحابه، فقالوا لهم: من أنتم؟! ومن أين أنتم؟! ومن أين أقبلتم؟! وأين تريدون؟!

قال: أنا علي بن أبي طالب، ابن عم رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأخوه ورسوله إليكم، أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، ولكم ما للمسلمين، وعليكم ما عليهم من خير وشر.

فقالوا له: إياك أردنا، وأنت طلبتنا، قد سمعنا مقالتك، فاستعد للحرب العوان، واعلم أنَّا قاتلوك وقاتلوا أصحابك، والموعود فيما بيننا وبينك غداً ضحوة، وقد أعذرنا فيما بيننا وبينك.

فقال لهم علي «عليه السلام»: ويلكم تهددوني بكثرتكم وجمعكم؟! فأنا أستعين بالله وملائكته والمسلمين عليكم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فانصرفوا إلى مراكزهم، وانصرف علي «عليه السلام» إلى مركزه. فلما جنه الليل أمر أصحابه أن يحسنوا إلى دوابهم، ويقضموا، ويسرجوا.

فلما انشق عمود الصبح صلى بالناس بغلس، ثم غار عليهم بأصحابه، فلم يعلموا حتى وطئتهم الخيل، فما أدرك آخر أصحابه حتى قتل مقاتليهم، وسبى ذراريهم، واستباح أموالهم، وخرب ديارهم، وأقبل بالأسارى والأموال معه.

ونزل جبرئيل فأخبر رسول الله «صلى الله عليه وآله» بما فتح الله على

علي «عليه السلام» وجماعة المسلمين، فصعد المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه، وأخبر الناس بما فتح الله على المسلمين، وأعلمهم أنه لم يصب منهم إلا رجلان.

ونزل فخرج يستقبل علياً «عليه السلام» في جميع أهل المدينة من المسلمين، حتى لقيه على أميال من المدينة.

فلما رآه علي مقبلاً نزل عن دابته، ونزل النبي «صلى الله عليه وآله» حتى التزمه، وقبل ما بين عينيه.

فنزل جماعة المسلمين إلى علي «عليه السلام» حيث نزل رسول الله، وأقبل بالغنيمة والأسارى، وما رزقهم الله من أهل وادي اليابس.

ثم قال جعفر بن محمد «عليهما السلام»: ما غنم المسلمون مثلها قط إلا أن تكون خيبراً، فإنها مثل خيبر.

فأنزل الله تبارك وتعالى في ذلك اليوم: ﴿**وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً**..﴾ إلى آخر الرواية(١).

ونقول:

إن لنا هنا وقفات نجملها على النحو التالي:

---

(١) بحار الأنوار ج٢١ ص٦٧ ـ ٧٣ وتفسير القمي ج٢ ص٤٣٤ ـ ٤٣٨ وتفسير فرات ص٥٩٩ ـ ٦٠٢ والبرهان (تفسير) ج٤ ص٤٩٥ ـ ٤٩٧ ونور الثقلين ج٥ ص٦٥٢ ـ ٦٥٥ والتفسير الصافي ج٥ ص٣٦١ ـ ٣٦٥ وتأويل الآيات ص٨٤٤ ـ ٨٤٨.

قد استعرضنا الكثير من النقاط الواردة في هذه الرواية، وناقشناها في كتابنا الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» ج٢٠ فصل: رواية القمي توضح بل تصرح.. فلا نرى حاجة لإعادته هنا.. فنكتفي هنا بالإلماح إلى بعض ما له ارتباط بعلي «عليه السلام»، وهو كما يلي:

الرفق بالحيوان:

تقدم: أن علياً «عليه السلام» أمر أصحابه في الليلة التي عزم على مهاجمة العدو في صبيحتها بأن يحسنوا إلى دوابهم، والمراد بالإحسان إليها هو إنزال أحمالها عنها، وتقديم الماء والعلف لها، وجعلها في مكان مناسب ومريح، وإبعاد جُلِّها عنها، وأن لا تحمل على القيام بجهد لا تطيقه ونحو ذلك..

وهذا يجعلها أكثر حيوية ونشاطاً في مواقع النزال، فلا تتعب بسرعة..

على نفسها جنت براقش:

وقد لوحظ في الرواية أيضاً: أن الأعداء أعلنوا إصرارهم على الحرب، وتوعدوه بأنهم قاتلوه ومن معه.. فلم يعد أمامهم سوى الإعداد والإستعداد للمواجهة، وتوقع أن يلتمس المسلمون ـ الذين يسمعون منهم هذا التهديد ـ غرَّتهم، وأن يوردوا عليهم ضربتهم عند أية فرصة تلوح لهم.

وليس لهم أن يستسلموا للأماني، وأن يأمنوا جانب عدوهم، فإن ترصد غفلتهم، والسعي لخديعتهم، هو غاية الحزم، والتدبير الذكي الذي يستحق عليه التقدير والثناء، لأنه يحفظ بذلك أهل الإيمان، ويبعد عنهم شر

أهل الطغيان، ويبطل كيدهم.

كما لا بد أن يعتمد عنصر السرعة التي لا تترك للعدو مجالاً لإلتقاط أنفاسه، ويفقده القدرة على اتخاذ القرار المناسب في الوقت المناسب..

وبذلك يتمكن من تسديد الضربات السريعة والمؤثرة في تدمير قدرات العدو بأقل الخسائر في جانب أهل الإيمان..

وهكذا كان، فإنه لم يصب من أهل الإيمان إلا رجلان..

لا نريد إلا محمداً وعلياً:

واللافت هنا: أن هؤلاء الأعداء يعلنون لأبي بكر حين جاء لمواجهتهم بأنهم لا يريدون إلا شخص رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ونفس علي «عليه السلام».

والأغرب من ذلك: أن لا تظهر من أبي بكر ردة فعل على طلبهم هذا، بل هو يرضى بالرجوع عنهم.. مع أن مقتضيات الإيمان، ومن مقتضيات البيعة للرسول هو الذب عنها، وعن صاحبها وأهل بيته، فموقف أبي بكر هذا لا بد أن يكون قد أعطى انطباعاً غير حميد، من حيث أنه يوحي بأن المسلمين لا يهتمون بالدفاع عن دينهم، وعن نبيهم ووصيه.

بل هم إن وجدوا أن الحرب قد حادت عنهم، ولم تعد تستهدف أشخاصهم، فربما ينصرفون عنها، ولا تعود تعني لهم شيئاً ليتولاها ذلك المعني بها، والمطلوب لها.. أي أنهم يسلمون نبيهم ووصيه لمصير يقرره أعداؤه وفق ما يحلو لهم.

ومن شأن هذا التصور أن يزيد أولئك المشركين تصميماً على الحرب، وحماساً واندفاعاً لها وحرصاً على الوصول إلى شخص النبي «صلى الله عليه وآله»، ونفس علي «عليه السلام» فيها.

وربما يفكر هؤلاء المشركون بالبحث عن قنوات تصلهم بهذا أو بذاك من رجال المسلمين، لإغداق الوعود عليهم، وإغرائهم بما يثبط عزائمهم عن نصرة النبي «صلى الله عليه وآله» وعلي «عليه السلام»..

ثم إننا لا ندري إن كان أبو بكر ومن معه قد فكروا في السبب الذي دعا هؤلاء للكف عنهم، ولتقصُّد النبي «صلى الله عليه وآله» وعلي «عليه السلام» بالسوء، دون سائر المسلمين، أليس لأن النبي «صلى الله عليه وآله» هو صاحب الدعوة، التي كانت السبب في منابذة المشركين له، ولأن علياً «عليه السلام» شريكه الأساس فيها، وهو سبب حفظها وبقائها بعده، وهو السيف الإلهي المسلول للدفاع عنها، وعن صاحبها، وعن كل من آمن بها؟!

ألم يكن هؤلاء الراجعون يعتبرون أنفسهم من أتباع صاحب الدعوة، ومن المؤمنين بها، والمكلفين بالدفاع عنها، وعمن جاء بها؟!

أبو بكر أخو عمر، وعلي عليه السلام أخو النبي صلى الله عليه وآله:

وتقدم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال لعمر: «ولا تعمل كما عمل أبو بكر أخوك».. وأنه قال وهو يخطب على المنبر عن علي «عليه السلام»: «حتى يقتلوني وأخي علي بن أبي طالب».

وحين تحدث علي «عليه السلام» لأهل وادي اليابس وصف نفسه لهم

بأنه: «ابن عم رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأخوه»، والأعداء وصفوه بنفس هذا الوصف أيضاً.

من أجل ذلك نلاحظ: أن عمر قد فعل ما يشبه عمل أخيه أبي بكر، حيث سار بأصحابه ـ كأبي بكر ـ سيراً رفيقاً ـ ثم هرب من الأعداء كما هرب، وعاش الرعب والخوف كما عاش.

كما أن علياً «عليه السلام» قد عمل بنفس ما يقتضيه خلق أخيه النبي «صلى الله عليه وآله» فكان دائماً المجاهد، والمحامي، والناصر، والمنتصر.

وذلك كله يشير إلى أن الأخوة هنا، والأخوة هناك قد جاءت على أساس ملاحظة معانٍ حقيقية، وقواسم مشتركة، اقتضت التوافق في السلوك وفي المواقف.

القائد هو المعيار:

وقد وجدنا: أنه «صلى الله عليه وآله» اكتفى بتبديل القائد، وأما الجيش نفسه، فأبقاه على ما هو عليه، ولم يستبدل منه حتى رجلاً واحداً، وقد كانت الهزيمة من نصيب هذا الجيش مرتين متواليتين، مع نفس العدو، ومع تقارب الزمان، وفي نفس المكان، وفي نفس الظروف، وبنفس الأسلوب، وبعين الكلمات التي استخدمت، ونفس الخطاب والجواب..

وكان النصر حليفاً لهذا الجيش نفسه، مع ذلك العدو بالذات، وفي نفس الحالات، وفي الزمان والمكان عينه، رغم أن القائدين الأولين قد سارا بهذا الجيش سيراً رفيقاً، أو مقتصداً، يحببهم بقائدهم.

أما الأمير الثالث، فقد أعنف بهم في السير، حتى خافوا أن ينقطعوا من التعب، وأن تحفى دوابهم.. ولا بد أن يثقل أمر هذا القائد عليهم، الذي فعل بهم ذلك، وأن تتجافى عنه قلوبهم، ولا يندفعون في محبته، وفي طاعته بالمقدار الذي يحظى به اللذان سبقاه..

ولكن النتائج جاءت معاكسة تماماً، فقد تحقق النصر، وكان نصيبهم معه الفتح والعز والكرامة، وكانت الهزيمة والمذلة، والمعصية لله في عرشه ولرسوله مع ذينك الأولين.

وهذا مثل للبشر جميعاً، يحمل لهم العبرة، والعظة، ويدعوهم للتأمل العميق، والفكر الدقيق، حملته لنا كلمته «صلى الله عليه وآله» لعلي «عليه السلام» عن جبرئيل: «فأخبرني: أن الله يفتح عليه، وعلى أصحابه»..

فقد نسب الفتح إلى الله، الذي حبا به علياً «عليه السلام» وأصحابه معاً، مع أن الإنسان العادي قد يتوقع تخصيص الفتح بعلي دون أصحابه، الذين هزموا مع القائدين اللذين سبقاه..

ولكن الله ورسوله يريدان لنا أن ندرك حقيقة أن القيادة الصالحة، هي التي تصنع المواقف، وتغير من أحوال الرعية، وتؤثر في توجهاتها ومواقفها، وتعطيها صلابة في الدين، وورعاً في يقين، وتحملها على الصراط المستقيم، ولو لم تصدر لها أمراً، أو تفرض عليها قراراً، أو تبتز منها موقفاً.

وهي التي تثير حميتها وإباءها، وتمنحها نفحة الشجاعة والإقدام، أو التخاذل والإحجام..

وقد ظهر ذلك في هذه الغزوة بصورة جلية وواضحة، فقد ساقهم

موقف أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى مواقع العزة والكرامة والإباء، وأعطاهم نفحة من نفحات الشجاعة، والشعور بالكرامة. ففتح الله عليه وعليهم، وفق ما قاله الرسول الأكرم والأعظم «صلى الله عليه وآله»..

تطمينات علي عليه السلام لأصحابه:

وحين سار علي «عليه السلام» باصحابه ذلك السير الحثيث الذي أتعبهم، يكون قد أفهمهم بذلك أن ثمة جدية حقيقية في إنجاز أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» على أحسن وجه وأتمه.

ولعلهم أصبحوا يتخوفون من أن يكون للتعب الذي لحقهم في مسيرهم هذا دوراً في خسارتهم الحرب التي يترقبونها.. فأراد «عليه السلام» أن يطمئنهم، ولكن لا بالوعود المادية، ولا بالخطب الحماسية، بل بإعطائهم جرعة إيمانية روحية، تتولى هي شحذ عزائمهم، وتقوية ضعفهم، وتعطيهم المزيد من الرضا والسعادة والبهجة، وذلك بالاعتماد على الغيب الذي يربطهم بالله سبحانه، وبرسوله.

فذكر لهم قول رسول الله «صلى الله عليه وآله» بصيغة الإخبار من النبي الكريم «صلى الله عليه وآله» لهم بالفتح العظيم.

والخبر من النبي «صلى الله عليه وآله» معناه: أن الله سبحانه هو الذي عرف رسوله به، وأطلعه على غيبه.. فليس الأمر مجرد تفاؤل، ولا هو كلام لمجرد التشجيع، وإثارة الحماس..

ولذلك يقول النص المتقدم: إن نفوسهم قد طابت وقلوبهم اطمأنت، وواصلوا سيرهم الشاق، وزالت عنهم الوساوس والمخاوف..

وقد حرص علي «عليه السلام» على أن يستعيد جيشه الثقة التي فقدها بسبب تثبيط عزائمه من قبل الذين سبقوه، حيث صار يجبِّن بعضهم بعضاً. وأن يزيل كل شبهة عن المقاتلين، ويطمئنهم إلى أنه لا مبرر للمخاوف، ولا معنى لمعاناة أية توترات..

علي عليه السلام أخو النبي ورسوله إليكم:

ولم نعهد في الذين آخى النبي «صلى الله عليه وآله» بينهم أن يذكروا هذه الأخوة في مواقع إبلاغ رسائل الحرب والقتال، لاسيما وأنها أخوة أنشأها رسول الله «صلى الله عليه وآله» بأمر وجعل من الله تعالى، وليست أخوة نسب..

ولكن علياً «عليه السلام» قد فعل ذلك، وأبلغ هذا العدو المحارب بهذه الحقيقة، حين قال لهم: إنه أخو النبي «صلى الله عليه وآله»، ورسوله إليهم.

ولعله أراد أن يفهمهم أن موقفه منهم يحدده موقفهم من رسول الله «صلى الله عليه وآله».. وأنه لا مجال للفصل في حسابات الربح والخسارة بين علي كشخص، وبين علي الشريك مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» في الأخوة، وفي العمل على حفظ الرسالة، من خلال حفظ الرسول، فإن ذلك هو مقتضى هذه الأخوة، وهو الذي يوصل إلى حفظ هذا الدين، والذود عن حياضه.

علي عليه السلام لا يحتكر النصر:

وعلي «عليه السلام» الذي حقق المعجزات في تاريخه الجهادي الطويل، ولاسيما حين قلع باب خيبر، وجعله ترساً يدفع به ضرب السيوف، وطعن الرماح، ثم حمله جاعلاً منه معبراً عن الخندق للجيش، بالإضافة إلى أعظم الإنجازات القتالية في بدر، وأُحد، والأحزاب، وقريظة، والنضير، وما إلى ذلك..

إن علياً هذا لا يتهدد الأعداء بقوته، ولا يذكر لهم مواقفه هذه، بل يكتفي باستنكار تهديد الأعداء له، ثم هو يستعين بالله، وبالملائكة، وبالمسلمين عليهم، ويخبرهم بأن كل حول وقوة لديه إنما هو من الله، وبه سبحانه وتعالى..

وهذا يعطي المسلمين نفحة روحية، ويذكرهم بنصر الله لهم في بدر، حين أمدهم بالملائكة وفي سائر المواطن. ولا بد أن يحدث هذا التذكير ارتعاشاً قوياً وبلبلة حقيقية في قلوب الكافرين، وطمأنينة وسكينة في قلوب المؤمنين، لأن له سابقة أثبتت صحة هذا المنطق وقوته، وظهرت نتائجه نصراً مؤزراً في حروب صعبة وهائلة، لابد أن تبقى على مر الأجيال تتمثله كحدث تاريخي فريد، وكيوم من أيام الإسلام مجيد..

ولا بد أن يترك إشراك علي «عليه السلام» للمسلمين في هذا العمل الجهادي أثراً طيباً في نفوسهم.. لأن الذي يعطيهم هذا الوسام هو نفس علي الذي لا يرتاب أحد في مقامه الجهادي والإيماني العظيم، ولا يشك في صدقه، وفي تجربته، وخبرته بالحرب.

وستكون لشهادته هذه قيمة كبيرة لديهم، ولابد أن يهتم كل أحد في أن يحصل على أدنى لفتة من علي، أعظم مجاهد على وجه الأرض، فكيف بما هو أعظم، وأكرم وأفخم..

يضاف إلى ذلك: أن هذا المنطق العلوي، الذي أوضح: أن الله وملائكته سوف يساهمون في تسجيل هذا النصر، لابد أن يصعِّب على المتخاذلين، وعلى غيرهم اتخاذ قرار الانسحاب من المعركة، وسيفرض على الجميع بذل جهد، ودرجة تحملٍ وصبرٍ أعلى وأكبر مما اعتادوا عليه في سائر الحالات..

تخريب الديار:

ولا بد من التروي والتأمل في صدقية ما ذكرته الرواية المتقدمة من أن علياً «عليه السلام» قد خرب ديار الأعداء.

فقد عرفنا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» أصدر أوامره لجيوشه بعدم التعرض للديار والأشجار[1]، إلا إذا فرضت الحرب نفسها إجراءات تؤدي إلى شيء من ذلك، مثل حفظ المسلمين من الأخطار، أو توقف النصر على العدو على أمر كهذا..

أو كان ذلك إجراء رادعاً للعدو عن معاودة الفساد والإفساد، والعبث بأمن البلاد والعباد..

---

(١) راجع ما ذكرناه في غزوة مؤتة في كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله».

سورة العاديات.. وأصول الحرب:

وقد ذكرت الرواية المتقدمة وغيرها: أن سورة (العاديات) نزلت في غزوة ذات السلاسل، أو وادي اليابس.. وتضمنت هذه السورة المباركة أموراً دقيقة ترتبط بالحرب وأصولها، وربما كان السبب في ذلك هو أن هذه الأصول قد روعيت، وطبقت، وظهرت صدقيتها في هذه الغزوة بالذات، فلا محيص عن الإشارة إلى هذا الأمر هنا، فنقول:

إنه إذا أقسم الله بأمر بعينه، فذلك يدل على أن لهذا الأمر موقعاً أساسياً وحساساً جداً في المنظومة الكونية، إن كان أمراً كونياً، أو في المنظومة النظامية إن كان أمراً نظامياً.. أو في منظومة السنن إن كان من سنن الخلق والتكوين، وكذلك الحال لو كان ما أقسم به من مفردات منظومة القيم، أو التدبير، أو غير ذلك، مما ورد القسم به في القرآن الكريم..

فإن الإهتمام الظاهر بذلك الأمر بعينه، بحيث يجعله موضعاً لقسمه، ويجعل الإلتزام ببقائه على حاله ضمانة لما يريد تقريره ـ إن ذلك ـ يدل على أن لما يقسم به أثراً عظيماً في إنجاز الأهداف الإلهية الكبرى، بإيصال الإنسان وما في هذا الكون إلى كماله..

٢ ـ وقبل أن نتحدث عن العاديات يحسن بنا أن نشير إلى أن المناسبة التي نزلت فيها هذه السورة، وهي غزوة ذات السلاسل، قد تضمنت نصوصها أمر علي «عليه السلام» أصحابه ليلة الغارة بأن يحسنوا إلى دوابهم، ويُقْضِمُوا، ويُسْرِجوا..

وهذا يدل على لزوم إعداد وسائل الحرب، وتهيئتها، لتكون في أفضل

حالاتها، وأن يكون إعدادها بحيث لا تحتاج في ساعة الصفر إلا إلى الإستعمال الناجز في القتال. فلا يؤجل ذلك إلى اللحظة الأخيرة.. إذ قد يطرأ ظرف يمنع من الإعداد بالمستوى المطلوب، أو بالطريقة الصحيحة.

٣ ـ وقد أقسم الله تعالى بالعاديات، وبالموريات، والمغيرات.. وهي لا تخرج عن هذا السياق الذي أشرنا إليه، فالخيل تعدوا في سبيل الله تعالى، وتسرع في هذا العدو إلى الحد الذي تضبح فيه بأنفاسها، مما يعني أنها قد استنفدت كل طاقتها في سرعة الحركة..

لأن المطلوب هو أن تنجز أمراً هو بأمس الحاجة إلى السرعة. وللسرعة دورها الحاسم في الحرب.

والضبح ـ كما قيل ـ: هو صوت أنفاس الفرس، تشبيهاً له بالضباح، وهو صوت الثعلب.

وقيل: هو حفيف العَدْوِ.

وقيل: الضبح: كالضبع، وهو مد الضبع في العدو[١]، أي حتى لا يجد مزيداً[٢].

---

(١) المفردات للراغب ص٢٩٢.

(٢) بحار الأنوار ج٢١ ص٦٦ ومجمع البيان ج١٠ ص٥٢٨ و ٥٢٩ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج١٠ ص٤٢٢ ومعجم مقاييس اللغة ج٣ ص٣٨٥ وج٥ ص٣٤٩ ولسان العرب ج٣ ص٥٠٩ وج٧ ص٤٠٥ والقاموس المحيط ج١ ص٣٥٨.

والضبع: هو وسط العضد بلحمة، أو العضد كله، أو الإبط[١].

وقيل: الضبح: صوت أجواف الخيل إذا عَدَتْ ليس بصهيل ولا حمحمة[٢].

٤ ـ إن عَدْوَ الخيل هذا يشير إلى أنها دائمة الإنتقال من موقع إلى آخر.. وأنه انتقال سريع.. مما يدل على عدم التموضع في مكان بعينه. ولكنه انتقال هادف، يضع نصب عينيه نقطة بعينها يراد الوصول إليها. ومن شأن عدم التموضع، وسرعة الإنتقال هذه أن يحرما العدو من القدرة على تحديد مواضعهم ومواقعهم، ويجرده من فرصة رصد القوى العاملة في مكان بعينه، وهذا يفقده القدرة على التخطيط لأي عمل يمثل لها خطراً، أو يلحق بها ضرراً..

٥ ـ إن شدة اندفاع الخيل في هجمتها تحتم على ذلك العدو أن يتراجع عن موقعه، وبالتالي أن يفقد السيطرة على حركته، ويفقده أيضاً وعي هذه الحركة، وتقديرها.. وتحديد مداها، ومواقعها، وأهدافها، وأماكنها..

ثم هو لا يملك قدرة العودة إلى أي موقع يرغب في العودة إليه.. وهذا مأزق لا يختار المحارب أن يضع نفسه فيه، بل هو يريد أن يكون زمام

---

(١) راجع: أقرب الموارد، مادة: ضبع، وراجع: بدائع الصنائع ج١ ص٢١٠ وكتاب العين ج١ ص٢٨٤ ولسان العرب ج٨ ص٢١٦.

(٢) بحار الأنوار ج٢١ ص٦٦ عن مجمع البيان ج١٠ ص٥٢٨ و ٥٢٩ و (ط مؤسسة الأعلمي) ص٤٢١ و ٤٢٢ وكتاب العين للفراهيدي ج٣ ص١١٠ ولسان العرب ج٢ ص٥٤٣ والقاموس المحيط ج١ ص٢٢٦ وتاج العروس ج٢ ص١٨٦.

المبادرة بيده، وأن يكون قادراً على التقلب في خياراته، حسبما يحلو له.

٦ ـ إنه إذا صاحب هذا الاندفاع القوي للخيل كيفيات وحالات خاصة، مثل الأصوات الغامضة، أو الهيئات المخيفة، ومنها صوت ضبح الخيل الذي يدعوهم لتصور حجم اندفاع عدوهم نحوهم، ثم إذا صاحب ذلك لمعات نارية خاطفة وكثيرة، حين تقدح الخيل الشرر بحوافرها، فسوف يتشارك لدى ذلك العدوِّ السمع والبصر في رسم صورة الخطر الداهم، وما يحمله من عنف، من شأنه أن يزعزع ثباته، ويهزمه في عمق وجوده.

بل قد يوجب قدح النار تحت حوافر الخيل نشوء حالة تضليلية، من خلال تلهي أفراد العدو بالنظر إليها، وإثارة التكهنات حولها، فتتهيأ الفرصة لمفاجأتهم بالقتال المرير، والضاري.

هذا كله، عدا عن أن قدح النار من حوافر الخيل، يبهج روح فرسانها، ويقوي من اندفاعهم، ما دام أنه ناتج عن حركتهم وفعلهم.

٧ ـ ويأتي بعد ذلك كله عنصر المفاجأة بالقتال، بشتى أنواعه، التي يحتاج العدو في تحرزه منها إلى حركات متفاوتة في مداها وفي اتجاهاتها، شريطة أن تكون بالغة السرعة، وقوية التأثير..

ولن يكون الإنتقال إلى هذه الحركات سهلاً وميسوراً، إلا لأقل القليل من الناس.

فكيف إذا كان هؤلاء المقاتلون في صفوف العدو، لا يقومون بعمل اختاروه لأنفسهم، بل تكون حركتهم مجرد رد فعل، يفقدون معه أي خيار، أو اختيار لموقع القتال ولأسلوبه، فضلاً عن عجزهم عن استهداف أي

نقطة بالقتال، بالإضافة إلى الضعف الذي سوف يعتري طبيعة حركاتهم القتالية نفسها..

والخلاصة: أن هذه المفاجأة بالقتال لابد أن تربكهم، وتمنعهم من التأمل ومن التدبر والتدبير، ومن تدارك خطة مدروسة لمواجهة الموقف.

٨ ـ إن للتوقيت وتحديد ساعة الصفر أهمية بالغة في النجاح في الحرب، فإن المفاجأة إذا كانت في وقت الصبح، على قاعدة: ﴿**فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحاً**﴾[١]، فلا بد أن تكون فرص نجاحها أكبر وأوفر، ويقول النص التاريخي: إنه في الغزوة التي نزلت فيها سورة العاديات أغار علي «عليه السلام» على العدو في ذات السلاسل، فلما انشق عمود الصبح صلى بالناس بغلس، ثم غار عليهم بأصحابه، فلم يعلموا حتى وطئتهم الخيل، فما أدرك آخر أصحابه حتى قتل مقاتليهم، وسبى ذراريهم.. عملاً بمبدأ المفاجأة، وبمبدأ سرعة العمل، وبمبدأ الحركة في وقت لا يمكن رصد الحركة فيه، بسبب طبيعة النور المنتشر في ذلك الوقت، والذي من شأنه أن يعطل الرؤية.

ومن جهة ثانية: فإن الفريق الذي لم يكلف بمهمات قتالية، ولو بمثل الرصد والحراسة، يميل في هذه الساعة إلى أن يخلد للراحة، ظناً منه أن غيره يشاركه في هذا الميل، فينسجم ظنه هذا مع رغبته تلك، ويستسلم من ثم لأحلامه اللذيذة، وتأخذه سنة الكرى، وهو أكثر طمأنينة، وأبعد عن التفكير فيما يزعج ويثير.

---

(١) الآية ٣ من سورة العاديات.

وأما المكلف بالرصد أو بالحراسة، فإنه إذا كان قد سهر الليل، حتى بلغ ساعات الصباح الأولى، فلابد أن يتنفس هذا الساهر المرهق في هذا الوقت الصعداء، ويحسب أنه قد أنهى مهمته، وأن عليه أن يستريح، ويعوض جسده عن هذا السهر الطويل، بالنوم المستغرق والعميق..

وهذا كله يجعل المفاجأة لهؤلاء وأولئك كبيرة وخطيرة؛ حيث يكون الراصد والحارس في أقصى حالات الإرهاق، ويكون غيره من الناس مستغرقاً في أحلامه، ولن يكون قادراً على الإنتقال من حالة الإسترخاء الشديد بأقصى درجاته إلى حالة الإستنفار، بل إلى الدخول في أعنف حالات الحركات القتالية، التي لا يقتصر الأمر فيها على أن يفكر في الأسلوب وفي الطريقة القتالية التي يختارها وحسب. بل عليه أن يفكر في اكتشاف الحركة القتالية للعدو أولاً، ثم يعود إلى نفسه ليفكر فيما يمتلكه من وسائل دفعها، وفي كيفية استعمال تلك الوسائل بما يناسب حركة العدو هذه..

وفي سياق آخر نقول:

إن المغير يعرف هدفه، وقد حدده ورسم خطة للتعامل معه، وهو ينفذ ما رسم.

أما المستهدفون بالغارة، فلا يعرفون شيئاً عن مواقع المهاجمين أو عن خطتهم، أو حالاتهم، وليس لديهم أية وسيلة لكشف ذلك فيهم، لأن العين وهي حاسة الرؤية تكون معطلة بسبب الظلمة، والنور الضئيل الذي ربما يكون قد بدأ ينتشر إنما هو في مستوى محدود، ولا يغير من

الواقع شيئاً..

وحتى في حالات الحرب في العصور الحديثة، فمن جهة تكون أجهزة الرصد غير ذات أثر، فيما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس، وكذلك بعد غياب الشمس إلى مضي حوالي ساعة من أول الليل.

ومن جهة أخرى تكون العين المجردة محجوبة بالظلمة، أو تكون دائرة عملها محاصرة ومحدودة بمقدار النور الذي استطاع أن يقتحم جحافل الظلام، وأن يتسلل إلى ثنايا تراكماته المهيمنة..

٩ ـ وهنا يأتي دور النقع والغبار، الذي يثور في ساحة المعركة، بسبب سرعة حركة الخيل المغيرة، ليكون الساتر، والمانع من استفادة العدو حتى من كمية النور الضئيلة، التي تسللت إلى الأفق فيما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس.

كما أن لهذا النقع دوراً في إرباك حركة العدو، وفي التأثير على مخيلته، ويهيء الفرصة لتوهم كيفيات وصور قتالية ضخمة ومهولة، لا وجود لها في الواقع.

ومن شأن هذا أيضاً أن يزيد ذلك العدو ضعفاً ووهناً، ويؤكد هزيمته الروحية، وربما يكون سبباً في مبادرته إلى هدر طاقات، وبذل جهد في غير الاتجاه الصحيح.

١٠ ـ ثم يأتي دور تلك الخيل العادية في الالتفاف على العدو، ومحاصرته وصيرورته في وسط تلك الخيل بسرعة حسبما أشير إليه في قوله

تعالى: ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً﴾[1]، حتى إذا رأى العدو أنه يواجه القتال في كل اتجاه، فإنه يصاب بالإحباط، وباليأس من أن تتيح له المقاومة شيئاً ذا بال، وستتأكد لديه القناعة بأنه لا فائدة من الاستمرار فيها، لأن حصادها لن يكون في هذه الحال سوى أن يصبح طعمة للسيوف، وأن يلاقي الحتوف، وفي مثل هذه الحال سيرى: أن الاستسلام هو الأرجح والأصلح.

وقد أظهرت النصوص المنقولة، وكذلك نزول هذه السورة المباركة في هذه المناسبة: أن علياً «عليه السلام» قد طبق هذه الأمور كلها في غزوة ذات السلاسل.

فصلوات الله وسلامه على علي، سيد الوصيين، وقائد الغر المحجلين، إلى جنات النعيم.

(١) الآية ٥ من سورة العاديات.

الفصل الثالث:

بنو خثعم وعلي عليه السلام..

سرية علي عليه السلام إلى بني خثعم:

عن سلمان الفارسي «رحمه الله» قال: بينما أجمع ما كنا حول النبي «صلى الله عليه وآله»(١) ما خلا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» إذ أقبل أعرابي بدوي، فتخطى صفوف المهاجرين والأنصار حتى جثا بين يدي رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فسأله النبي عن نفسه، وما جاء به، فأخبره أنه رجل من بني لجيم.

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: «ما وراك (يا أخا) لجيم»؟!

قال: يا رسول الله خلفت خثعم، وقد تهيأوا وعبأوا كتائبهم، وخلفت الرايات تخفق فوق رؤوسهم، يقدمهم الحارث بن مكيدة الخثعمي في خمسمائة من رجال خثعم، يتألّون باللّات والعزى أن لا يرجعوا حتى يردوا المدينة، فيقتلوك ومن معك يا رسول الله.

قال: فدمعت عينا النبي «صلى الله عليه وآله» حتى أبكى جميع أصحابه، ثم قال: «يا معشر الناس، سمعتم مقالة الأعرابي»؟!

قالوا: كلّ قد سمعنا يا رسول الله.

---

(١) أي كنا حول النبي «صلى الله عليه وآله» كأجمع ما يكون.

قال: «فمن منكم يخرج إلى هؤلاء القوم قبل أن يطؤنا في ديارنا وحريمنا، لعل الله يفتح على يديه، وأضمن له على الله الجنة؟!

قال: فوالله ما قال أحد: أنا يا رسول الله.

قال: فقام النبي «صلى الله عليه وآله» على قدميه وهو يقول: «معاشر أصحابي هل سمعتم مقالة الأعرابي»؟!

قالوا: كلّ قد سمعنا يا رسول الله.

قال: «فمن منكم يخرج إليهم قبل أن يطؤنا في ديارنا وحريمنا، لعل الله أن يفتح على يديه، وأضمن له على الله اثني عشر قصراً في الجنة».

قال: فوالله ما قال أحد: أنا يا رسول.

قال: فبينما النبي «صلى الله عليه وآله» واقف إذ أقبل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام»، فلما نظر إلى النبي «صلى الله عليه وآله» واقفاً ودموعه تنحدر كأنها جمان انقطع سلكه على خديه لم يتمالك أن رمى بنفسه عن بعيره إلى الأرض، ثم أقبل يسعى نحو النبي «صلى الله عليه وآله» يمسح بردائه الدموع عن وجه رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو يقول: ما الذي أبكاك؟! لا أبكى الله، عينيك يا حبيب الله! هل نزل في أمتك شيء من السماء؟!

قال: «يا علي، ما نزل فيهم إلا خير، ولكن هذا الأعرابي حدثني عن رجال خثعم بأنهم قد عبأوا كتائبهم.

ثم ذكر له ما جرى، فطلب منه أن يصف له القصور، فوصفها له.

فقال: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام»: فداك أمي وأبي يا

رسول الله، أنا لهم.

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: «يا علي، هذا لك وأنت له، أنجد إلى القوم».

فجهزه رسول الله «صلى الله عليه وآله» في خمسين ومائة رجل من الأنصار والمهاجرين، فقام ابن عباس، وقال: فداك أبي وأمي يا رسول الله تجهز ابن عمي في خمسين ومائة رجل من العرب إلى خمسمائة رجل وفيهم الحارث بن مكيدة يعد بخمسمائة فارس؟!

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: «امط عني يا ابن عباس، فوالذي بعثني بالحق لو كانوا على عدد الثرى وعليٌّ وحده لأعطى الله عليهم النصر حتى يأتينا بسبيهم أجمعين».

فجهزه النبي «صلى الله عليه وآله» وهو يقول: «اذهب يا حبيبي، حفظك الله من تحتك، ومن فوقك، وعن يمينك، وعن شمالك، الله خليفتي عليك».

فسار علي «عليه السلام» بمن معه حتى نزلوا بواد خلف المدينة بثلاثة أميال يقال له: وادي ذي خشب، قال: فوردوا الوادي ليلاً، فضلوا الطريق، قال: فرفع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» رأسه إلى السماء وهو يقول: يا هادي كل ضال، ويا مفرج كل مغموم، لا تقو علينا ظالماً، ولا تظفر بنا عدونا، واهدنا إلى سبيل الرشاد.

قال: فإذا الخيل يقدح بحوافرها من الحجارة النار، حتى عرفوا الطريق فسلكوه، فأنزل الله على نبيه محمد: ﴿**وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً**..﴾ يعنى الخيل

﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحاً﴾ قال: قدحت الخيل بحوافرها من الحجارة النار ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحاً﴾ قال: صبحهم علي مع طلوع الفجر.

وكان لا يسبقه أحد إلى الأذان، فلما سمع المشركون الاذان قال بعضهم لبعض: ينبغي أن يكون راعٍ في رؤوس هذه الجبال يذكر الله.

فلما أن قال: أشهد أن محمداً رسول الله «صلى الله عليه وآله».

قال بعضهم لبعض: ينبغى أن يكون الراعي من أصحاب الساحر الكذاب.

وكان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» لا يقاتل حتى تطلع الشمس، وتنزل ملائكة النهار.

قال: فلما أن دخل النهار، التفت أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى صاحب راية النبي «صلى الله عليه وآله» فقال له: ارفعها.

فلما أن رفعها، ورآها المشركون عرفوها، وقال بعضهم لبعض: هذا عدوكم الذي جئتم تطلبونه، هذا محمد وأصحابه.

قال: فخرج غلام من المشركين، من أشدهم بأساً، وأكفرهم كفراً، فنادى أصحاب النبي: يا أصحاب الساحر الكذاب، أيكم محمد؟! فليبرز إليَّ.

فخرج إليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» وهو يقول: ثكلتك أمك أنت الساحر الكذاب، محمد جاء بالحق من عند الحق.

قال له: من أنت؟!

قال: أنا علي بن أبي طالب، أخو رسول الله، و ابن عمه، وزوج ابنته.

قال: لك هذه المنزلة من محمد؟!

قال له علي: نعم.

قال: فأنت ومحمد شرع واحد، ما كنت أبالي لقيتك أو لقيت محمداً، ثم شد على علي وهو يقول:

لاقيت يا علي ضيغماً[١] قرماً كريماً في الوغا معلَّما
ليثاً شديداً من رجال خثعماً ينصر ديناً معلماً ومحكما

فأجابه علي بن أبي طالب «عليه السلام» وهو يقول:

لاقيت قرناً حدثاً وضيغماً ليثاً شديداً في الوغا غشمشما
أنا علي سأبير خثعماً بكل خطِّيٍّ يري النقع دما
وكل صارم يثبت الضرب فينعما[٢]

ثم حمل كل واحد منهما على صاحبه، فاختلف بينهما ضربتان، فضربه علي «عليه السلام» ضربة فقتله، وعجل الله بروحه إلى النار، ثم نادى أمير المؤمنين «عليه السلام»: هل من مبارز؟!

---

(١) هذا الشعر ورد هكذا، ولا يخفى عدم استقامة الوزن في هذا الشطر. ولعل الصحيح:

لاقيت حقاً يا علي ضيغماً ليثاً شديداً في الوغا غشمشما

(٢) هذا الشطر غير مستقيم الوزن.

فبرز أخ للمقتول، وحمل كل واحد منهما على صاحبه، فضربه أمير المؤمنين «عليه السلام» ضربة، فقتله وعجل الله بروحه إلى النار، ثم نادى علي «عليه السلام»: هل من مبارز؟!

فبرز له الحارث بن مكيدة، وكان صاحب الجمع، وهو يعد بخمسمائة فارس، وهو الذي أنزل الله فيه: ﴿**إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ**﴾، قال: كفور ﴿**وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ**﴾ قال: شهيد عليه بالكفر ﴿**وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ**﴾ قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام»: يعني باتباعه محمداً.

فلما برز الحارث، حمل كل واحد منهما على صاحبه، فضربه علي ضربة فقتله، وعجل الله بروحه إلى النار.

ثم نادى علي «عليه السلام»: هل من مبارز؟!

فبرز إليه ابن عمه، يقال له: عمرو بن الفتاك، وهو يقول:

أنا عمرو وأبي الفتاك وبيدي نصل سيف هتاك
أقطع به الرؤس لمن أرى كذاك

فأجابه أمير المؤمنين «عليه السلام» وهو يقول:

هاكها مترعة دهاقا كأس دهاق مزجت زعاقا
إني امرؤ إذا ما لاقا أقد الهام وأجذ ساقا(١)

ثم حمل كل واحد منهما على صاحبه، فضربه علي «عليه السلام» ضربة

(١) يلاحظ ما في هذا البيت من اختلال الوزن. وكذلك الحال في شعر ابن الفتاك.

فقتله، وعجل الله بروحه إلى النار، ثم نادى علي «عليه السلام»: هل من مبارز؟!

فلم يبرز إليه أحد، فشد أمير المؤمنين «عليه السلام» عليهم حتى توسط جمعهم، فذلك قول الله: ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً﴾، فقتل علي «عليه السلام» مقاتليهم، وسبى ذراريهم، وأخذ أموالهم، وأقبل بسبيهم إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فبلغ ذلك النبي، فخرج وجميع أصحابه حتى استقبل علياً «عليه السلام» على ثلاثة أميال من المدينة.

وأقبل النبي «صلى الله عليه وآله» يمسح الغبار عن وجه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» بردائه، ويقبل بين عينيه ويبكي، وهو يقول:

«الحمد لله يا علي الذي شد بك أزري، وقوّى بك ظهري. يا علي، إنني سألت الله فيك كما سأل أخي موسى بن عمران صلوات الله وسلامه عليه أن يشرك هارون في أمره، وقد سألت ربي أن يشد بك أزري».

ثم التفت إلى أصحابه وهو يقول:

«معاشر أصحابي لا تلوموني في حب علي بن أبي طالب «عليه السلام»، فإنما حبي علياً من أمر الله، والله أمرني أن أحب علياً وأدنيه، يا علي، من أحبك فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب الله، ومن أحب الله أحبه الله، وحقيق على الله أن يسكن محبيه الجنة.

يا علي، من أبغضك فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله، ومن

أبغض الله أبغضه ولعنه، وحقيق على الله أن يوقفه يوم القيامة موقف البغضاء، ولا يقبل منه صرفاً ولا عدلاً»(١).

ونقول:

لا بأس بعطف النظر إلى الأمور التالية:

نزول سورة العاديات:

بالنسبة لنزول سورة العاديات في هذه المناسبة نقول:

قد تحدثنا عن أصول الحرب في هذه السورة في آخر الفصل السابق، فلا بأس بمراجعته.. **غير أننا نقول:**

إن مضامين الآيات لا تتطابق مع المعاني التي تريد الرواية أن تعزوها إليها، فلاحظ ذلك.

أين كان ابن عباس؟!:

ذكرت الرواية: اعتراض ابن عباس على النبي «صلى الله عليه وآله» لإرساله علياً في مئة وخمسين رجلاً لمواجهة خمس مئة رجل فيهم الحارث بن مكيدة، الذي يعد بخمس مئة فارس(٢).

ونحن نرتاب في صحة ذلك:

أولاً: لشكنا في أن يكون ابن عباس في المدينة آنئذٍ لأن العباس إنما

---

(١) بحار الأنوار ج٢١ ص٨٤ ـ ٩٠ عن تفسير فرات ص٥٩٣ ـ ٥٩٨.

(٢) بحار الأنوار ج٢١ ص٨٧ وتفسير فرات الكوفي ص٥٩٥.

أسلم في فتح مكة، وهاجر إلى المدينة بعد ذلك، وكان قبل ذلك في مكة، والمفروض أن زوجته وأولاده كانوا معه.. والقضية التي نحن بصددها كانت قبل ذلك الفتح..

ثانياً: إن الناس قد عادوا من خيبر للتوّ، وقتل فيها علي «عليه السلام» مرحب اليهودي، وقلع باب الحصن بيده، وقتل قبل ذلك عمرو بن عبد ود وهو يعد بألف فارس، وهزم جيش الأحزاب، وهزم أيضاً قريظة والنضير، والمشركين في أحد.. وفعل في بدر الأفاعيل بالمشركين، فلماذا يخشى عليه ابن عباس، أو غيره..

ثالثاً: إن ابن عباس كان في هذا الوقت صغيراً، فإن عمره ما بين الثمان إلى العشر سنوات، وحتى لو زاد عمره عن ذلك، فإن اعتراضه على النبي «صلى الله عليه وآله»، ليس مستساغاً، ولا مقبولاً لا سيما مع ما ظهر منه من جرأة وبعد عن الأدب واللياقة مع النبي «صلى الله عليه وآله».

كما أن الجواب المنسوب إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، وهو قوله: أمط عني يا ابن عباس.. لا يخلو من قسوة على طفل بهذه السن..

جموع الأعداء:

وقالوا: إن بني خثعم قد جمعوا خمس مئة فارس لمهاجمة المدينة..

ونقول:

إذا كان ما جرى في الخندق، وأحد، وخيبر، قد بلغ الخثعميين، فمن البعيد أن يجرؤوا على غزو المدينة بخمس مئة مقاتل بهدف القتال والنزال.. إلا إن كانوا يقصدون الإغارة على أطرافها، وأخذ بعض المواشي والغنائم،

على طريقة العرب في شن غارات السلب والنهب..

والمقصود هو الإيقاع بالمسلمين بأخذهم على حين غرة منهم، تنتهي بقتل الرسول «صلى الله عليه وآله»، وانفراط عقد جمع المسلمين معه، وارتكاب مذبحة هائلة فيهم..

فأراد «صلى الله عليه وآله» أن يزيل هذا الخطر، فأرسل إليهم سيد الأولياء، وخير الأوصياء علياً «عليه السلام»، فنصره الله عليهم، وأبطل بغيهم، وكيدهم..

بكاء النبي صلى الله عليه وآله لماذا؟!:

وتذكر الرواية: أن النبي «صلى الله عليه وآله»، بكى حتى أبكى جميع أصحابه، حين أعلمه ذلك الرجل بما عزم عليه بنو خثعم..

والسؤال هو: إن كان بكاؤه «صلى الله عليه وآله» خوفاً، أو ضعفاً، فإنه «صلى الله عليه وآله» قد واجه أضعاف هذه الأعداد في عدة حروب، حين كان المسلمون في غاية القلة، مع فقد الإمكانات، وضعف التجهيزات. ولم نره يخاف أو يضعف.

على أنه لا بد من تنزيه النبي «صلى الله عليه وآله» عن هذه المعاني التي تعني أن ثمة خللاً حقيقياً في ثقته بالله، وفي معرفته به، وهو يناقض الكثير من توجيهاته لأصحابه..

يضاف إلى ذلك: أنه الآن قد أصبح قادراً على حشد أضعاف ما حشده الخثعميون..

وإن كان «صلى الله عليه وآله» قد بكى إشفاقاً على بعض أصحابه من أن يصيبهم سوء، فلماذا لم نره يبكي إشفاقاً عليهم قبل الدخول في حرب بدر، وأحد، والخندق، وخيبر، وسواها؟!

ولماذا كان هذا البكاء علنياً، ألا يوجب وهناً في المسلمين؟! وإطماعاً لعدوهم بهم، فيكون نقضاً للغرض، وتفريطاً غير مقبول..

لا مبرر لإحجام المسلمين:

ثم إننا لم نجد مبرراً لإحجام المسلمين عن الخروج إلى بني خثعم، مع أنهم نفروا في حرب اليهود في قريظة، وخيبر، ولحرب الروم في مؤتة، ولحرب المشركين في أحد، وبدر والأحزاب..

مع العلم بأنه لم يكن بحاجة إلى أكثر من مئة وخمسين رجلاً.. لا سيما وأنه «صلى الله عليه وآله» ـ كما صرحت به الرواية عنه ـ كان يريد أن يظهر أثر علي «عليه السلام»، وفضله، ومدى استعداده للتضحية في سبيل الله تعالى، وحرصه على الفوز برضاه، وشدة تفانيه في ذات الله.. ولو أرسله وحده، فإن الله تعالى ينصره عليهم.

هل ضلوا عن الطريق؟!:

ثم إننا نستبعد أن يكون علي «عليه السلام» ومن معه قد ضلوا عن الطريق، فإنهم أهل البلاد، العارفون بمسالكها، وشعابها..

والأهم من ذلك أن قائدهم وهو أمير المؤمنين قد سلك هذه المسالك الوعرة في غزوة ذات السلاسل، حتى حرك ذلك عمرو بن العاص للإعتراض

عليه، بواسطة أبي بكر وعمر وخالد، فأجاب «عليه السلام» بأنه يعلم ما يصنع..

ولو سلمنا أنهم قد ضلوا الطريق فكيف يكون قدح النار من حوافر الخيول قد أنار الطريق لهم حتى رأوه وعرفوه، وميزوه عن سائر الطرق.

متى تنزل ملائكة النهار؟!:

وفي الرواية: أن علياً «عليه السلام» كان لا يقاتل حتى تطلع الشمس وتنزل ملائكة النهار.. **ونقول:**

أولاً: ذكرت الروايات الأخرى: أنه «عليه السلام» كان لا يقاتل حتى تزول الشمس وأن النبي «صلى الله عليه وآله» ما بيت عدواً قط، فلا حاجة لإعادة ذلك.

مع أنه قد تقدم في بعض الروايات: أنه «عليه السلام» أغار على الأعداء في غزوة ذات السلاسل حين طلوع الفجر.

وقد أشرنا إلى ذلك في الفصل السابق. ولعل الأقرب هو أنه إذا أراد يبدأ الحرب لم يبدأها إلا بعد الزوال، أما إذا كانت الحرب قد نشبت، فلا مانع من الإغارة على العدو حين الفجر أيضاً.

أما ابتداء الحرب حين طلوع الشمس فلم يكن من فعل علي «عليه السلام».

ثانياً: إن ملائكة النهار تنزل من حين طلوع الفجر، لا حين طلوع الشمس، فقد روي ذلك عن الإمام الصادق «عليه السلام» في تفسير قوله

تعالى: ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً﴾(1) يعني صلاة الفجر، تشهده ملائكة الليل، وملائكة النهار(2).

---

(1) الآية ٧٨ من سورة الإسراء.

(2) راجع: بحار الأنوار ج٥ ص٣٢١ وج٩ ص٢٩٦ وج١١ ص١١٧ و ١١٨ وج٥٣ ص٢١٢ وج٧٣ ص٢٥٤ و ٢٦٣ وج٧٧ ص٣٠ و ٧٢ و ٧٣ و ٩٩ و ١٠٢ ومستدرك سفينة البحار ج٦ ص٣٢٩ وج٨ ص١٣٢ وعن مسند أحمد ج٢ ص٤٧٤ وراجع: فقه الرضا «عليه السلام» ص٧٢ والمعتبر للمحقق الحلي ج٢ ص١٧ ومنتهى المطلب (ط ق) ج١ ص١٩٦ و (ط ج) ج٤ ص٢٥ و ٢٧ وتذكرة الفقهاء (ط ق) ج١ ص٧٢ و (ط ج) ج٢ ص٢٧٣ والذكرى ص١١٣ و ١٢٢ ومدارك الأحكام ج٣ ص٢٤ والحبل المتين ص١٢٢ ومفتاح الفلاح ص٤ والحدائق الناضرة ج٦ ص٢٠٧ ومستند الشيعة ج٤ ص٥٣ وجواهر الكلام ج٧ ص١٦٨ ومسند زيد بن علي ص٩٩ والمبسوط للسرخسي ج١ ص١٥٧ وفقه السنة ج١ ص٩٧ و ١٥٧ والمحاسن ج٢ ص٣٢٣ والكافي ج٣ ص٢٨٣ و ٤٨٧ وج٨ ص٣٤١ ومن لا يحضره الفقيه ج١ ص٢٢٢ و ٤٥٥ وعلل الشرايع ج٢ ص٣٢٤ و ٣٣٦ وأمالي الصدوق ص٢٥٤ وثواب الأعمال ص١٣٦ والإستبصار ج١ ص٢٧٥ وتهذيب الأحكام ج٢ ص٣٧ وروضة الواعظين ص٣١٧ ومختصر بصائر الدرجات ص١٣١ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج١ ص٢٧٣ و ج٤ ص٥٠ و ٥٢ و ٥٣ و ٢١٢ و ٢١٣ و (ط دار الإسلامية) ج١ ص٢٦١ وج٣ ص٣٥ و ٣٦ و ٣٧ و ٦٠ و ١٥٤ =

لماذا لا يُقاتل علي عليه السلام إلا بعد الزوال؟!:

وقد شرح أمير المؤمنين «عليه السلام» نفسه أسباب عدم قتاله إلا بعد زوال الشمس.. فركز على الأسباب التالية:

= و ١٥٥ ومستدرك الوسائل ج٣ ص٥١ و ١٢٠ و ١٢٤ و ١٦٤ وج٤ ص٧٥ والإختصاص ص٣٦ وأمالي الطوسي ص٦٩٥ وعوالي اللآلي ج١ ص٤٢١ وحلية الأبرار ج١ ص١٦٠ وسنن ابن ماجة ج١ ص٢٢٠ وسنن الترمذي ج٤ ص٣٦٤ والمستدرك للحاكم ج١ ص٢١١ والمصنف للصنعاني ج١ ص٥٢٣ وعن السنن الكبرى للنسائي ج٦ ص٣٨١ وصحيح ابن خزيمة ج٢ ص٣٦٥ وصحيح ابن حبان ج٥ ص٤٠٩ وكتاب الدعاء للطبراني ص٥٩ وتفسير أبي حمزة الثمالي ص٢٣٦ وتفسير القمي ج٢ ص٢٥ والتبيان ج٦ ص٥٠٩ ومجمع البيان ج٢ ص١٢٨ وج٦ ص٢٨٣ وتفسير جوامع الجامع ج٢ ص٣٨٢ وفقه القرآن ج١ ص٨٢ و١١٤ وتفسير غريب القرآن ص١٩٧ والتفسير الصافي ج٣ ص٢١٠ والتفسير الأصفى ج١ ص٦٩٢ ونور الثقلين ج٣ ص٢٠١ وجامع البيان ج١٥ ص١٧٣ و ١٧٤ و ١٧٥ و ١٧٦ ومعاني القرآن ج٤ ص١٨٣ وزاد المسير ج٥ ص٥٣ والجامع لأحكام القرآن ج١٠ ص٣٠٦ وتفسير القرآن العظيم ج١ ص١٣ و ٥٣ وتفسير الجلالين ص٣٧٤ وعن الدر المنثور ج٤ ص٣٩٦ وعن فتح القدير ج٣ ص٢٥١ و ٢٥٥ وعن البداية والنهاية ج١ ص٥٦ وسبل الهدى والرشاد ج٩ ص١٥٠ والنهاية في غريب الحديث ج٢ ص٥١٣.

١ ـ إن هذا الوقت أقرب إلى الليل، فإذا ذاق المقاتلون طعم القتال، وعرفوا أن الحرب ليست مجرد نزهة، بل فيها آلام ومصائب، وكوارث ونوائب، فإذا جنهم الليل، فسوف يعيدون النظر في حساباتهم، وسيقيِّمون الأمور وفق تجربة مباشرة وملموسة، لم تعد مجرد تصورات غائمة، تكتنفها الكثير من التخيلات التي تقلل من وضوحها، وتهون من أمرها.

فالألم المتصور والمفترض لا يؤثر في قرار الإنسان بمقدار ما إذا أصبح ماثلاً وحاضراً، والمصاب الذي تسمع به أو تقرأ عنه ليس له تأثير بمقدار المصاب الذي تراه وتعيشه، وتعاني منه ما تعاني..

فقد يدفعك خيال مَّا، أو يهيجك هائج حمية أو عصبية، أو يدعوك داعي طمع، أو جشع، أو تزين لك أحلام وردية، تنطلق من حسابات خاطئة، أن تقتحم أتون الحرب.. فتبادر إلى ذلك.. فإذا مسَّك شيء من بلاياها ورزاياها وآلامها، يرجع إليك صوابك، وتلتمس الخلاص، ولات حين مناص..

ثم تطحنك رحى الحرب فيما تطحن، وتحطم ما صلب منك، وتلتهم ما رقَّ ولان. وتجد نفسك غير قادر على استرجاع ما ذهب، ولا استدراك ما يأتي، وتفرض عليك تلك الحرب كل تبعاتها، وتحملك ما أردته وما لم ترده من جرائمها وموبقاتها، وتلقي عليك بكلاكلها وأثقالها، وتبوء بكل مخزياتها..

٢ ـ إن هذا الوقت القصير، الذي هو بداية القتال، يكون فيه رجال الحرب على درجة عالية من اليقظة، والنشاط والحذر، ويريد كل منهم أن

يختبر قدرات العدو، وأن يكتشف مكامن قوته، ومواضع ضعفه.

فالإقدام فيه محدود، والحذر فيه على أشده.. ولا تتوفر فيه دواع للاستقتال، وطلب الموت، إذ لم يستحر القتل فيه بالأحبة، ولا وقع الأسر بعد على الأبناء والإخوة، ولا السبي أو العدوان على رموز الشرف، ومواضع الغيرة..

فلا موجب إذن لثورة حماس الشجعان. ليلقوا بأنفسهم في المهالك، طلباً للثار، أو لأجل محو العار.

وإذا كانت الأمور لا تزال في حدودها المعقولة، فيمكن للعاقل أن يثوب إليه رشده في الليلة التي تعقب هذه البداية، ويكون ـ في هذه الحال ـ مدركاً بعمق حقيقة ما هو فيه، ونتائج ما يقدم عليه، فيوازن بين الحالين، ويتخذ القرار الرشيد، والموقف السديد..

٣ ـ وإذا كان هناك من يلاحق مهزوماً فسيمنعه حلول الليل من مواصلة سعيه.

٤ ـ ولا ضير في أن ينجو ذلك المهزوم، فإن هزيمته النفسية، تكفيه هو الآخر ليعيد حساباته، ويستأنف حياته، بنمط جديد، وحذر شديد.

كما أن المطلوب المهم هو دفع شره، والتخلص من أذاه.. وقد حصل ذلك فعلاً.. وليس المطلوب قتله، ولا أسره، إلا إذا كان دفع شره يحتاج إلى ذلك.

وهذا هو ما قاله علي «عليه السلام»: «هو أقرب إلى الليل، وأجدر أن

يقل القتل، ويرجع الطالب، ويفلت المنهزم »[١].

﴿إن الإنسان لربه لكنود﴾ في من نزلت؟!:

وقد ذكرت الرواية المتقدمة: أن قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ**﴾[٢] قد نزل في الحارث بن مكيدة، إلى أن قال تعالى: ﴿**وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ**﴾[٣].

قال: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام».

يعني: باتباعه محمداً[٤].

---

(١) الكافي لأبي الصلاح الحلبي ص٢٥٦ وعن تهذيب الأحكام ج٢ ص٢٥٦ وعن علل الشرايع ج٢ ص٦٠٣ وبحار الأنوار ج٣٣ ص٤٥٣ وج١١ ص٤٥٣ وج٩٤ ص٢٢ ومنتهى المطلب (ط ق) ج٢ ص٩٩٧ والتحفة السنية (مخطوط) ص١٩٩ ورياض المسائل (ط ق) ج١ ص٤٨٩ و (ط ج) ج٧ ص٥١١ وجواهر الكلام ج٢١ ص٨١ والكافي (ط دار الكتب الإسلامية) ج٦ ص١٧٣ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج١٥ ص٦٣ و (ط دار الإسلامية) ج١١ ص٤٦ و ٤٧.

(٢) الآية ٦ من سورة العاديات.

(٣) الآية ٨ من سورة العاديات.

(٤) بحار الأنوار ج٢١ ص٨٨ و ٨٩ وتفسير فرات ج١ ص١٦ و (ط سنة ١٤١٠هـ ١٩٩٠م) ص٥٩٧ ونفس الرحمن في فضائل سلمان ص٤١٠.

وقيل: المراد عمرو بن العاص[١].

وقيل: غير ذلك..

ونقول:

إن هذا الإختلاف لا يضر، لإمكان أن تكون السورة قد نزلت أكثر من مرة، ولهذا نظائر كثيرة..

ولكن قول الرواية: إن المقصود بقوله تعالى: **﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾**[٢] هو علي غير سديد، لأن الآيات في مقام الذم والتوبيخ، حيث يظهر من سياقها: أن حب ذلك الكنود للخير، (أي للنعم الدنيوية، كالمال والجاه، والبقاء على قيد الحياة..) شديد..

وهذا إنما ينطبق على الذين أرسلهم النبي «صلى الله عليه وآله» قبل علي «عليه السلام»، فخافوا على أنفسهم، وحسدوا علياً، وحاولوا إحباط مسعاه..

ثم ذكرت الرواية: أن هؤلاء المحبين للدنيا سيرون يوم القيامة كيف أن الله تعالى خبير بهم، وسيظهر ما أضمروه في صدورهم، ويفضح ما انطوت عليه قلوبهم قال تعالى: **﴿أَفَلاَ يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ، وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ، إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ﴾**[٣].

---

(١) الخرائج والجرائح ج١ ص١٦٨ وبحار الأنوار ج٢١ ص٧٧ عنه.

(٢) الآية ٨ من سورة العاديات.

(٣) الآيات ٩ ـ ١١ من سورة العاديات.

الفصل الرابع:

قبل فتح مكة..

العبرة من حنين الجذع:

وذكرت الروايات: أن النبي «صلى الله عليه وآله» ـ استند ـ أو كان يستند حين يخطب يوم الجمعة إلى جذع نخلة هناك، فلما صنع المنبر لرسول الله «صلى الله عليه وآله» وترك الإستناد إلى ذلك الجذع اضطرب، وسُمع له حنين إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فقال «صلى الله عليه وآله»:

معاشر المسلمين، هذا الجذع يحن إلى رسول رب العالمين، ويحزن لبعده عنه إلى أن قال: والذي بعثني بالحق نبياً، إن حنين خزّان الجنان، وحور عينها، وسائر قصورها ومنازلها إلى من يوالى محمداً وعلياً وآلهما الطيبين، ويبرأ من أعدائهما، لأشد من حنين هذا الجذع، الذي رأيتموه إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وإن الذي يسكّن حنينهم وأنينهم، ما يرد عليهم من صلاة أحدكم معاشر شيعتنا على محمد وآله الطيبين، أو صلاة نافلة، أو صوم، أو صدقة.

وإن من عظيم ما يسكن حنينهم إلى شيعة محمد وعلي، ما يتصل بهم من إحسانهم إلى إخوانهم المؤمنين، ومعونتهم لهم على دهرهم.

ونقول:

إن هذا يعطينا: أن علينا أن نتوقع لمحمد وآله وشيعتهم علاقة وأثراً في كل شيء، ولو كان بمستوى الإستناد إلى جذع نخلة مرة أو مرات.

وهذا يشير إلى أن ثمة أسراراً لا يحيط بها إلا عالم الغيب والشهادة.. وأن علينا أن لا نستهين ولو ببسمة أو لمسة أو لمحة من إنسان مؤمن.. فقد يكون لها من الآثار ما لا يخطر على قلب بشر.

رب لا تذرني فرداً، بعد مؤتة:

قال المسعودي: «..وكان رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعد أن قتل جعفر بن أبي طالب الطيار بمؤتة من أرض الشام، لا يبعث بعلي في وجه من الوجوه إلا ويقول: ﴿رَبِّ لاَ تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾[1]»[2].

ونقول:

إن هذه الكلمة تعني: أن جميع من كان حول رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ممن تُدَّعى لهم المقامات والكرامات، لا يفيد، ولا يؤثر في رفع الوحدة عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وليس فيهم من يصلح أن يكون استمراراً له «صلى الله عليه وآله».

وعلي وحده هو الذي يصلح لوراثته «صلى الله عليه وآله»، لأنه هو الذي يحمل ميزاته وصفاته، وسائر مكنوناته، ويعكس صورته الحقيقية،

---

(١) الآية ٨٩ من سورة الأنبياء.

(٢) مروج الذهب ج٢ ص٤٣٤.

ويذكر الناس به، بكل ما لهذه الكلمة من معنى.. تماماً كما كان يحيى يمثل زكريا في حقيقته وفي إنسانيته، وهو استمرار له في كل وجوده.

ابنة حمزة في عمرة القضاء:

ويذكرون أيضاً: ان النبي «صلى الله عليه وآله» اعتمر عمرة القضاء، فلماذا انتهى منها لحقته عمارة، أو أمامة، أو أم أبيها ـ على الخلاف في اسمها ـ بنت الشهيد حمزة بن عبد المطلب، وأمها سلمى بنت عميس، وكانت بمكة. تطلب منهم أن يأخذوها معهم..

فكلم علي «عليه السلام» النبي «صلى الله عليه وآله»، فقال: علام نترك بنت عمنا يتيمة بين أظهر المشركين؟!

فلم ينهه النبي «صلى الله عليه وآله» عن إخراجها، فخرج بها(١).

وفي نص آخر: أنها حين خرج النبي «صلى الله عليه وآله» من مكة تبعته وهي تنادي: يا عم، يا عم.

وقيل: إن أبا رافع خرج بها، فتناولها علي «عليه السلام»، وأخذ بيدها،

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٢٤ و١٢٥ عن البخاري، ومسلم، وأحمد، والواقدي، وراجع: تاريخ الخميس ج٢ ص٦٣.

وراجع أيضاً: بحار الأنوار ج٢٠ هامش ص٣٧٢ وعن الإمتاع، وعن تاريخ مدينة دمشق ج١٩ ص٣٦١ وعن أسد الغابة ج٥ ص٥٠٨ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٢ ص٧٧٩.

وقال لفاطمة: دونك ابنة عمك[١].

المشاجرة:

قالوا: وفي المدينة تكلم زيد بن حارثة في أمرها، وأراد أن يكون هو المتكفل لها، استناداً إلى كونه وصي أبيها؛ ولأن النبي «صلى الله عليه وآله» كان قد آخى بينه وبين حمزة.

وطالب بها جعفر، باعتبار أن خالتها أسماء بنت عميس زوجته، والخالة أم.

أما علي «عليه السلام» فقال: ألا أراكم في ابنة عمي[٢]، وأنا أخرجتها من بين أظهر المشركين، وليس لكم إليها نسب دوني، وأنا أحق بها منكم.

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٦٥ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٩٥ وراجع: تاريخ الخميس ج٢ ص٦٣ وراجع: العمدة ص٢٠١ و ٢٢٦ وعن مسند أحمد ج١ ص٩٨ و ١١٥ وعن صحيح البخاري ج٣ ص١٦٨ وج٥ ص٨٥ والمستدرك للحاكم ج٣ ص١٢٠ والسنن الكبرى للبيهقي ج٨ ص٦ وعن فتح الباري ج٧ ص٢٨٨ وتحفة الأحوذي ج٨ ص١١٣ والسنن الكبرى للنسائي ج٥ ص١٢٧ و ١٦٨ وخصائص أمير المؤمنين للنسائي ص٨٨ و ١٥١ وصحيح ابن حبان ص٢٢٩ ونصب الراية ج٣ ص٥٤٩ وكنز العمال ج٥ ص٥٧٨ وعن تفسير القرآن العظيم ج٣ ص٤٧٥ وج٤ ص٢١٨ وعن البداية النهاية ج٤ ص٢٦٧ وج٣ ص٤٤٢.

(٢) أي ألا أراكم تختلفون في أمر ابنة عمي الخ..

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أنا أحكم بينكم.

أما أنت يا زيد، فمولى لله ولرسوله.

وأما أنت يا علي، فأخي وصاحبي.

وأما أنت ياجعفر، فتشبه خَلقي وخُلقي. وأنت يا جعفر أحق بها، تحتك خالتها، ولا تنكح المرأة على خالتها، ولا عمتها.

فقضى بها لجعفر.

فقام جعفر فحجل حول رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: ما هذا يا جعفر؟!

قال: يا رسول الله، كان النجاشي إذا أرضى أحداً قام فحجل حوله.

فقيل للنبي «صلى الله عليه وآله»: تزوجها.

فقال «صلى الله عليه وآله»: ابنة أخي من الرضاعة، فزوَّجها سلمة بن أبي سلمة(١).

---

(١) المغازي للواقدي ج٢ ص٧٣٨ و ٧٣٩ والسيرة الحلبية ج٣ ص٦٥ و ٦٦ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٩٥ وفي هامشه عن: صحيح مسلم ج٣ ص١٤٠٩ وعن سنن أبي داود رقم (٢٢٨٠) والجامع الصحيح ج٤ ص٣٣٨ ودلائل النبوة للبيهقي ج٤ ص٣٣٨ والسنن الكبرى للبيهقي ج٨ ص٦ وتاريخ الخميس ج٢ ص٦٣ والأمالي للطوسي ص٥٦١ و ٥٦٢ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٤ ص٣٥ و ٣٦ وج٨ ص١٥٩ و ١٦٠ وج٣ ص٨ و ٩ ومستدرك الحاكم ج٤ =

ونقول:

لا بد من ملاحظة ما يلي:

١ ـ ذكرت الرواية أن ابنة حمزة خرجت تنادي النبي «صلى الله عليه وآله»: يا عم، يا عم[1]، مع أن النبي «صلى الله عليه وآله» ليس عمها، وإنما هو ابن عمها. إلا إن كان قد قالت ذلك انسياقاً مع منطق الطفولة.

ويجاب: بأن طفولتها غير ظاهرة، فإنها كانت في سن الزواج.. وقد زوجها النبي «صلى الله عليه وآله» سلمة بن أبي سلمة. وذلك بعد أن سئل

= ص٨٧ و ٢٢٠ والبداية والنهاية ج٤ ص٢٣٤ وعن تفسير القرآن العظيم ج٧ ص٣٣١ وصحيح البخاري (ط دار إحياء التراث) ج٨ ص٢٨٤ وعن مسند أحمد ج١ ص١٥٨ و ١٨٥ وجامع الأحاديث والمراسيل ج١٢ ص٥٣ وج١٨ ص٢٥٣ وج٢٠ ص١٢٤ وكنز العمال ج١ ص٩٨٦ وج٥ ص٥٨٠ و ٥٨١ وعن فتح الباري ج٨ ص٢٨٤ وج٩ ص١٣٠ وعمدة القاري ج١٧ ص٢٦٢ والبيان والتعريف ج١ ص١٠٣ ونصب الراية ج٥ ص١١٥ وبحار الأنوار ج٢٠ هامش ص٣٧٢ عن ابن إسحاق، وعن تاريخ مدينة دمشق ج١٩ ص٢٦١ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٤٣.

(١) راجع: تاريخ الخميس ج٢ ص٦٣ و ٦٤ والعمدة ص٢٠١ و ٣٢٦ وبحار الأنوار ج٢٨ ص٣٢٨ وصحيح البخاري (ط دار الفكر) ج٥ ص٨٥ وتحفة الأحوذي ج٨ ص١١٣ وعن تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢١٧ وتهذيب الكمال ج٥ ص٥٤ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٢٦٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٤٢.

النبي «صلى الله عليه وآله» عن سبب عدم زواجه منها.. إلا إن هذا التزويج قد جرى من قبل وليها رغم صغرها.. مع تأييد صغر سنها بتعبير الإمام عنها بأنها يتيمة..

٢ ـ ذكرت الرواية: أن جعفراً حجل حينئذٍ سروراً بقضاء النبي «صلى الله عليه وآله»، فسأله «صلى الله عليه وآله» عن ذلك، فأخبر أن هذا ما يفعله النجاشي في هذه الحالات.

ونلاحظ على هذا: أن جعفراً قد حجل قبل ذلك في خيبر، حين قدومه من الحبشة، فسأله «صلى الله عليه وآله» عن ذلك، وأجابه.. فيبقى السؤال.

وما قيل من أجوبة على ذلك لا يصح، كما بيناه في موضع آخر في كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله»(١).

٣ ـ قولهم: إن النبي «صلى الله عليه وآله» رفض الزواج من ابنة حمزة، لأنها بنت أخيه من الرضاعة، لا يصح، لما يلي:

ألف: لتناقض الروايات في كثير من الأمور المرتبطة بهذا الأمر.

ب: إن حمزة كان أكبر من النبي بأكثر من عشر سنوات، لأن نذر عبد المطلب وما جرى على أساسه يعطي أن حمزة كان قد ولد وكبر قبل زواج عبد الله بآمنة بنت وهب، وحمزة أكبر سناً من عبد الله والد النبي «صلى الله عليه وآله»(٢).

---

(١) راجع: الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» ج١٩ ص٢١٩ و ٢٢٠.

(٢) راجع: البداية والنهاية ج٢ ص٢٤٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج١ ص١٧٤ =

ج: حتى بناء على ما زعموه من أن حمزة كان أكبر من النبي «صلى الله عليه وآله» بسنتين، أو بأربع، نقول:

إن حدوث هذا الرضاع يصبح بعيداً، أيضاً بناءً على الأول، لأن قلة قليلة جداً تبلغ في رضاعها السنتيت، فضلاً عن أن تزيد عليه، وغير صحيح بناء على الثاني.

٤ ـ لماذا لم يأخذ النبي نفسه بنت حمزة، فإن ميمونة بنت الحارث كانت أخت سلمى بنت عميس لأمها، فهي خالة بنت حمزة، فكان يمكن أن يأخذها «صلى الله عليه وآله»، لكون خالتها عنده؟! ولكونه أخاً لأبيها من الرضاعة، فلديه سببان لأخذها دون غيره..

٥ ـ إن صفية بنت عبد المطلب كانت عمة لبنت حمزة، فلماذا لم تُعْطَ لها، وهل طالبت بها كما طالبوا؟! فإن كانت لم تطالب فما هو السبب؟! هل هو

= والسيرة النبوية لابن هشام ج١ ص١٦٠ وراجع: السيرة الحلبية ج١ ص٣٦ وفي السيرة النبوية لدحلان ج١ ص١٥ وإن كان لم يذكر: أن عبد الله كان أصغر ولده، لكنه ذكر حمزة والعباس في جملة أولاد عبد المطلب حين قضية الذبح.. وذكر في الكامل لابن الأثير ج٢ ص٦ وتاريخ الأمم والملوك (ط مطبعة الإستقامة) ج٢ ص٤: أن عبد الله كان أصغر ولده، وأحبهم، لكنه لم يسم أولاد عبد المطلب وراجع: المصنف للصنعاني ج٥ ص٣١٥ و ٣١٦ وعن الدر المنثور ج٣ ص٢٢٠ وعن تاريخ مدينة دمشق ج٥٧ ص٢٤٠ وتاريخ اليعقوبي ج١ ص٢٥٠ و ٢٥١.

عدم قدرتها على القيام بشؤونها؟!

أم أنهم حسموا الأمر من دون علمها، ثم علمت فرضيت؟!

وكيف يقدم النبي «صلى الله عليه وآله» على حسم الأمر، دون أن يستكمل استكشاف آراء من لهم ارتباط بالمشكلة.. ولماذا؟! ولماذا؟!

٦ ـ ما السبب في وجود سلمى زوجة حمزة مع ابنتها في مكة، هل هي لم تهاجر مع زوجها حمزة إلى المدينة؟!.. أم أنها عادت إلى مكة بعد استشهاده «عليه السلام»؟! وما الذي جعل أهل مكة يرضون بعودتها إلى بلدهم؟!

٧ ـ لماذا لم يطلب زيد، وجعفر ابنة حمزة في مكة، قبل أن تلحق هي بالنبي «صلى الله عليه وآله»، وتتوسل إليه أن يأخذها معه..

٨ ـ لماذا لم يجبها النبي «صلى الله عليه وآله»، وهي تناديه أن يأخذها معه؟! بل هو لم يبد رأياً في ذلك حتى كلمه علي «عليه السلام» في شأنها؟!

ولعل الصحيح: هو أن علياً «عليه السلام» قد أخرج فاطمة بنت الحمزة ـ كما قيل: بنت سلمى بنت عميس[1]، وقيل: أن اسمها عمارة[2]،

---

(١) الإصابة ج٤ ص٣٨١ والجوهر النقي ج٦ ص٢٤١ ومقاتل الطالبيين ص١١ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٤ ص٣٥ و ٣٦ وتهذيب الكمال ج١٥ ص٨٢ وسير أعلام النبلاء ج١ ص٢١٣ و ٢١٤ و ١٥١ وعن فتح الباري ج٧ ص٣٨٨ و ٣٨٩.

(٢) بحار الأنوار ج٢٠ هامش ص٣٧٢ عن الإمتاع، وعن فتح الباري ج٧ ص٣٨٨ و ٣٨٩ وكنز العمال ج٥ ص٥٨٠ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص١٢٢ =

وقيل: أمامة[١] ـ من مكة حين هجرة رسول الله «صلى الله عليه وآله»[٢]، لا في عمرة القضاء.. فإن صح هذا، فلماذا عادت إلى مكة؟! وكيف؟!

وحين يذكرون هجرة الفواطم مع علي «عليه السلام»، ونزولهم ضجنان لا يذكرون فاطمة بنت الحمزة مع الفواطم الثلاث، ولعل ذلك لأنها كانت طفلاً تابعاً.

وحين يتحدثون عن غير الهجرة يقولون: إن الفواطم أربعة، أو ثلاث

= وج٨ ص١٥٩ وعن تاريخ مدينة دمشق ج١٩ ص٣٦١ وعن أسد الغابة ج٥ ص٥٠٨ وج٨ ص١٨٥ و ٢٤٢ والمنتخب من ذيل المذيل ص١١٤ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٢٦٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٤٣ وعمدة القاري ص١٧ ص٢٦٢ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٢ ص٧٧٩.

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج٨ ص٤٨ و ٥٨ وكتاب المحبر ص١٠٧ وعن أسد الغابة ج٥ ص٣٩٩ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٢ ص٧٧٩ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٩٥ و ١٩٦.

(٢) السيرة الحلبية ج٢ ص٢٠٤ و ٢٠٥ وتفسير الميزان ج٤ ص٩١ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج١ ص٧٤٨ والأمالي للطوسي ص٤٧١ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص١٥٩ وحلية الأبرار ج١ ص١٥١ و ١٥٢ وبحار الأنوار ج١٩ ص٦٦ وج٦٣ ص٣٥٠ ومستدرك سفينة البحار ج١٠ ص٤٦٨ والتفسير الصافي ج١ ص٤١٠ ونور الثقلين ج١ ص٤٢٣ وتفسير كنز الدقائق ج٢ ص٣٢٦ وكشف الغمة ص٣٣ وسيرة المصطفى ص٢٥٩.

ويذكرونها بينهن(١). فما هو السبب أيضاً في ذلك؟!

كتاب النبي صلى الله عليه وآله لخزاعة بخط علي عليه السلام:

وفي جمادى الآخرة سنة ثمان كتب النبي «صلى الله عليه وآله» بعد الحديبية كتاباً لخزاعة، يبدأ كما يلي:

بسم الله الرحمان الرحيم:

من محمد رسول الله إلى بديل وبشر، وسروات بني عمرو، سلام عليكم إلخ(٢)..

---

(١) راجع: نيل الأوطار ج٢ ص٧٧ وشرح أصول الكافي ج٦ ص١٦٧ وشرح مسلم للنووي ج١٤ ص٥٠ وفتح الباري (المقدمة) ص٢٨٢ وج١١ ص٤٧٧ والديباج على مسلم ج٥ ص١٢٦ والفايق في غريب الحديث ج٢ ص١٧٤ وعيون الأثر ج٢ ص٣٧١ واللمعة البيضاء ص٢٠٧ ولسان العرب ج١٢ ص٤٥٥ وتارج العروس ج٩ ص١٣ وكنز العمال ج١ ص٣١٠٢ وسبل السلام ج٢ ص٨٦ وعون المعبود ج١١ ص١٠١ وعمدة القاري ج٢١ ص٢٣ وج٢٢ ص١٧ والتمهيد ج١٤ ص٢٣٩ وشرح معاني الآثار ج٤ ص٢٤٣ ومرقاة المفاتيح ج٨ ص١٧٧ وعن الإصابة ج٤ ص٣٨١ وعن أسد الغابة ج٥ ص٣٦٢ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٢ ص١٥٣ وتعريف الأحياء بفضائل الإحياء للعيدروسي ج١ ص١١٦.

(٢) المغازي للواقدي ج٢ ص٧٤٩ و ٧٥٠. ونقله في مكاتيب الرسول ج٣ ص١٢٦ عن: الأموال لأبي عبيد ص٢٠١ وفي (ط أخرى) ص٢٨٨ والطبقات الكبرى =

ويلاحظ: أن أكثر المصادر لم تذكر اسم كاتب الكتاب، لكن ابن الأثير قال: كان الكتاب بخط علي بن أبي طالب، أخرجه الثلاثة(١)، وفي رسالات

= لابن سعد (ط ليدن) ج٢ ق١ ص٢٥ وفي (ط دار صادر) ج١ ص٢٧٢ وأسد الغابة ج١ ص١٧٠ في ترجمة بديل، ورسالات نبوية ص٩٦ (عن ابن حجر والطبراني) وابن أبي شيبة ج١٤ ص٤٨٦ وكنز العمال ج٤ ص٢٧٦ (عن ابن سعد، والباوردي، والفاكهي في أخبار مكة، والطبراني، وأبي نعيم وص٣١٠ عن ابن أبي شيبة. والمعجم الكبير للطبراني ج٢ ص١٥ بسندين، ومدينة البلاغة ج٢ ص٣١٥ والأموال لابن زنجويه ج٢ ص٤٦٤ وأعيان الشيعة ج٣ ص٥٥٠ ومجمع الزوائد ج٨ ص١٧٢ و ١٧٣ ومجموعة الوثائق السياسة ٢٧٥ و ٢٧٦/ ١٧٢ (عن جمع ممن تقدم وعن) وسيلة المتعبدين ج٨ ص ٢٨/ ألف، ثم قال: قابل ابن عبد ربه ج٢ ص٧٦ والإستيعاب، وانظر: كايتاني ج٨ ص٢١ واشبرنكر ج٣ ص٤٠٤ واشبربر ص٢٠.

ثم قال العلامة الأحمدي: وأوعز إليه كنز العمال ج١ ص٢٧٣ وجمهرة النسب لهشام الكلبي ص٣٦٥ والإصابة ج١ ص١٤٩ و ٦٤٦ في ترجمة بسر عن ابن أبي شيبة، والطبراني، والفاكهي وص١٤١/ ٦٤١ وص٣٢١ في حرملة، وج٢ ص٥٠٤ والإستيعاب ج١ ص١٦٦ في بديل، وص٤١١ في خالد بن هوذة، ورسالات نبوية ص١٧ وأسد الغابة ج١ ص٣٩٨ وج٢ ص٩٧ وراجع: ثقات ابن حبان ج٢ ص٣٦ والإشتقاق ص٤٧٦ والمفصل ج٦ ص٤٢٣ وج٤ ص١٥ و ٣٦٧.

(١) مكاتيب الرسول ج٣ ص١٣٧ عن المعجم الكبير ج٢ ص١٥ ومدينة البلاغة ج٢ =

نبوية: أن الكتاب بيد علي بن أبي طالب.

وقال الطبراني: قال أبو محمد: وحدثني أبي قال: سمعت يقولون: هو خط علي بن أبي طالب «عليه السلام»(١).

علي عليه السلام وجلد المستحاضة:

عن علي «عليه السلام» قال: أرسلني رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى أمة له سوداء، زنت، لأجلدها الحدّ، قال: فوجدتها في دمائها، فأتيت النبي «صلى الله عليه وآله»، فأخبرته بذلك، فقال لي: إذا تعالت [تعافت] فاجلدها خمسين(٢).

ونقول:

١ ـ لا يقام الحدّ على المستحاضة حتى ينقطع الدم عنها، لأن الإستحاضة

= ص٣١٥ وراجع: مجمع الزوائد ج٨ ص١٧٣ وعن أسد الغابة ج١ ص١٩٧ وعن الإصابة ج١ ص٤١٠.

(١) المعجم الكبير للطبراني ج٢ ص٣٠ ومجمع الزوائد ج٨ ص١٧٣ ومكاتيب الرسول ج٣ ص١٣٧.

(٢) مسند أحمد ج١ ص١٣٦ وراجع: تفسير القرآن العظيم ج١ ص٤٧٦ وعن نيل الأوطار ج٧ ص٢٧٢ وعن صحيح مسلم ج٣ ص٥٣٧ ح٣٤ كتاب الحدود، والجامع الصحيح للترمذي ج٤ ص٣٧ وعن سنن أبي داود ج١ ص١٦٤ ح٤٤٧٣، وليس في الثلاثة الأخيرة لفظ خمسين.

في معنى المرض، ولذلك قال «صلى الله عليه وآله»: إذا تعافت، فاجلدها خمسين. أما الحيض فهو يدل على اعتدال المزاج. والحائض صحيحة، فيقام عليها الحدّ مطلقاً.

٢ ـ إن علياً «عليه السلام» لم يبادر إلى إقامة الحد على تلك الأمة، بل تحرى عنها، لكي يعرف إن كانت واجدة لشرائط إقامة الحد أم لا.. فلما علم باختلال الشرائط لم يتركها انتظاراً لتوفر تلك الشرائط، واستناداً إلى ما يعرفه هو من الأحكام الخاصة في هذا المورد، بل راجع رسول الله «صلى الله عليه وآله» في أمرها، ليكون التأخير مستنداً إلى قرار الرسول «صلى الله عليه وآله» نفسه، لا إلى قرار علي «عليه السلام».

٣ ـ قد يعترض بعضهم على علي «عليه السلام» بأنّه لم يلتزم بحرفية أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، بل استلبث وتريث، حتى وجد فرصة لتأجيل تنفيذ الأمر الصادر إليه، فهو لم يكن كالسكة المحماة فيه، كما هو المفروض.

ونجيب: بأنّ هناك أموراً تكون في عهدة النبي أو في عهدة وصيه، الحاكم والحافظ لأحكام الشريعة، لا بد أن يتصدى لها الحاكم مثل: أن يصدر أمره بإقامة الحدّ على مستحقه.

وهناك أمور أخرى تكون من حق المحدود، وعلى المنفذ للأمر أن يراعيها فيه.

فالمورد هنا: من قبيل هذا الثاني، لا الأول، أي أنه مورد التأكد من جامعية المحدود لشرائط إقامة الحدّ، وهذا من وظائف علي «عليه السلام»، فهو من موارد قاعدة: «الشاهد يرى ما لا يراه الغائب»، تماماً كما حصل له

«عليه السلام» في حديث الإفك، حيث أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» علياً «عليه السلام» بقتل جريج القبطي إن وجده عند مارية، فلما وجده، وتأكد من فاقديته لشرط إقامة الحدّ رجع إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقال له: تأمرني بالأمر أكون فيه كالسمكة المحماة، أم الشاهد يرى ما لا يرى الغائب؟!

فقال «صلى الله عليه وآله»: بل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب.

فهل هذا المورد من الموارد التي يكون فيها كالسكة المحماة؟! تماماً كما حدث حين أمره «صلى الله عليه وآله» بالإتيان بالحكم، كالشاة التي تساق لحلبها؟! أم أن الشاهد يرى ما لا يرى الغائب؟!

أي أنّه «عليه السلام» لم يرفع حكم رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالرجم، بل هو سيمضيه، ويكون فيه كالسكة المحماة، حين تتحقق شرائط إجرائه، إذ هو بالنسبة لتوفر شرائط إقامة الحدّ، محكوم بقاعدة: الشاهد يرى ما لا يرى الغائب، لأن اليقين بتوفر الشروط من مسؤولية ذلك الشاهد نفسه.

كأنك في الرقة علينا منا:

نقل عن خط الشهيد رحمه الله ما يلي:

«قيل: كتب النجاشي كتاباً إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله» لعلي «عليه السلام»: اكتب جواباً وأوجز..

فكتب «عليه السلام»:

«بسم الله الرحمان الرحيم: أما بعد، فكأنك في الرقة علينا منا، وكأنا من الثقة بك منك، لأنا لا نرجو شيئاً منك إلا نلناه، ولا نخاف منك أمراً

إلا أمناه، وبالله التوفيق».

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: الحمد لله الذي جعل من أهلي مثلي، وشد أزري بك»(١).

ونقول:

أولاً: قد تم الإستيلاء على هذا الوسام أيضاً، بالإستيلاء على سبب منحه، حيث زعموا: أن عمرو بن أمية قال للنجاشي: كأنك في الرقة علينا منا، وكأننا في الثقة بك منك، لأننا لم نظن بك خيراً قط إلا نلناه، ولم نحفظك على شر قط (ولا نخاف أمراً منك) إلا أمناه إلخ(٢)..

غير أن من الواضح: أن عمرو بن أمية قد ذهب إلى الحبشة بعنوان رسول، فمتى توطَّن الحبشة، ولمس رقة ملكها عليه، وتنامت ثقته به، حتى

---

(١) بحار الأنوار ج٢٠ ص٣٩٧ و (ط حجرية) ج٦ ص٥٧١ ومستدرك سفينة بحار الأنوار ج٩ ص٥٤١ ومكاتيب الرسول ج٢ ص٤٥٣ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٧ ص٢٨ عن نزهة الجليس (ط المطبعة الحيدرية) ج١ ص٣٥٤ وراجع: ناسخ التواريخ، ترجمة رسول الله «صلى الله عليه وآله» ومدينة البلاغة ج٢ ص٢٤٤.

(٢) مكاتيب الرسول ج٢ ص٤٤٧ عن السيرة النبوية لدحلان ج٣ ص٦٨ والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٧٩ وزاد المعاد ج٣ ص٦٠ والروض الأنف ج٣ ص٣٠٤ والمصباح المضيء ج٢ ص٣٩ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج١ ص٥٧٢ وج٢ ص٦٥٤ وعيون الأثر ج٢ ص٣٢٩ والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٢٥٩.

صار يشعر أنه منه، وحتى صار لا يظن به خيراً إلا ناله إلخ..؟!

على أننا لم نر في طريقة خطاب عمرو بن أمية ما يناسب خطاب مثله لمثله، ولا نرى أن ملك الحبشة وأعوانه يرضى ويرضون بأن يبدأه بعبارة: عليَّ القول، وعليك الإستماع.

وكذا قوله: «وإلا، فأنت في هذا النبي الأمي، واليهود كاليهود في عيسى..»، بل هم سوف يسكتونه فور سماع عبارته هذه.

ثانياً: إن حامل الرسالة لملك الحبشة هو جعفر بن أبي طالب، وملك الحبشة أسلم على يد جعفر، لا على يد عمرو بن أمية.

من صدقات علي عليه السلام:

وقد أرسل النجاشي لرسول الله «صلى الله عليه وآله» بمناسبة زواجه بأم حبيبة «قميصاً وسراويل، وعطافاً، وخفين ساذجين»[١].

وروى الكليني: أنه أهدى لرسول الله «صلى الله عليه وآله» حلة قيمتها ألف دينار، فكساها علياً «عليه السلام»، فتصدق بها[٢].

---

(١) مكاتيب الرسول ج٢ ص٤٤٩ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج١ ص٥٧٦ وج٢ ص٦٦٠ وتحفة الأحوذي ج٨ ص٧٨ وكتاب المحبر للبغدادي ص٧٦ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج٤ ص٣١١ وإمتاع الأسماع ج٧ ص١٥.

(٢) راجع: الكافي ج١ ص٢٨٨ و ٢٨٩ الحديث رقم ٣ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج٥ ص١٨ وج٩ ص٤٧٧ و (ط دار الإسلامية) ج٣ ص٣٤٩ وج٦ =

ونقول:

١ ـ إن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يعط علياً إلا ما هو ماله الخاص، وليس للمسلمين فيه نصيب..

٢ ـ إنه «صلى الله عليه وآله» لم يشأ أن يلبس حلة بألف دينار، وهو يعلم: أن الكثيرين من المسلمين يحتاجون في كسوتهم إلى شيء، مهما كانت قيمته متواضعة.. فآثر أن يعطيها لمن يستحقها ويحتاجها.. وهو علي «عليه السلام»..

٣ ـ ولكن علياً «عليه السلام» أيضاً لم يشأ أن يلبس حلة بألف دينار، تأسياً برسول الله «صلى الله عليه وآله» من جهة، ومن جهة ثانية: ولعل في الحجاز أو اليمامة من لا عهد له باللباس اللائق به، ولا يقدر على تهيئة ما تكون قيمته متواضعة، فآثر بها غيره من أهل الحاجة لينال ثواب ذلك أيضاً.. وليكون المثل الأعلى في القناعة والإيثار، والزهد بالدنيا..

علي عليه السلام يقتل أصل الخوارج:

ونذكر هنا قضية جرت في حياة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولعلها حدثت في هذه السنة أو في غيرها وهي التاية:

= ص٣٣٤ وحلية الأبرار ج٢ ص٢٧٩ وكتاب الأربعين للماحوزي ص١٨٤ وجامع أحاديث الشيعة ج٨ ص٤٤١ وج١٦ ص٦٨٥ والتفسير الصافي ج٢ ص٤٤ والتفسير الأصفى ج١ ص٢٨١ ونور الثقلين ج١ ص٦٤٣ وشرح أصول الكافي ج٦ ص١١٦ وتأويل الآيات ج١ ص١٥٣.

رووا: أن أبا بكر قال للنبي «صلى الله عليه وآله»: إني مررت بوادي كذا وكذا، فإذ رجل متخشع، حسن الهيئة، يصلي..

فقال له النبي «صلى الله عليه وآله»: إذهب إليه فاقتله.

فذهب إليه، فلما رآه على تلك الحال كره أن يقتله، فرجع إلى النبي «صلى الله عليه وآله»..

فقال النبي «صلى الله عليه وآله» لعمر: إذهب فاقتله.

فذهب إليه، فرآه على تلك الحال، فكره أن يقتله.

فقال «صلى الله عليه وآله» لعلي «عليه السلام»: اذهب فاقتله.. فذهب إليه فلم يجده.

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: إن هذا وأصحابه يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم. وذكر حديث الخوارج ومروقهم من الدين، وفي آخره: فاقتلوهم هم شرُّ البرية[1].

---

(١) مسند أحمد ج٣ ص١٥ والمصنف للصنعاني ج١٠ ص١٥٥ و ١٥٦ ومجمع الزوائد ج٦ ص٢٢٥ و ٢٢٦ و ٢٢٧ والبداية والنهاية ج٧ ص٢٩٩ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٢ ص٢٦٦ و ٢٦٧ والكامل في الأدب ج٣ ص٢٢٠ و٢٢١ ونيل الأوطار للشوكاني ج٧ ص٣٥١ والمراجعات للسيد شرف الدين ص٣٧٦ و ٣٧٨ والنص والإجتهاد للسيد شرف الدين ص٩٦ والغديرج٧ ص٢١٦ وأهمية الحديث عند الشيعة للشيخ آقا مجتبي العراقى ص٢١٧ وفتح الباري ج١٢ ص٢٦٦ والفصول المهمة للسيد شرف الدين ص١٢١.

وفي نص آخر: فقال علي «عليه السلام»: أفلا أقتله أنا يا رسول الله؟!

قال: بلى أنت تقتله إن وجدته.. فانطلق علي «عليه السلام» فلم يجده.. أو نحو ذلك(١).

ونقول:

١ ـ لقد عودنا عمر بن الخطاب أن يطلب من النبي «صلى الله عليه وآله» أن يسمح له بقتل هذا تارة وذاك أخرى، وذلك ثالثة، ورابعة، وخامسة. ولم ينل مبتغاه في جميع مطالبه تلك، بل كان القرار النبوي دائماً على خلاف هواه..

أما هنا.. فإن النبي «صلى الله عليه وآله» هو الذي يطلب من عمر أن يقتل هذا الرجل، ولكن عمر لا يستجيب!!

٢ ـ إن أبا بكر لم يكن في مجمل أحواله يتوافق مع عمر على القتل الذي كان عمر يطلب من النبي «صلى الله عليه وآله» أن يسمح له به، فلم يطلب

---

(١) كشف الأستار عن مسند البزار ج٢ ص٣٦٠ و ٣٦١ والعقد الفريد ج٢ ص٤٠٤ وراجع المصنف للصنعاني ج١٠ ص١٥٥ و ١٥٦ ومجمع الزوائد ج٦ ص٢٢٦ و ٢٢٧ ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص١٨٧ و ١٨٨ عن مسند أبي يعلى، والإعانة لابن بطة، والعكبري. وزينة أبي حاتم الرازي، وكتاب أبي بكر الشيرازي وغيرهم والطرائف ج٢ ص٤٢٩ والبداية والنهاية ج٧ ص٢٩٨ والغدير ج٧ ص٢١٦ وحلية الأولياء ج٢ ص٣١٧ و ج٣ ص٢٢٧ والإصابة ج١ ص٤٨٤ والنص والإجتهاد ص٩٣ و ٩٤ عن بعض ما تقدم.

ما كان يطلبه عمر من ذلك، ولو مرة واحدة، بل هما قد اختلفا في العديد من الموارد، فقد اختلفا في الموقف من خالد حين قتل مالك بن نويرة، وزنى بامرأته.. واختلفا في الموقف من أسارى بدر.

٣ ـ إن أبا بكر كان قرين عمر، وحبيبه، وصفيه، ونجيه، وكانا معاً يداً واحدة على الدوام.. غير أنهم يزعمون: أن أبا بكر يميل إلى السلم، وعمر يميل إلى القتل والحرب. حتى أصبح ذلك بمثابة القاعدة.

ولكن هذه القاعدة قد انخرمت مرتين:

إحداهما: في قتال مانعي الزكاة، حيث كان عمر يرى مسالمتهم، وأبو بكر يرى حربهم، وذلك على خلاف ما عهدناه منهما من ميل أبي بكر للسلم، وميل عمر للحرب.. فما هو السبب في ذلك؟!

ويزيد هذا الأمر غرابة حين نرى أن الأمور عادت بينهما إلى التوافق، ولكن لا برجوع أبي بكر إلى رأي عمر، بل برجوع عمر إلى رأي أبي بكر!

الثانية: في قتل أصل الخوارج، فإن عمر قد مال إلى طبع أبي بكر، ورأيه، فآثرا معاً عصيان رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولم ينفذا أمره بقتله..

٤ ـ إن الرجل الذي طلب النبي «صلى الله عليه وآله» قتله من أبي بكر وعمر، كان يتظاهر بالتخشع والعبادة والصلاح. ولكن ذلك لم يمنع النبي «صلى الله عليه وآله» من الأمر بقتله، فإن العبرة عنده بالجوهر لا بالمظهر.. وأفهمنا أن على المؤمن أن لا ينخدع بالمظاهر.

وقد جاءت هذه الحادثة لتكون التطبيق العملي لنهيه «صلى الله عليه

وآله» الناس عن النظر إلى صلاة الرجل وصومه، وطنطنته بالليل، بل عليهم أن ينظروا إلى صدقه في الحديث، وأدائه الأمانة[١].

٥ ـ إن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يرسل أبا بكر إلا بعد أن أخبره أبو بكر نفسه عنه بأنه رآه بمكان كذا متخشعاً، حسن الهيئة يصلي، أي أن النبي أمره بقتله بناء على ما سمعه من أوصاف أغدقها عليه، وحالات نسبها إليه، فما معنى أن يذهب أبو بكر إليه، ثم يرجع فيقول: إنه رآه يصلي فترك قتله؟! فإنه لم يأت للنبي «صلى الله عليه وآله» بشيء جديد يبرر إحجامه عن تنفيذ أمره.

٦ ـ إنه «صلى الله عليه وآله» حين أمر أبا بكر وعمر وعلياً بقتل ذلك الرجل، لم يذكر لهم سبب إصداره لهذا الأمر ـ رغم إخبارهم إياه بصلاة ذلك الرجل وتخشعه ـ وهذا يدل على ضرورة أن يكون التعامل مع

---

(١) راجع: الأمالي للصدوق ص٣٧٩ وعيون أخبار الرضا ج١ ص٥٥ و ٥٦ وروضة الواعظين ص٣٧٣ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج١٩ ص٦٩ و (ط دار الإسلامية) ج١٣ ص٢٢٠ ومستدرك الوسائل ج١٤ ص٦ والإختصاص ص٢٢٩ ومشكاة الأنوار ص١٠٩ و ١٦٤ وبحار الأنوار ج٦٨ ص٩ وج٧٢ ص١١٤ و ١١٥ وشجرة طوبى ج٢ ص٤٤٣ وجامع أحاديث الشيعة ج١٨ ص٥٢٦ ومستدرك سفينة البحار ج١ ص٢٢٣ ومسند الإمام الرضا للعطاردي ج١ ص٢٧٤ وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج٦ ص٥٦ والرسائل الرجالية للكلباسي ج١ ص٢٢٩.

المعصوم بمنطق الطاعة والإنقياد المطلق والتسليم، تطبيقاً لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾(١).

تماماً كما سلم إسماعيل نفسه لأبيه إبراهيم ليذبحه قائلاً: ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾(٢).

٧ ـ إن امتناع أبي بكر وعمر عن تنفيذ الأمر يدلنا على أنهما لم يتعاملا مع النبي «صلى الله عليه وآله» على أساس أنه مسدد بالوحي الإلهي، ولا ينطق عن الهوى.. ولا على أساس أنه عالم علم اليقين، بالمبررات الشرعية لحكمه عليه بالقتل.. أي أنهما رأيا أن النبي لم يكن مستجمعاً للشرائط المسوغة لحكمه على الرجل، ومعنى ذلك أنه مخطئ في قراره هذا، وأن ذلك الرجل مظلوم..

وهذا ما لا يمكن قبوله، لا من أبي بكر وعمر، ولا من غيرهما.

٨ ـ إن قوله «صلى الله عليه وآله» لعلي «عليه السلام»: «بلى أنت تقتله إن وجدته» يدل على أنه كان يعرف علياً حق المعرفة، حتى لقد أخبر عن فعل علي «عليه السلام» ـ الذي كان سيحصل ـ لو وجد ذلك الرجل.

٩ ـ إن هذا الإختبار العملي، قد أظهر فضل ذي الفضل.. وبيّن ميزته «عليه السلام» على من سواه، وسجل معياراً ومقياساً تسقط به الكثير من الدعاوى التي يسوقها محبوا مناوئي علي «عليه السلام»..

(١) الآية ٦٥ من سورة النساء.

(٢) الآية ١٠٢ من سورة الصافات.

١٠ ـ إن قول النبي «صلى الله عليه وآله» عن الذين هم على شاكلة ذلك الرجل الذي أمر «صلى الله عليه وآله» بقتله: «فاقتلوهم هم شر البرية» قد أسقط الحصانة عن هذه الفئة من الناس، بإعطائه الأمر بقتلهم، لأنهم تجسيد للشر الذي يصيب البشرية، وتسترُّهم بالمظاهر الخادعة وإظهارهم التخشع، وممارسة العبادات إن كان يراد به حفظ الجحود والطغيان، لا ينفع في دفع العقوبة التي يستحقونها.

١١ ـ وإنما كان هؤلاء شر البرية، لأنهم يتسترون بالدين للقضاء على الدين، وإشاعة رذيلة الظلم والطغيان، والعمل بالهوى، وأحكام الجاهلية..

١٢ ـ وقد أخبر «صلى الله عليه وآله»: أن علياً «عليه السلام» لن يجد ذلك الرجل، ولو وجده لقتله، وأخبر أيضاً عن المارقين، مع بيان بعض حالاتهم، وما يكون منهم.. مبيناً التكليف الإلهي للأمة تجاههم.

١٣ ـ ويكون صدق ما أخبر به «صلى الله عليه وآله» عن أن علياً «عليه السلام» لن يجد ذلك الرجل بمثابة شاهد حسي على أنه «صلى الله عليه وآله» يخبر عن الله تعالى، وعلى أن ما يخبر به عن ظهور المارقين لا بد أن يتحقق أيضاً.

١٤ ـ إن النبي «صلى الله عليه وآله» لا يقدم على قتل رجل إلا إذا توفرت الأدلة له على استحقاقه للقتل..

ومن الذي قال: إن البينة لم تقم لدى رسول الله «صلى الله عليه وآله» على استحقاق ذلك الرجل للقتل..

أو من الذي قال: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لم يطلع على حال

ذلك الرجل بصورة مباشرة، وبنحو يجيز له قتله.. فرأى أن إظهاره التخشع، واعتصامه بالتظاهر بالدين لا يجديه، فقد قلنا: إن العبرة إنما هي بالجوهر لا بالمظهر..

الباب الثامن:

من فتح مكة.. إلى فتح الطائف..

الفصل الأول:

نقض العهد.. ومقدمات الفتح..

أبو سفيان في المدينة:

وبعد أن عقدت قريش في الحديبية مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» عهداً تضمن دخول خزاعة في عقد وعهد رسول الله «صلى الله عليه وآله» نقضت قريش العهد، وأوقعت ببني نفاثة الخزاعيين، ثم بعثت أبا سفيان إلى المدينة، فطلب أن يشد العهد، ويزيد في المدة، وهو يظن أن خبر بني نفاثة لم يصل إلى النبي «صلى الله عليه وآله»..

فسأله النبي «صلى الله عليه وآله» إن كان قد حدث حدث اقتضى هذا الطلب.

فقال: معاذ الله، نحن على عهدنا وصلحنا يوم الحديبية، لا نغير ولا نبدل.

فقال «صلى الله عليه وآله»: فنحن على مدتنا وصلحنا يوم الحديبية، لا نغير ولا نبدل.

فطلب أبو سفيان من أبي بكر أن يجير بين الناس، ويشفع له عند رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وطلب ذلك ايضاً من عمر، ومن عثمان، وسعد بن عبادة، وعلي «عليه السلام» وأشراف المهاجرين، والأنصار وكان يسمع منهم رفضاً لطلبه أكيداً وشديداً.

فتوسل بالزهراء «عليها السلام»، ثم بالسبطين، الحسن والحسين «عليهما السلام»، ربما بهدف الإستفادة من الأثر العاطفي بزعمه، ولكن قد خاب فأله، فقد كان الجواب هو الجواب يقول النص: فأتى علياً «عليه السلام»، فقال: يا علي، إنك أمس القوم بي رحماً، وإني جئت في حاجة، فلا أرجع كما جئت خائباً، فاشفع لي إلى محمد.

فقال: ويحك يا أبا سفيان، والله، لقد عزم رسول الله «صلى الله عليه وآله» على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه..

إلى أن يقول النص:

فلما أيس مما عندهم، دخل على فاطمة الزهراء «عليها السلام» والحسن «عليه السلام» غلام يدب بين يديها، فقال: يا بنت محمد، هل لك أن تجيري بين الناس؟!

فقالت: إنما أنا امرأة، وأبت عليه(١).

(**وفي نص آخر**: قالت: إنما أنا امرأة.

قال: قد أجارت أختك ـ يعني: زينب ـ أبا العاص بن الربيع، وأجاز ذلك محمد.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٠٧ والسيرة الحلبية ج٣ ص٧٣ و (ط دار المعرفة) ص٣ والمغازي للواقدي ج٢ ص٧٩٤ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج٤ ص٣٢١ و (ط مكتبة المعارف) ج٢ ص٢٧٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥٣٣ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٧ ص٢٦٣.

قالت: إنما ذاك إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» الخ..)[١].

فقال: مري ابنك هذا ـ أي الحسن بن علي «عليهما السلام» ـ فيجير بين الناس، فيكون سيد العرب الى آخر الدهر.

قالت: والله ما بلغ ابني ذلك، أن يجير بين الناس، وما يجير أحد على رسول الله «صلى الله عليه وآله»[٢].

(**وفي نص آخر**: ما يدري ابناي ما يجيران من قريش)[٣].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٠٧ والسيرة الحلبية ج٣ ص٧٣ و (ط دار المعرفة) ص٣ والمغازي للواقدي ج٢ ص٧٩٤ وراجع: بحار الأنوار ج٢١ ص١٠٢ و ١٢٦ ومجمع البيان ج١٠ ص٥٥٥ و (ط مؤسسة الأعلمي) ص٤٦٨ وإعلام الورى ج١ ص٢١٧ والمصنف للصنعاني ج٥ ص٣٧٥ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٧ ص٣٦٣.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٠٧ وراجع: تفسير البغوي ج٤ ص٥٣٧ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٢٦ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٥٢٤ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٢٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٨٥٦ وعيون الأثر ج٢ ص١٨٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥٣٠ وبحار الأنوار ج٢١ ص١٢٦ وإعلام الورى ج١ ص٢١٨.

(٣) السيرة الحلبية ج٣ ص٧٣ والمغازي للواقدي ج٢ ص٧٩٣ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٢٦ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج٤ ص٣٢٠ و (ط مكتبة المعارف) ج٢ ص٢٧٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥٣٠ والسيرة =

(زاد في الحلبية قوله: «قال: فكلمي علياً..

فقالت: أنت تكلمه.

فكلم علياً «عليه السلام»، فقال: يا أبا سفيان، إنه ليس أحد من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» يفتئت على رسول الله «صلى الله عليه وآله» بجوار»)[1].

فقال لعلي «عليه السلام»: يا أبا الحسن! إني أرى الأمور قد اشتدت علي فانصحني.

قال: والله ما أعلم شيئاً يغني عنك شيئاً، ولكنك سيد بني كنانة.

قال: صدقت، وأنا كذلك.

قال: فقم، فأجر بين الناس، ثم الحق بأرضك.

قال: أوترى ذلك مغنياً عني شيئاً؟!

قال: لا والله، ولكن لا أجد لك غير ذلك.

فقام أبو سفيان في المسجد، فقال: أيها الناس، إني قد أجرت بين

= النبوية لابن هشام (ط مكتبة محمد علي صبيح) ج٤ ص٨٥٦ وعيون الأثر ج٢ ص١٨٤ وراجع: الإرشاد ج١ ص١٣٣ وبحار الأنوار ج٢٢ ص٧٧ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ ق٢ ص٤٢ وزاد المعاد ج١ ص١١٤٧.

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٧٣ و (ط دار المعرفة) ج٣ ص٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥٣٣ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج٤ ص٣٢١.

الناس، ولا والله ما أظن أن يخفرني أحد.

ثم دخل على رسول الله «صلى الله عليه وآله» فقال: يا محمد، إني قد أجرت بين الناس.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أنت تقول ذلك يا أبا حنظلة»!

ثم ركب بعيره وانطلق(١).

وكان قد احتبس وطالت غيبته، وكانت قريش قد اتهمته حين أبطأ أشد التهمة، قالوا: والله إنَّا نراه قد صبأ، واتبع محمداً سرَّاً، وكتم إسلامه.

فلما دخل على هند امرأته ليلاً، قالت: لقد احتبست حتى اتهمك قومك، فإن كنت مع الإقامة جئتهم بنجح فأنت الرجل.

ثم دنا منها، فجلس مجلس الرجل من امرأته.

فقالت: ما صنعت؟!

فأخبرها الخبر، وقال: لم أجد إلا ما قال لي علي.

فضربت برجلها في صدره وقالت: قبحت من رسول قوم، فما جئت

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٠٧ والسيرة الحلبية ج٣ ص٧٣ و (ط دار المعرفة) ص٣ وبحار الأنوار ج٢١ ص١٢٦ و ١٢٧ وج٢٢ ص٧٧ وإعلام الورى ج١ ص٢١٨ والمغازي للواقدي ج٢ ص٧٩٤ و ٧٩٥ وتاريخ الخميس ج٢ ص٧٨ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص١٧٧ والأنوار العلوية للنقدي ص٢٠٠.

بخير(١).

فلما أصبح أبو سفيان حلق رأسه عند إساف ونائلة، وذبح لهما، وجعل يمسح بالدم رؤوسهما (كذا) ويقول: لا أفارق عبادتكما حتى أموت على ما مات عليه أبي، إبراء لقريش مما اتهموه به.

فلما رأته قريش، قاموا إليه، فقالوا: ما وراءك؟! هل جئت بكتاب من محمد، أو زيادة في مدة ما نأمن به أن يغزونا محمد؟!

فقال: والله، لقد أبى علي.

وفي لفظ: لقد كلمته، فوالله ما رد علي شيئاً، وكلمت أبا بكر فلم أجد فيه خيراً، ثم جئت ابن الخطاب فوجدته أدنى العدو (وفي رواية أعدى العدو) وقد كلمت علية أصحابه، فما قدرت على شيء منهم، إلا أنهم يرمونني بكلمة واحدة، وما رأيت قوماً أطوع لملك عليهم منهم له.

إلا أن علياً لما ضاقت بي الأمور قال: أنت سيد بني كنانة، فأَجِرْ بين الناس، فناديت بالجوار.

(**وعند الحلبي:** ثم جئت علياً فوجدته ألين القوم. وقد أشار علي بشيء صنعته، فوالله، لا أدري أيغني عني شيئاً أم لا)(٢).

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٠٧ والسيرة الحلبية ج٣ ص٧٣ و (ط دار المعرفة) ج٣ ص٩ والمغازي للواقدي ج٢ ص٧٩٥ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٧ ص٢٦٤ وإمتاع الأسماع ج١ ص٣٥١.

(٢) السيرة الحلبية ج٣ ص٧٤ و (ط دار المعرفة) ص٣ وتاريخ الخميس ج٢ ص٧٨=

فقال محمد: «أنت تقول ذلك يا أبا حنظلة»!

لم يزدني.

قالوا: رضيت بغير رضى، وجئت بما لا يغني عنا ولا عنك شيئاً، ولعمرو الله ما جوارك بجائز، وإن إخفارك عليهم لهين، ما زاد علي من أن لعب بك تلعباً.

قال: والله ما وجدت غير ذلك(١).

= وراجع: الإرشاد ج١ ص١٣٣ وبحار الأنوار ج٢٢ ص٧٧ والثقات لابن حبان ج٢ ص٤٠ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٢٧ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج٤ ص٣٢٠ و (ط مكتبة المعارف) ج٢ ص٢٧٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥٣١ والسيرة النبوية لابن هشام (ط مكتبة محمد علي صبيح) ج٤ ص٨٥٧ و (ط دار المعرفة) ج٤ ص٢٧ وعيون الأثر ج٢ ص١٨٤ وزاد المعاد (ط مؤسسة الرسالة) ج١ ص١١٤٧.

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٠٧ و ٢٠٨ والسيرة الحلبية ج٣ ص٧٤ و (ط دار المعرفة) ص٣ وراجع: الإرشاد ج١ ص١٣٤ ونور الثقلين ج٥ ص٦٩٢ وتفسير الميزان ج٢٠ ص٣٨٠ والثقات ج٢ ص٤٠ ومجمع البيان ج١٠ ص٥٥٥ و (ط مؤسسة الأعلمي) ص٤٦٩ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص١٧٨ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٢٧ وبحار الأنوار ج٢١ ص١٢٦ و ١٢٧ وج٢٢ ص٧٨ وإعلام الورى ج١ ص٢١٨ والمغازي للواقدي ج٢ ص٧٩٥ وتاريخ الخميس ج٢ ص٧٨ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) =

ونقول:

إن لنا مع هذا النص وقفات عديدة، نقتصر منها على ما يلي:

فشل محاولة أبي سفيان:

١ ـ إن تجديد العهد إن كان مع عدم اطلاع النبي «صلى الله عليه وآله» والمسلمين على ما حدث. فإن ذلك يظهر أن المقصود هو خداع المسلمين، وإبطال دماء المقتولين، وهو أمر لا يرضى به أحد.. ويؤكد ذلك: أن أبا سفيان قد أنكر أن يكون قد حصل شيء يوجب نقض العهد السابق.

٢ ـ إذا كان لم يحدث شيء، فلماذا يجير أبو سفيان بين الناس، إذ لا توجد حرب بين فريقين ليحتاج إلى إجارة هذا أو ذاك.

على عهدنا، لا نغير ولا نبدل:

لقد حسم النبي «صلى الله عليه وآله» الأمر مع أبي سفيان، وقطع عليه الطريق بسؤال واحد وجهه إليه، ليجيب أبو سفيان بنحو يفرض القرار النبوي على نفسه، فلم يعد يمكن لأبي سفيان أن يناقش، أو أن يراجع النبي «صلى الله عليه وآله» في ذلك القرار، ولم يبق أي مبرر لطلب تجديد العهد.

فقد سأله «صلى الله عليه وآله»: إن كان حدث من قبلهم أي شيء

= ج٤ ص٣٢٢ و (ط مكتبة المعارف) ج٢ ص٢٧٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥٣٤ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ ق٣ ص٤٢ والسيرة النبوية لابن هشام (ط مكتبة محمد علي صبيح) ج٤ ص٨٥٧ وعيون الأثر ج٢ ص١٨٤.

يوجب إعادة النظر في العهد والعقد، فجاء جواب أبي سفيان بالنفي، لأنه مصمم على إنكار قتل الخزاعيين، لكي لا يطالب بإعطاء ديتهم لأهلهم.. طمعاً بالمال، واستكباراً، وانقياداً مع الأهواء والعصبيات الجاهلية..

فكان من الطبيعي أن يأتي القرار النبوي ليقول، ما دام لم يحدث شيء، فالعهد باق على حاله، ولا موجب لتجديده، كما لا موجب لتمديده مع بقاء مدته..

فلم يعد لأبي سفيان أي خيار سوى: إما الإقرار بنقض العهد، وهذا ما لا يريده، أو القناعة بالقرار الموجود، وإبقائه على حاله.. وهو الأمر الذي يحمل معه أيضاً خطر انكشاف أكذوبته، والعودة إلى نقطة الصفر.. ومواجهة الخيارات التي فرّ منها، وهي: إما إعطاء دية المقتولين، وتجديد العهد.. وهم ثلاثة وعشرون قتيلاً، أو البراءة ممن نقض العهد ليتولى النبي «صلى الله عليه وآله» تحصيل الحق منهم.. أو مواجهة الحرب التي يخشاها أبو سفيان..

لماذا رفضوا مساعدة أبي سفيان؟!:

إن رفض الصحابة مساعدة أبي سفيان قد اتضح سببه من جواب أمير المؤمنين «عليه السلام» له، فإنه «صلى الله عليه وآله» كان قد أخبرهم ـ من خلال معرفته الغيبية بما فعلته قريش بخزاعة، وبأن أبا سفيان سيأتي لأجل خداعهم، بالتملص من المسؤولية، والعمل على أن تذهب دماء القتلى هدراً، وبأنه سيرجع خائباً..

وقد دلنا علي «عليه السلام» أيضاً على شدة غضب الرسول «صلى الله

عليه وآله» من فعل قريش هذا، مما يعني أنه «صلى الله عليه وآله» مصمم على أخذ الحق، وأن أية محاولة في غير هذا الإتجاه ستكون فاشلة بلا ريب، لأن القرار إلهي غيبي، جازم وحاسم..

كلمي علياً:

وقد طلب أبو سفيان من فاطمة الزهراء «عليها السلام» أن تكلم علياً «عليه السلام» في أمر الجوار، وهذا يشير إلى أنه يتعامل مع علي «عليه السلام» كما يتعامل مع رسول الله «صلى الله عليه وآله».. فكما حاول أن يستفيد من موقع أم حبيبة زوجة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ليحصل من رسول الله «صلى الله عليه وآله» على ما يريد، حاول أيضاً أن يستفيد من موقع فاطمة «عليها السلام» من علي لإقناع علي «عليه السلام» بما يريد.

فرفضت «عليها السلام» طلبه، لأنه لو كان يرى أن طلبه حق، أو راجح لبادر هو إلى الطلب من علي «عليه السلام»، بل من النبي «صلى الله عليه وآله»، ويلزمهما بأن يعملا بما هو حق وراجح..

ولكنه أراد أن يمرر خديعته بأساليب الضغط العاطفي، أو استجابة لدواعي النسب، والقربى، والتماس رضا الأصحاب والأحباب، وقد خاب فأله، وطاش سهمه في ذلك..

سيد كنانة! يطلب النصيحة!:

وأول شيء طلبه من الإمام علي «عليه السلام» هو النصيحة له. ولا شك في أن هذا الطلب من أبي سفيان غريب وعجيب، لا لأن علياً «عليه

السلام» يبخل بالنصيحة على أي كان من الناس.. فحاشا علياً «عليه السلام» أن يبخل بأمر كهذا..

بل لأن هذا الرجل لا يريد من علي «عليه السلام» أن ينصحه بما هو حق، بل يريد النصيحة التي تعزز وتقوي الباطل، وتنتج تضييعاً للحق، وتزويراً للحقيقة، وظلماً آخر لأولئك الأبرياء من خزاعة، الذين كان أكثرهم من الصبيان، والنساء، والضعفاء. وتنتج أيضاً تقوية ونصراً لظالمهم، ومرتكب الجريمة البشعة والفظيعة بحقهم.

والغريب في الأمر: أن يطلب أبو سفيان هذه النصيحة التي هي بهذه المثابة من نفس ذلك المعني بالحفاظ على حقوق الناس، ويفترض فيه أن ينصر المظلوم، وأن يأخذ له من ظالمه!

وكانت نصيحة علي «عليه السلام» تقضي: بحمله عن الكف عن هذا السعي الظالم، والقائم على الخديعة والمكر حتى لنبي الله «صلى الله عليه وآله».

وتتلخص الطريقة التي اعتمدها «عليه السلام» بتذكير أبي سفيان بما يعتقده لنفسه، من مكانة في كنانة كلها، فأقر بأنه هو سيد كنانة مزهواً بذلك.

ثم إنه «عليه السلام» ألزمه بمقتضيات هذه السيادة التي يدعيها لنفسه، لو كان صادقاً فيما يدَّعيه، ومنها أن يقبل الناس جواره.

ولكن أبا سفيان كان يعرف أن هذه السيادة التي يدَّعيها ليست بهذه المثابة، ولا تكفي لتحقيق الغرض الذي سعى إليه، ولكنه سأل علياً «عليه السلام» إن كان ذلك يحقق له ما يريد، فعسى، ولعل!

فأجابه علي «عليه السلام» بما يجلب اليأس والأسى إلى قلبه، وهو: أنه

لا يرى ذلك مغنياً عنه شيئاً، ولكنه لا يجد له سبيلاً للخروج من حيرته غير ذلك..

وربما يكون الهدف من ذلك هو إفهام أبي سفيان أن ما يزعمه لنفسه من موقع وزعامة ليس سوى مجرد خيال، ووهم، وقد تغيرت الأمور، وأصبح للزعامة معايير أخرى، لا بد من مراعاتها، والإلتزام بمقتضياتها..

وفهم هذه الحقيقة لا بد أن يكون مفيداً جداً لأبي سفيان، وسوف يعينه كثيراً على الخروج من أجواء الوهم والخيال التي وضع نفسه فيها.

ما يدري ابناي ما يجيران:

وأما ما زعمته الرواية، من أن الزهراء «عليها السلام» قالت عن الحسنين «عليهما السلام»: ما يدري ابناي ما يجيران من قريش، فلا مجال لقبوله على ظاهره. فإن الحسنين «عليهما السلام» قد زقا العلم زقاً، وهم أفضل من عيسى الذي تكلم في المهد، وأفضل من يحيى الذي أتاه الله الحكم صبياً.

إلا إن كانت «عليها السلام» قد خاطبت أبا سفيان بحسب ما يعتقده فيهما، ليتبين له أنه يريد الخداع والتضليل والتغفيل.

علي عليه السلام يكشف رسالة ابن أبي بلتعة:

قال القمي: «إن حاطب بن أبي بلتعة كان قد أسلم وهاجر إلى المدينة، وكان عياله بمكة. وكانت قريش تخاف أن يغزوهم رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فصاروا إلى عيال حاطب، وسألوهم أن يكتبوا إلى حاطب،

يسألوه عن خبر محمد «صلى الله عليه وآله»: هل يريد أن يغزو مكة؟! فكتبوا إلى حاطب يسألونه عن ذلك»(١).

فكتب إليهم حاطب: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يريد ذلك، ودفع الكتاب إلى امرأة تسمى «صفية»، فوضعته في قرونها..

وأتى رسول الله «صلى الله عليه وآله» الخبر من السماء بما صنع حاطب، فبعث علي بن أبي طالب، والزبير بن العوام(٢).

---

(١) بحار الأنوار ج٢١ ص١١٢ وج٧٢ ص٣٨٨ وشجرة طوبى ج٢ ص٣٠١ وتفسير القمي ج٢ ص٣٦١ والتفسير الصافي ج٥ ص١٦١ وج٧ ص١٦٥ وتفسير الميزان ج١٩ ص٢٣٤.

(٢) راجع: سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢١٠ وج١٠ ص٦٤ وبحار الأنوار ج٢١ ص١١٢ و ١٢٠ وج٧٢ ص٣٨٨ وتفسير القمي ج٢ ص٣٦١ والتفسير الصافي ج٥ ص١٦١ وج٧ ص١٦٥ ونور الثقلين ج٥ ص١٩٩ وتفسير الميزان ج١٩ ص١٣٤ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٧ ص٢٦٦ وجامع البيان للطبري ج٢٨ ص٧٦ وتفسير القرآن العظيم ج٤ ص٣٧٠ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٢٨ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٢٤ وإمتاع الأسماع ج١ ص٣٥٢ وج١٣ ص٣٧٦ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٨٥٨ وعيون الأثر ج٢ ص١٨٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥٣٦ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص١١.

زاد أبو رافع: المقداد بن الأسود[١].

وغير ابن إسحاق، يقول: بعث علياً والمقداد[٢].

وفي رواية عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن علي: ذكر أبا مرثد، بدل المقداد[٣].

وفي الحلبية: بعث علياً «عليه السلام»، والزبير، وطلحة، والمقداد.

وقيل: بعث علياً، وعماراً، أو الزبير، وطلحة، والمقداد، وأبا مرثد.

ولا مانع من أن يكون «صلى الله عليه وآله» بعث الكل.

وبعض الرواة اقتصر على بعضهم[٤].

وزاد الطبرسي: عمر.

وكانوا كلهم فرساناً[٥].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢١٠ وج١٠ ص٦٤ وعيون الأثر ج٢ ص١٨٤ والسيرة الحلبية ج٣ ص٧٥ و (ط دار المعرفة) ص١١ والمحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز ج٥ ص٢٩٣ وتفسير القرطبي ج١٨ ص٥١.

(٢) عيون الأثر ج٢ ص١٨٤.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢١٠ وج١٠ ص٦٤ وعيون الأثر ج٢ ص١٨٤ والسيرة الحلبية ج٣ ص٧٥ و (ط دار المعرفة) ص١١ والمحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز لابن عطية الأندلسي ج٥ ص٢٩٣ وتفسير القرطبي ج١٨ ص٥١.

(٤) السيرة الحلبية ج٣ ص٧٥ و (ط دار المعرفة) ج٣ ص١١.

(٥) السيرة الحلبية ج٣ ص٧٥ و (ط دار المعرفة) ج٣ ص١١ وبحار الأنوار ج٢١ =

ولا حاجة إلى إرسال كل هؤلاء لأجل أخذ كتاب من امرأة، إلا إن كان قد أرسلهم في اتجاهات مختلفة للإطمئنان على عدم إفلاتها من بعض المنافذ والجهات.. والذي نراه أنه أرسل علياً «عليه السلام» ورجلاً آخر لعله الزبير. وربما أضاف إليهما ثالثاً.

ومهما يكن من أمر فقد قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أدرك امرأة قد كتب معها حاطب بكتاب إلى قريش، يحذرهم ما قد أجمعنا له (عليه) في أمرهم»[1].

ولفظ أبي رافع: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة معها كتاب». فخرجوا[2] ـ وفي لفظ: فخرجا ـ حتى إذا كان بالخليقة، خليقة بني

= ص٩٤ عن مجمع البيان ج٩ ص٢٦٩ و ٢٧٠ و (ط مؤسسة الأعلمي) ص٤٤٦ والمغازي للواقدي ج٢ ص٧٩٧ وتاريخ الخميس ج٢ ص٧٩ وعمدة القاري ج١٤ ص٢٥٥ و ج١٩ ص٢٢٩ وجوامع الجامع ج٣ ص٥٤٢ ونور الثقلين ج٥ ص٣٠٠ وتفسير الثعلبي ج٩ ص٢٩١ وأسباب نزول الآيات للواحدي ص٢٨٢ وتفسير القرطبي ج١٨ ص٥١ وتأويل الآيات لشرف الدين الحسيني ج٢ ص٦٨٣.

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢١٠ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٢٨ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٨٥٨ وعيون الأثر ج٢ ص١٨٤ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص١١.

(٢) صحيح البخاري (ط دار الفكر) ج٤ ص١٩ وج٦ ص٦٠ وصحيح مسلم (ط =

أحمد الخ..

وفي الحلبية: «فخذوه منها وخلوا سبيلها، فإن أبت فاضربوا عنقها»[1].

= دار الفكر) ج٧ ص١٦٨ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢١٠ ومسند أحمد ج١ ص٧٩ وسنن أبي داود ج١ ص٥٩٧ وسنن الترمذي ج٥ ص٨٢ والسنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص١٤٦ والسنن الكبرى للنسائي ج٦ ص٤٨٧ وراجع: بحار الأنوار ج٢١ ص٩٤ عن مجمع البيان ج٩ ص٢٦٩ و ٢٧٠ و (ط مؤسسة الأعلمي) ص٤٤٦ وتاريخ الخميس ج٢ ص٧٩ والأم للشافعي ج٤ ص٢٦٤ والمجموع للنووي ج١٩ ص٣٤٠ والمسند للشافعي ص٣١٦ وعمدة القاري ج١٤ ص٢٥٤ وج١٧ ص٢٧٣ وج١٩ ص٢٢٩ ومسند الحميدي ج١ ص٢٧ ومنتخب مسند عبد بن حميد ص٥٧ ومسند أبي يعلى ج١ ص٣١٦ وصحيح ابن حبان ج١٤ ص٤٢٤ ومعرفة السنن والآثار للبيهقي ج٧ ص١٠٢ وتخريج الأحاديث والآثار ج٣ ص٤٤٧ ونور الثقلين ج٥ ص٣٠١ وتفسير جامع البيان ج٢٨ ص٧٤ وأسباب نزول الآيات ص٢٨٣ وتفسير القرآن العظيم ج٤ ص٣٦٩ وأسد الغابة ج١ ص٣٦١ وتفسير البغوي ج٤ ص٣٢٨ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٥٢٥ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٢٤.

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٧٥ و (ط دار المعرفة) ص١١ وتفسير فرات ص١٨٣ و ١٨٤ وبحار الأنوار ج٢١ ص١٣٦ و ١٣٧ وتاريخ الخميس ج٢ ص٨٩ وراجع: تفسير الثعلبي ج٩ ص٢٩١ وأسباب نزول الآيات ص٢٨٢ وتفسير القرطبي ج١٨ ص٥١ ومطالب السؤول ص١٩٧ وكشف الغمة ج١ ص١٧٩.

وقال المفيد: فاستدعى أمير المؤمنين «عليه السلام» وقال له: «إن بعض أصحابي قد كتب إلى أهل مكة يخبرهم بخبرنا، وقد كنت سألت الله أن يعمي أخبارنا عليهم. والكتاب مع امرأة سوداء قد أخذت على غير الطريق، فخذ سيفك والحقها، وانتزع الكتاب منها، وخلها، وصر به إلي».

ثم استدعى الزبير بن العوام وقال له: «امض مع علي بن أبي طالب في هذا الوجه».

فمضيا، وأخذا على غير الطريق، فأدركا المرأة، فسبق إليها الزبير، فسألها عن الكتاب الذي معها فأنكرت، وحلفت: أنه لا شيء معها، وبكت.

فقال الزبير: ما أرى يا أبا الحسن معها كتاباً، فارجع بنا إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» نخبره ببراءة ساحتها.

فقال له أمير المؤمنين «عليه السلام»: يخبرني رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن معها كتاباً، ويأمرني بأخذه منها، وتقول أنت: إنه لا كتاب معها؟!!

ثم اخترط السيف، وتقدم إليها، فقال: أما والله لئن لم تخرجي الكتاب لأكشفنك، ثم لأضربن عنقك.

فقالت: إذا كان لابد من ذلك فأعرض يا ابن أبي طالب بوجهك عني، فأعرض بوجهه عنها، فكشفت قناعها، وأخرجت الكتاب من عقيصتها، فأخذه أمير المؤمنين «عليه السلام»، وصار به إلى النبي «صلى الله عليه وآله».

فأمر أن ينادى: «الصلاة جامعة»، فنودي في الناس، فاجتمعوا إلى المسجد حتى امتلأ بهم.

ثم صعد النبي «صلى الله عليه وآله» إلى المنبر، وأخذ الكتاب بيده وقال: «أيها الناس إني كنت سألت الله عز وجل أن يخفي أخبارنا عن قريش، وإن رجلاً منكم كتب إلى أهل مكة يخبرهم بخبرنا، فليقم صاحب الكتاب وإلا فضحه الوحي».

فلم يقم أحد، فأعاد رسول الله «صلى الله عليه وآله» مقالته ثانية، وقال: «ليقم صاحب الكتاب وإلا فضحه الوحي».

فقام حاطب بن أبي بلتعة، وهو يرعد كالسعفة في يوم الريح العاصف، فقال: أنا يا رسول الله صاحب الكتاب، وما أحدثت نفاقاً بعد إسلامي، ولا شكاً بعد يقيني.

فقال له النبي «صلى الله عليه وآله»: «فما الذي حملك على أن كتبت هذا الكتاب»؟!

قال: يا رسول الله، إن لي أهلاً بمكة، وليس لي بها عشيرة، فأشفقت أن تكون دائرة لهم علينا، فيكون كتابي هذا كفاً لهم عن أهلي، ويداً لي عندهم، ولم أفعل ذلك للشك في الدين.

فقام عمر بن الخطاب وقال: يا رسول الله مرني بقتله، فإنه منافق.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «إنه من أهل بدر. ولعل الله تعالى اطَّلع عليهم فغفر لهم. أخرجوه من المسجد».

قال: فجعل الناس يدفعون في ظهره حتى أخرجوه، وهو يلتفت إلى النبي «صلى الله عليه وآله» ليرق عليه، فأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» بردِّه، وقال له: «قد عفوت عنك وعن جرمك، فاستغفر ربك، ولا تعد لمثل

ما جنيت»[١].

وفي نص آخر: «فخرج علي والزبير، لا يلقيان أحداً حتى وردا ذا الحليفة، وكان النبي «صلى الله عليه وآله» وضع حرساً على المدينة. وكان على الحرس حارثة بن النعمان، فأتيا الحرس فسألاهم، فقالوا: ما مر بنا أحد.

ثم استقبلا حطَّاباً فسألاه، فقال: رأيت امرأة سوداء انحدرت من الحرة، فأدركاها فأخذ علي منها الكتاب، وردها إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فدعا حاطباً، فقال له: انظر ما صنعت..

قال: أما والله، إني لمؤمن الخ..[٢].

وقال ابن عقبة: أدركاها ببطن ريم، فاستنزلاها فحلفت، فالتمساه في رحلها، فلم يجدا شيئاً، فهموا بالرجوع، فقال لها علي بن أبي طالب «عليه السلام»: إني أحلف بالله ما كذب رسول الله «صلى الله عليه وآله» وما كذبنا، ولتخرجن لنا هذا الكتاب أو لنكشفنك.

وعند القمي: ما كذبنا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولا كذب رسول الله «صلى الله عليه وآله» على جبرئيل، ثم ولا كذب جبرئيل عن الله جل ثناؤه، والله لتظهرن الكتاب أو لأوردن رأسك إلى رسول الله «صلى الله

---

(١) بحار الأنوار ج٢١ ص١١٩ ـ ١٢١ وص١٢٥ و ١٢٦ عن الإرشاد للمفيد ج١ ص٥٦ ـ ٥٩ وراجع: إعلام الورى ج١ ص٣٨٤ وأعيان الشيعة ج١ ص٤٠٨.

(٢) بحار الأنوار ج٢١ ص١٢٥ عن إعلام الورى ج١ ص٢١٦.

عليه وآله» الخ..[١].

(زاد في الحلبية: أو أضرب عنقك)[٢].

وفي مجمع البيان: وسل سيفه وقال: «أخرجي الكتاب، وإلا والله لأضربن عنقك»[٣].

فلما رأت الجد، قالت: أعرضا. فحلت قرون رأسها، فاستخرجت الكتاب منها، فدفعته إليه.

فخلوا سبيلها، ولم يتعرضوا لها ولا لما معها، فأتي به رسول الله «صلى الله عليه وآله» فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فدعا حاطباً، فقال: يا حاطب، ما حملك على هذا؟!

---

(١) بحار الأنوار ج٢١ ص١١٢ وج٧٢ ص٣٨٨ وتفسير القمي ج٢ ص٣٦١ والتفسير الصافي ج٥ ص١٦١ وج٧ ص١٦٥ ونور الثقلين ج٥ ص٢٩٩ وتفسير الميزان ج١٩ ص٢٣٤.

(٢) السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص١١.

(٣) مجمع البيان (ط مؤسسة الأعلمي) ج٩ ص٤٤٦ وبحار الأنوار ج٢١ ص٩٤ وج٤١ ص٨ ونور الثقلين ج٥ ص٣٠١ وتأويل الآيات لشرف الدين الحسيني ج٣ ص٦٨٣ وعين العبرة في غبن العترة لأحمد بن طاووس ص٢٧ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص٤٠٥ وتاريخ الخميس ج٢ ص٧٩ والإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» لأحمد الرحماني الهمداني ص٧٧٧.

قال: يا رسول الله. إني والله لمؤمن بالله ورسوله، ما غيرت، ولا بدلت، ولكني كنت امرءاً ليس لي في القوم من أصل ولا عشيرة، وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل، فصانعتهم عليهم(١).

وفي نص آخر: أنها أخرجت الكتاب من حجزتها، والحجزة معقد الإزار والسراويل(٢).

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢١٠ وراجع: السيرة الحلبية ج٣ ص٧٥ و (ط دار المعرفة) ص١٢ وبحار الأنوار ج٢١ ص٩٤ و ١١٢ و ١٣٦ و ١٣٧ ومجمع البيان ج٩ ص٢٦٩ و ٢٧٠ وتفسير فرات ص١٨٣ و ١٨٤ وراجع: المغازي للواقدي ج٢ ص٧٩٧ و ٧٩٨ وتاريخ الخميس ج٢ ص٧٩ وتفسير القرآن العظيم ج٤ ص٣٧٠ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٢٨ والكامل في التاريخ ج٢ ص٢٤٢ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٢٤ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٨٥٨ وعيون الأثر ج٢ ص١٨٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥٣٧.

(٢) السيرة الحلبية ج٣ ص٧٥ و (ط دار المعرفة) ص١١ وراجع: الخرائج والجرائح ج١ ص٦٠ وبحار الأنوار ج١٨ ص١١٠ وصحيح البخاري ج٤ ص٣٩ ومجمع الزوائد ج٦ ص١٣٦ وعمدة القاري ج١٤ ص٢٥٥ وج١٥ ص١١ و ١٢ وتحفة الأحوذي ج٩ ص١٤١ ومسند بن أبي يعلى ج١ ص٣٢٠ وتخريج الأحاديث ج٣ ص٤٤٩ و ٤٥١ وكنز العمال ج١٠ ص٥٢٣ وجامع البيان ج٢٨ ص٧٦ وأحكام القرآن لابن العربي ج٤ ص٢٢٤ والمحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز لابن عطية الأندلسي ج٥ ص٢٩٣ وتفسير القرطبي ج١٨=

ونقول:

ما نريد التعرض له هنا هو ما يرتبط بعلي أمير المؤمنين «عليه السلام»، ونحيل القارئ إن أراد التوسع إلى الجزء الحادي والعشرين من كتابنا: الصحيح من سيرة النبي «صلى الله عليه وآله»، فلاحظ ما يلي:

علي الأمير:

يلاحظ: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد كلف علياً «عليه السلام» بالمهمة أولاً، ثم طلب الزبير، فلما حضره أمره أن يلتحق بعلي «عليه السلام».

فدل ذلك على أن الأمير هو علي «عليه السلام» والزبير، وكذلك غيره كان تابعاً له.

يقين علي عليه السلام وريب غيره:

أظهرت النصوص المتقدمة أن الفضل في كشف الرسالة لدى حاملتها كان لعلي «عليه السلام» وحده.

أما الآخرون، فقبلوا منها، وأرادوا تخلية سبيلها، بل حكم الزبير ببراءتها. وهذا خطأ من جهات:

= ص٥١ والتسهيل لعلوم التنزيل للغرناطي الكلبي ج٤ ص١١٢ وتفسير القرآن العظيم ج٤ ص٣٧٠ وإمتاع الأسماع ج٩ ص١٢٣ وج١٣ ص٣٧٦ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٨٠.

أولاها: إن ذلك كشف عن أن قول رسول الله «صلى الله عليه وآله» لم يوجب للزبير وأضرابه اليقين الكافي بوجود الرسالة معها.. بل هم قد صدقوها، أو حكموا ببراءتها، ولزوم إخلاء سبيلها..

وتصديقها معناه تكذيب رسول الله «صلى الله عليه وآله».. وواجب النصيحة لرسول الله يفرض عدم إطلاق سراح المرأة، بل أن يحتفظوا بها، ويراجعوه في أمرها، حتى لو فتشوها ولم يجدوا عندها شيئاً..

ثانيها: إنهم لم يراعوا حتى أبسط القواعد في المهمة التي أوكلت إليهم، فإن تصرفات تلك المرأة، وأحوالها تشي بلزوم الريبة في أمرها، فإنها قد تركت الطرقات السهلة، التي اعتاد الناس سلوكها، واختارت السير في القفار والشعاب فترة طويلة، ثم عادت إلى الطريق في العقيق، فأخذوها هناك، ولا يسلك تلك المسالك إلا هارب، أو خائف من انكشاف أمر خطير يخفيه معه، ويريد أن ينفذ به إلى بلاد أخرى..

ثالثها: إنهم لم يستقصوا تفتيشها ليحكموا ببراءتها.. ولو حصل ذلك لم يكن معنى لتهديد علي «عليه السلام» لها.. مع قيام احتمال أن تكون قد أخفته أو رمته بصورة خفية في مكان قريب حين أحست بالخطر، لتعود إليه وتأخذه من ذلك الموضع بعد أن تأمن الطلب والرقباء..

رابعها: بالنسبة لتهديد علي «عليه السلام» بكشفها أو بتجريدها نقول:

إن هذا التهديد منه «عليه السلام» يهدف إلى تلافي الكشف والتجريد. ولو فرض أنها أصرت على الإنكار، فإن تجريدها وكشفها يمكن أن يتم بواسطة امرأة مثلها، وليس بالضرورة أن يتولى ذلك الرجال، ولو فرض

عدم وجود نساء ـ وهو فرض غير واقعي ـ فإنها تكون هي التي أسقطت حرمة نفسها.. ويصبح الحفاظ على الدين وأهله، وصيانته من كيد المدسوسين والجواسيس أهم عند الله من كشف رأس امرأة تتعمد الإيقاع بالإسلام وأهله.

ألا يكفي إرسال علي عليه السلام وحده؟!:

وعن سؤال:

ألم يكن يكفي أن يرسل «صلى الله عليه وآله» علياً وحده لأخذ الكتاب من تلك المرأة؟!.

ونجيب:

قد تكون هناك عدة أسباب اقتضت إشراك البعض في هذا الأمر:

أولاً: أن الأمر لا يقتصر على إرادة الحصول على الرسالة، ومنعها من الوصول إلى قريش، بل هو يريد أن يثير جواً يشعر الناس بمدى خطورة تصرف كهذا، وأن عواقب تسريب أية معلومة عن تحركات النبي «صلى الله عليه وآله» ستكون بالغة الخطورة والقسوة على من تسول له نفسه الدخول في هذه المخاطرة..

فكان أن اختار «صلى الله عليه وآله» لهذه المهمة أشخاصاً من فئات شتى، ولهم توجهات وارتباطات، وأهواء مختلفة ليشيع هذا الأمر في كل اتجاه، ويكون حديث كل ناد وبيت، وليأخذ الجميع منه العبرة على أتم وأبلغ وجه..

ثانياً: إن إرسال هؤلاء جميعاً، وفشلهم في تحقيق الغرض المطلوب

وظهور ضعف نفوسهم، حتى أمام امرأة لا حول لها ولا قوة، في حالات السلم كما في الحرب ـ إن ذلك ـ كان مطلوباً من أجل تعريف الناس بفضل أهل الفضل، فإن لهذه المهمات أهلها، فلا يصح إيكالها إلى أي كان من الناس.. بل لا بد من التبصر والتدقيق البالغ في مواقف كهذه.

ثالثاً: إن ما حصل قد أفهم الجميع بأن عليهم أن يتلمسوا مدى التفاوت بين علي عليه السلام، وبين سائر من شارك في هذا الأمر.. فلا يقاس أحد منهم به وبما له من معرفة، ووعي ويقين، وصحة تدبير، وكيفية نظرته للوحي الكريم وللنبي العظيم، وتعامله مع أوامره، واخباراته، وسائر ما يصدر عنه..

وأن ما يدعيه الآخرون لأنفسهم، أو ما يدعيه الناس لهم، من مقامات وبطولات، وخصائص وميزات، وجهاد وتضحيات، ما هو إلا زيف خادع، وسراب لامع..

وحسبهم أنهم خالفوا أمر النبي «صلى الله عليه وآله» لهم حين قال: خذوه منها، وخلوا سبيلها، فإن أبت فاضربوا عنقها..

إن أبت فاضربوا عنقها:

وبعد ما تقدم نقول:

ألف: قوله «صلى الله عليه وآله»: فإن أبت فاضربوا عنقها، يدل:

أولاً: على عمق يقين النبي «صلى الله عليه وآله» بأمر الرسالة، يجعل من تخلية سبيل تلك المرأة عصياناً لهذا الأمر الصادر عنه «صلى الله عليه

وآله» بقتلها..

ثانياً: إن هذه الكلمة تدلنا على حكم من يفشي سر المسلمين، ويصر على التآمر عليهم، فإن حكمه القتل، حتى لو كان امرأة.

ثالثاً: إن قتلها يجعل إيصال الكتاب إلى المشركين متعذراً، لأن الكتاب إن كان معها، فقد قتلت، وإن كانت قد خبأته في مكان، فلم يعد هناك من يدل عليه.

أما بالنسبة لتخلية سبيلها بعد أخذ الكتاب منها، فهو حكم إرفاقي، وإحسان بالغ لها، لأن الكتاب أخذ منها رغماً عنها، وبعد التهديد بالقتل.

ب: إنه «صلى الله عليه وآله» لو أمرهم بالإتيان بها ـ ولم يأمر بضرب عنقها ، لوجدنا الكثيرين يأتون بها ـ لأن ذلك لا يضرهم، لا عند قريش، ولا عند غيرها.. ولكنه حين أمرهم بضرب عنقها فـ:

أولاً: إن الكثيرين قد لا ينصاعون لهذا الأمر النبوي..

ثانياً: إن ذلك قد يمنع من انكشاف أمر هؤلاء الذين صدقوا المرأة، وكذبوا النبي «صلى الله عليه وآله».

ثالثاً: إنه قد لا ينكشف كذب المرأة إذا كانت قد خبأت الكتاب في موضع، حين أحست بالطلب والملاحقة.. بل قد يظهر: أنها مظلومة.. وأن النبي «صلى الله عليه وآله» غير دقيق فيما يصدره من أوامر، أو يطلقه من اتهامات..

ج: ويظهر مما تقدم: الحكمة في أنه «صلى الله عليه وآله» أمرهم أن يأتوه بالكتاب لا بالمرأة. فلم يعد يمكنهم الإتيان بالمرأة دون الكتاب..

التهديد بالقتل:

ولا يصح قولهم: إن المتهم لا يهدد بالقتل، فإن هذه المرأة لم تعد متهمة، بل أصبحت مدانة، لأن الوحي الإلهي هو الذي فضحها وكشف أمرها..

ولو استمرت على إنكارها، لكان يجب قتلها..

أولاً: لأن النبي «صلى الله عليه وآله» أمر بقتلها، إن أصرت على عدم تسليم الكتاب، لأن ذلك بمثابة:

ألف: الإصرار على محاربة الله ورسوله، والعمل على إطفاء نور الله تعالى..

ب: تكذيب الوحي الإلهي، والارتداد عن الإسلام من دون أن تحصل توبة أو تراجع.

ثانياً: لأن تركها يؤدي إلى إيصال الرسالة إلى الأعداء، وقد يترتب على ذلك متاعب كبرى، وخسائر بشرية بين المسلمين في حربهم، وربما يؤدي إلى العرقلة والتأخير في حسم الأمور مع الأعداء. بالإضافة إلى سلبيات أخرى، قد لا يمكن تحاشيها أو تلافيها.

ردها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله:

وتذكر النصوص: أن علياً «عليه السلام» لم يخل سبيلها، بل جاء بها إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله».. ولعله «عليه السلام» أراد أن يؤخر مسيرها إلى مكة بعض الشيء، حتى يتمكن المسلمون من تحقيق الغرض.. لأن وصولها قبل ذلك يمكنها من إخبار قريش بأن النبي «صلى الله عليه

وآله» بصدد المسير إليهم.. أو أنها تظن أو تحتمل ذلك..

فيكون مراده بإطلاق سراحها هو عدم المبادرة إلى قتلها، ثم يطلق سراحها في الوقت المناسب.

الذي جرأ علياً عليه السلام على الدماء:

روى البخاري في صحيحه، قال: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا أبو عوانة عن حصين، عن فلان، قال:

تنازع أبو عبد الرحمن وحبان بن عطية، فقال أبو عبد الرحمن لحبان: لقد علمت الذي جرأ صاحبك على الدماء، يعني علياً.

قال: ما هو؟! لا أبا لك.

قال: شيء سمعته يقوله.

قال: ما هو؟!

قال: بعثني رسول الله «صلى الله عليه وآله» والزبير، وأبا مرثد، وكلنا فارس.

قال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ. فإن فيها امرأة معها صحيفة من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين فأتوني بها.

فانطلقنا على أفراسنا حتى أدركناها حيث قال لنا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، تسير على بعير لها. ثم ذكرت الرواية أنهم سألوها عن الكتاب فأنكرته، قال:

فأنخنا بها بعيرها، فابتغينا في رحلها، فما وجدنا شيئاً، فقال صاحبي:

ما نرى معها كتاباً.

فقلت: لقد علمنا ما كذب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ثم حلف علي: والذي يحلف به، لتخرجن الكتاب أو لأجردنك.

ثم ذكرت الرواية: إن المرأة أخرجت لهم الكتاب من حجزتها، فأتوا به رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال عمر: يا رسول الله، قد خان الله، ورسوله، والمؤمنين، دعني فأضرب عنقه.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: يا حاطب، ما حملك على ما صنعت؟!

قال: يا رسول الله، ما لي أن لا أكون مؤمناً بالله ورسوله، ولكني أردت أن يكون لي عند القوم يد يدفع بها عن أهلي ومالي. وليس من أصحابك أحد إلا له هنالك من قومه من يدفع الله به عن أهله وماله.

قال: صدق. لا تقولوا إلا خيراً.

قال: فعاد عمر، فقال: يا رسول الله، قد خان الله ورسوله والمؤمنين، دعني فلأضرب عنقه.

قال: أوليس من أهل بدر؟! وما يدريك لعل الله اطَّلع عليهم، فقال: اعملوا ما شئتم فقد أوجبت لكم الجنة؟!

فاغرورقت عيناه، فقال: الله ورسوله أعلم(١).

---

(١) بحار الأنوار ج٣٠ ص٥٧٧ وصحيح البخاري (ط دار الفكر) ج٨ ص٥٥ وعمدة القاري ج٢٤ ص٩٣ وإمتاع الأسماع ج١٣ ص٣٧٨.

ونقول:

أولاً: إن علياً «عليه السلام» لم يكن هو المبادر لحرب الجمل وصفين والنهروان، ليقال: إنه «عليه السلام» تجرأ على الدماء، بل كانوا هم الذين بغوا عليه وقاتلوه..

ثانياً: إن أبا بكر قد حارب المسلمين الذين لم يبايعوه، ولم يعطوه زكاة أموالهم، وأصروا على تفريقها في فقرائهم(١).

وقتل أيضاً: مالك بن نويرة بيد خالد بن الوليد، ووفر له أبو بكر الغطاء والحماية التامة، رغم أنه زنى بإمرأته في نفس الليلة التي تلت قتله، وستأتي هذه القضية مع مصادرها إن شاء الله.

فلماذا لا يقال: إن أبا بكر قد تجرأ على الدماء؟!

ثالثاً: إذا كان علي «عليه السلام» قد تجرأ على الدماء، لمجرد تهديده لتلك المرأة بالقتل، فإن المتجرئ الحقيقي هو رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لأنه هو الذي أمره بقتلها إن امتنعت عن إعطائهم الرسالة..

وإذا كان علي «عليه السلام» متجرئاً، لأنه من أهل بدر، ولعل الله اطلع على أهل بدر فقال: افعلوا ما شئتم، فإن ذلك لا يختص بعلي «عليه السلام»، بل يشمل كل من حضر بدراً. ومنهم: طلحة والزبير وعمر وأبو بكر . فلماذا لا يقال: إن الجرأة على الدماء كانت منهم؟!

---

(١) المصنف للصنعاني ج٤ ص٤٣ وج٦ ص٦٧ وج١٠ ص١٧٢ ومسند أحمد ج١ ص٣٥.

رابعاً: إن عمر بن الخطاب هو الذي تجرأ على الدماء حين قال لرسول الله «صلى الله عليه وآله» عن حاطب: مرني بقتله.. وقد طلب هذا الطلب من رسول الله «صلى الله عليه وآله» مرات كثيرة في العديد من المناسبات.

خامساً: إن علياً «عليه السلام» كان يدافع عن نفسه، ويدفع الناكثين والباغين عليه وعلى الدين وأهل الدين، فهم المتجرؤون على الدماء، وعلى معصية رب الأرض والسماء..

علي عليه السلام وأبو سفيان بن الحارث:

ويقولون: إن أبا سفيان بن الحارث قدم على النبي «صلى الله عليه وآله»، فلقيه بالأبواء، أو بنبق العقاب وهو في طريقه لفتح مكة. وكان أخا النبي «صلى الله عليه وآله» من الرضاعة، فإن حليمة أرضعته أياماً، فالتمس الدخول على النبي «صلى الله عليه وآله»، فأعرض عنه.

وقيل: إن علياً «عليه السلام» قال لأبي سفيان هنا: ائت رسول الله «صلى الله عليه وآله» من قبل وجهه، فقل له ما قال إخوة يوسف ليوسف: ﴿..**تَاللهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ**﴾؛ فإنه «صلى الله عليه وآله» لا يرضى بأن يكون أحد أحسن قولاً منه، ففعل.

فقال «صلى الله عليه وآله»: ﴿**لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾(١).

(١) الآيتان ٩١ و ٩٢ من سورة يوسف.

وكان أبو سفيان قد عادى النبي «صلى الله عليه وآله» نحو عشرين سنة، يهجوه، ولم يتخلف عن قتاله[١].

وثمة نص آخر يقول: إن علياً «عليه السلام» رفض أن يتوسط له عند النبي، كما رفض العباس:

ونقول:

إن لنا هنا ملاحظات، هي التالية:

١ ـ إن توسط العباس لأبي سفيان بن الحارث موضع ريب، لأن ثمة رواية عن الإمام الباقر «عليه السلام» تصرح: بأن العباس كان من الطلقاء[٢]. وهي رواية صحيحة[٣]..

٢ ـ إن ثمة تناقضاً في موضوع وساطة العباس لأبي سفيان بن الحارث

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٧٧ و (ط دار المعرفة) ص١٤ وإمتاع الأسماع ج١ ص٣٥٦.

(٢) الكافي (مطبعة النجف سنة ١٣٨٥ هـ) ج٨ ص١٦٥ و (ط دار الكتب الإسلامية) ص١٨٩ الحديث رقم ٢١٦ وبحار الأنوار ج٢٨ ص٢٥١ ومعجم رجال الحديث ج١٠ ص٢٥٢ ومجمع النورين للمرندي ص٨٩ وبيت الأحزان ص١٢٨ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ للريشهري ج٣ ص٦٥ وعقيل بن أبي طالب للأحمدي الميانجي ص٧٨.

(٣) راجع المصادر في الهامش السابق، وراجع: معجم رجال الحديث ج٩ ص٢٣٥.

ففي بعضها أنه توسط له[١].

وفي البعض الآخر: أنه رفض التوسط له[٢].

٣ ـ إن أبا سفيان بن الحارث إن كان قد جاء ليسلم تائباً، فلماذا لا يقبل النبي «صلى الله عليه وآله» توبته؟! فالإسلام يَجُبُّ ما قبله، وقد قال تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾[٣].

٤ ـ هل صنع النبي «صلى الله عليه وآله» بأبي سفيان بن حرب مثل ما صنع بأبي سفيان بن الحارث؟!

إلا إذا كان قد ظهر من حال هذا الرجل أنه راغب في حقن دم نفسه، وإصلاح علاقته بالنبي «صلى الله عليه وآله» كشخص، لا أنه يريد الدخول في هذا الدين..

وقد ظهر من كلامه: أنه إنما خرج إلى النبي «صلى الله عليه وآله» خوفاً من القتل، بعد أن أهدر النبي «صلى الله عليه وآله» دمه، وقد ضاقت عليه الدنيا ولم يعد يجد أحداً يصحبه، بعد أن ضرب الإسلام بجرانه[٤]. فأظهر

---

(١) مناقب آل أبي طالب ج١ ص١٧٨ وإعلام الورى ج١ ص٢١٩ وبحار الأنوار ج٢١ ص١٢٧ و١٢٨ ومستدرك سفينة البحار ج٨ ص١٠١.

(٢) قاموس الرجال ج٥ ص٢٣٧ عن أنساب الأشراف وكتاب التوابين ص١١٣ و١١٤.

(٣) الآية ٦٤ من سورة النساء.

(٤) راجع: قاموس الرجال ج٥ ص٢٣٧ وكتاب التوابين ص١١٣ و١١٤.

«صلى الله عليه وآله» أن العقدة لا تنحل باسترضاء شخص النبي «صلى الله عليه وآله»، بل هي تنحل بالتخلي عن العناد والإستكبار والجحود والعودة إلى الله تبارك وتعالى، فإن المسألة ليست من المسائل الشخصية. بل هي مسألة الحق والباطل، والإيمان والكفر، والتسليم والجحود.

ويشهد لما نقول: أنه حين استشار علياً «عليه السلام»، فأشار عليه بأن يقول للنبي «صلى الله عليه وآله»: ﴿**تَاللهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ**﴾(١) ففعل، فاستجاب له النبي «صلى الله عليه وآله»، وأنعم له بالرضا.

ونقول:

إن هذه المبادرة تعني أمرين:

أحدهما: الإعتراف منه بالخطأ في اختيار خط الشرك والكفر، لا الإعتراف بمجرد الخطأ في الممارسة تجاه شخصٍ بعينه..

الثاني: الإعتراف للنبي «صلى الله عليه وآله» بالنبوة، وبأن الله قد آثره بها عليهم..

وهذا هو الذي يصلح ما أفسده، ويعيد الأمور إلى نصابها الصحيح..

---

(١) الآية ٩١ من سورة يوسف.

الفصل الثاني:

فتح مكة وتحطيم الأصنام..

اللواء في فتح مكة:

ولا حاجة إلى التذكير بأن اللواء الأعظم والراية العظمى كانت في جميع المشاهد ومنها فتح مكة مع علي «عليه السلام»..

ولكنه «صلى الله عليه وآله» أعطى رايات وألوية أخرى بعناوين مختلفة لكل بطن من بطون الأنصار، وغيرهم مع المهاجرين أيضاً، ومنهم سعد بن عبادة، فزعموا أن سعداً كانت معه راية رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فلما رأى سعد أبا سفيان قال: اليوم يوم الملحمة، اليوم تسبى (أو تستحل الحرمة).

فسمعها عمر، فأخبر بها رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال لعلي «عليه السلام»: أدركه، وخذ الراية، وكن أنت الذي تدخل بها[1].

وفي نص آخر: أنه أرسل إلى سعد، فنزع منه اللواء، وجعله إلى ابنه قيس[2].

---

(١) تاريخ الخميس ج٢ ص٨٢.

(٢) السيرة الحلبية ج٣ ص٨٢ و (ط دار المعرفة) ج٣ ص٢٢ والمغازي للواقدي ج٢ ص٨٢٢ والإستيعاب (ط دار الجيل) ج٢ ص٥٩٨ وكنز العمال ج١٠ ص٥١٣ وتاريخ مدينة =

وفي نص رابع يقول: إن أبا سفيان هو الذي أخبر النبي «صلى الله عليه وآله» بما يقوله سعد، فقال «صلى الله عليه وآله» لعلي «عليه السلام»: أدركه، فخذ الراية منه، وكن أنت الذي يدخل بها، وأدخلها إدخالاً رفيقاً.

فأخذها علي «عليه السلام»، وأدخلها كما أمر(١).

زاد في نص آخر قوله: فذهب بها إلى مكة، فغرزها عند الركن(٢).

وروي: أن الزبير هو الذي أخذها من سعد(٣).

= دمشق ج٢٣ ص٤٥٤ وإمتاع الأسماع ج١ ص٣٨٢ وعيون الأثر ج٢ ص١٩١ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٢٢ وراجع: تاريخ الخميس ج٢ ص٨٢ والغدير ج٢ ص٧٥ وفتح الباري ج٨ ص٧ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٧ ص٢٧٢.

(١) مجمع البيان ج١٠ ص٥٥٧ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج١٠ ص٤٧٢ وبحار الأنوار ج٢١ ص١٠٥ و١٣٠ والإرشاد للمفيد ج١ ص١٣٥ ونور الثقلين ج٥ ص٦٩٦ وتفسير الميزان ج٢٠ ص٣٨٢.

(٢) المغازي للواقدي ج٢ ص٨٢٢ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٢٢ والإستيعاب (ط دار الجيل) ج٢ ص٥٩٩ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٧ ص٢٧٢.

(٣) راجع: فتح الباري ج٨ ص٧ وعمدة القاري ج١٧ ص٢٨٠ والدرر لابن عبد البر ص٢١٨ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج٤ ص٣٣٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥٥٩ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٢٢ والإستيعاب (ط دار الجيل) ج٣ ص١٢٨٩ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٨ ص٧٤ وخلاصة عبقات الأنوار ج٨ ص٣٣٠.

ونقول:

إننا نسجل ما يلي:

الراية واللواء:

لاحظنا آنفاً، وسيمر معنا أيضاً تعابير بكلمة «لواء» تارة و «راية» أخرى عن شيء واحد، وهذا يشير إلى عدم الفرق بين اللواء والراية..

ولكن بعض الروايات أشارت إلى أن أحدهما أكبر من الآخر. وقد تحدثنا عن هذا الأمر أكثر من مرة، فلا حاجة إلى التكرار.

الراية للزبير، أم لعلي عليه السلام؟!:

بالنسبة لقولهم: إنه «صلى الله عليه وآله» أخذ الراية من سعد، وأعطاها للزبير، نقول: إنها رواية زبيرية.. رواها الزبير نفسه، ليجر بها النار إلى قرصه، وروجها له الزبيريون أيضاً..

ونحن نستبعد أن يكون «صلى الله عليه وآله» قد كلف الزبير بمهمة أخذ الراية من سعد، فقد عرفنا أن الزبير لم يكن على يقين من صدق النبي «صلى الله عليه وآله» حين أخبر بحمل تلك المرأة رسالة حاطب بن أبي بلتعة إلى المكيين، وحكم ببراءتها، وطلب من علي «عليه السلام» إطلاق سراحها كما تقدم، فكيف يكلفه «صلى الله عليه وآله» بأخذ الراية من سعد، وهي مهمة حساسة قد يؤدي أدنى سوء تصرف فيها إلى تعقيدات لم يكن من المصلحة ظهورها، خصوصاً في تلك اللحظات الحساسة؟!

فلا بد من تكليف رجل حكيم بصير، يحسن التصرف، ويطمئن «صلى

الله عليه وآله» إلى أنه يحل الإشكال، ولا يزيده تعقيداً، ولا يجتهد في اتخاذ قرارات تخالف أوامر الرسول «صلى الله عليه وآله» وتضيع أهدافه..

لماذا علي عليه السلام؟!:

وقد اختار رسول الله «صلى الله عليه وآله» علياً «عليه السلام» ليكون هو الذي يأخذ الراية من سعد.

أولاً: لأن علياً «عليه السلام» هو الذي يمثل النبي «صلى الله عليه وآله»، ويبلغ عنه.. وينطق باسمه، وأقرب الناس إليه.. فلا مجال للشبهة وللشك فيما يؤديه عنه..

ولو أن أي إنسان آخر جاء إلى سعد، وهو سيد الخزرج، وطلب الراية منه، فربما تحمل الحمية، والحساسيات القبلية سعداً إلى تكذيب ذلك الشخص، ولا سيما إذا أحس سعد بأن ثمة درجة من التحدي له، أو الإستهانة به، والمساس بكبريائه في ذلك..

ولا يؤمن بعد هذا من تطور الأمور، وتعصب قوم سعد لسعد، وسيجد الآخر من قومه، أو من فريقه من يتعصب له.. وهذا ما لا يريده رسول الله «صلى الله عليه وآله» أصلاً، ولا سيما في هذا الظرف الحساس بالذات.

ثانياً: إن حكمة علي «عليه السلام» وحسن تصرفه، يمنع الكثير من ردات الفعل المحتملة، ويجعلها بلا مبرر.. لأنه «عليه السلام» لا بد أن يفهم سعداً أن الأمر ليس فيه إهانة ولا إذلال، وإنما هو مجرد تدبير اقتضته المصلحة العامة، ولأجل تسهيل الأمور، وبلوغ الأهداف، بمراعات

توقعات قريش وبعض الإعتبارات التي ترتبط بموقع علي «عليه السلام» منها. وبغير ذلك من أمور.

ثالثاً: إن الراية حين تؤخذ بواسطة من هو دون سعد في المقام، أو في الشجاعة والإقدام، فإن ذلك يثير الشكوك حول سعد، ويذكي احتمال أن يكون قد صدر من سعد ما يشين، أو وقع في خطيئة، أو رذيلة أوجبت عقوبته بهذه الطريقة..

أما إذا أخذ الراية من هو أعظم من سعد أثراً، وأشد خطراً على الأعداء، باعتراف الناس كلهم، فإن الجميع سيشعر أن ذلك تدبير حربي جاء وفق الحكمة، وأنه لا بد منه ولا محيد عنه، وهو يهدف إلى تخويف المشركين من سطوة علي «عليه السلام»، وهزيمتهم روحياً بذلك.. لأن المشركين لا يخشون غير علي «عليه السلام» في ساحات النزال والقتال..

إدخال الراية برفق:

وقد ذكر النص المتقدم: أنه «صلى الله عليه وآله» طلب من علي «عليه السلام» أن يدخل الراية إلى مكة إدخالاً رفيقاً.. أي أن المطلوب هو أن يكبت الله المشركين، ويكسر شوكتهم، ويسقط مقاومتهم، بأن يعرفوا أنها مقاومة لا فائدة منها.. ولكن من دون أن يشعروا: أن أبواب الحياة موصدة، وأن لا خيار أمامهم سوى الموت.

بل المطلوب هو فتح باب الأمل أمامهم، بإمكان العيش مع المسلمين، إذا تخلت قريش عن الحرب والمنابذة والجحود.. وأن معاملتهم لهم لن يكون فيها خشونة، ولا عنجهية، واستكبار، رغم كل ما ألحقه المشركون

بهم من أذى.. فلماذا يختارون طريق المنابذة التي لا تجر عليهم سوى البلاء والبوار، والخراب والدمار؟!..

وها هم يلمسون هذا الرفق، لدى المسلمين منذ اللحظة الأولى، ممن ذاقوا طعم ذباب سيفه طيلة سنين..

والإنسان يميل بطبعه إلى الراحة، والسلامة.. فلماذا يصرون على ما فيه تعب وشقاء، وجهد وبلاء؟!..

فهذا الحزم والحسم إذا رافقه ذلك الرفق واللين، فهو رفق القوي، الحازم، الذي لم يكن رفقه قراراً فرضته الإستجابة لضرورات الضعف، والتغلب على المشكلات، بل هو رفق نابع من عمق ذاته، وهو مقتضى طبعه، وليس رفق المصلحة الذي يمكن أن يتحول إلى قسوة وشراسة، إذا اختلفت الظروف، وتبدلت المصالح..

إعطاء الراية لقيس بن سعد..:

وقد ذكرت النصوص: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أخذ الراية من سعد، وأعطاها لولده قيس..

ونحن لا نرى في هذا ما يتناقض مع ما تقدم من إعطائها لعلي «عليه السلام».. إذ يمكن أن تكون مهمة علي «عليه السلام» تنتهي حين إيصاله الراية إلى الركن، وغرزها عنده.. ثم تكون بعد ذلك لقيس بن سعد بن عبادة، باعتبار أنها إذا اعطيت لابن سعد، فكأنها لم تخرج عن سعد نفسه، لأن ولده منه..

ولو أنه «عليه السلام» أخذ الراية من سعد، وأعطاها لقيس مباشرة، لفهم ذلك على أنه إجراء بحق سعد، ولكنه حين أخذ منها، وحملها حتى غرزها عند الركن، ظهر أن المطلوب هو حمل الثلاثة: علي، وسعد، وقيس لها بهذا المقدار الذي تحقق.

علي عليه السلام وأم هاني يوم الفتح:

ويقولون: بلغ علياً «عليه السلام»: أن أم هاني بنت أبي طالب آوت ناساً من بني مخزوم، منهم: الحارث بن هشام، وقيس بن السائب، (وعند الواقدي: عبد الله بن ربيعة)، فقصد «عليه السلام» نحو دارها مقنَّعاً بالحديد، فنادى: «أخرجوا من آويتم».

فجعلوا يذرقون كما تذرق الحبارى، خوفاً منه.

فخرجت إليه أم هانئ ـ وهي لا تعرفه ـ فقالت: يا عبد الله، أنا أم هانئ، بنت عمِّ رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأخت علي بن أبي طالب، إنصرف عن داري.

فقال أمير المؤمنين «عليه السلام»: «أخرجوهم».

فقالت: والله لأشكونَّك إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فنزع المغفر عن رأسه، فعرفته، فجاءت تشتد حتى التزمته، وقالت: فديتك، حلفت لأشكونك إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فقال لها: «إذهبي، فبري قسمك، فإنه بأعلى الوادي».

قالت أم هانئ: فجئت إلى النبي «صلى الله عليه وآله» وهو في قبة

يغتسل، وفاطمة «عليها السلام» تستره، فلما سمع رسول الله «صلى الله عليه وآله» كلامي، قال: «مرحباً بك يا أم هانئ وأهلاً».

قلت: بأبي أنت وأمي، أشكو إليك ما لقيت من علي «عليه السلام» اليوم.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «قد أجرتُ من أجرتِ».

فقالت فاطمة «عليها السلام»: «إنما جئت يا أم هانئ تشتكين علياً «عليه السلام» في أنه أخاف أعداء الله وأعداء رسوله»؟!

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «قد شكر الله لعلي «عليه السلام» سعيه، وأجرتُ من أجارت أم هانئ، لمكانها من علي بن أبي طالب»(١).

وعند الواقدي: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن حين تكلمت أم هانئ مع فاطمة «عليها السلام»..

ثم جاء رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأجار لأم هاني من أجارت، ثم طلب من فاطمة «عليها السلام» أن تسكب له غسلاً، فاغتسل، ثم صلى

---

(١) بحار الأنوار ج٢١ ص١٣١ و ١٣٢ وج٤١ ص١٠ و ١١ وإعلام الورى ج١ ص٢٢٤ و ٢٢٥ ومناقب آل أبي طالب ج٢ ص٣٧٦ ومستدرك سفينة البحار ج٨ ص١١١ والإرشاد للمفيد ج١ ص١٣٧ و ١٣٨ وكشف الغمة ج١ ص٢١٨ والدر النظيم ص١٨٠ والمستجاد من كتاب الإرشاد (المجموعة) ص٧٩ وراجع: المغازي للواقدي ج٢ ص٨٢٩ و ٨٣٠.

ثمان ركعات[١].

وعن الحارث بن هشام قال: لما دخل رسول الله «صلى الله عليه وآله» مكة، دخلت أنا وعبد الله بن أبي ربيعة دار أم هانئ، ثم ذكر: أن النبي «صلى الله عليه وآله» أجاز جوار أم هانئ.

قال: فانطلقنا، فأقمنا يومين، ثم خرجنا إلى منازلنا، فجلسنا بأفنيتها لا يعرض لنا أحد. وكنا نخاف عمر بن الخطاب، فوالله إني لجالس في ملاءة مورَّسة[٢] على بابي ما شعرت إلا بعمر بن الخطاب، فإذا معه عدة من المسلمين، فسلم ومضى.

وجعلت أستحي أن يراني رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأذكر رؤيته إياي في كل موطن مع المشركين، ثم أذكر بره ورحمته وصلته، فألقاه وهو داخل المسجد، فلقيني بالبشر، فوقف حتى جئته، فسلمت عليه، وشهدت بشهادة الحق، فقال: الحمد لله الذي هداك، ما كان مثلك يجهل الإسلام.

قال الحارث: فوالله ما رأيت مثل الإسلام جُهل[٣].

---

(١) المغازي للواقدي ج٢ ص٨٣٠.

(٢) مورسة: مصبوغة بلون أحمر.

(٣) سبل الهدى و الرشاد ج٥ ص٢٤٩ و ٢٥٠ عن الواقدي، والمغازي للواقدي ج٢ ص٨٣١ والسيرة الحلبية ج٣ ص١٠٢ و (ط دار المعرفة) ج٣ ص٥٥ والمستدرك للحاكم ج٣ ص٢٧٧ و ٢٧٨ وتاريخ مدينة دمشق ج١١ ص٤٩٥ و ٤٩٦ وتهذيب الكمال ج٥ ص٢٩٨.

وعن أم هانئ ـ رضي الله عنها ـ قالت: لما كان عام يوم الفتح فرَّ إليَّ رجلان من بني مخزوم فأجرتهما.

قالت: فدخل عليَّ عليٌّ فقال: أقتلهما.

قالت: فلما سمعته يقول ذلك أغلقت عليهما باب بيتي، ثم أتيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو بأعلى مكة، فلما رآني رسول الله «صلى الله عليه وآله» رحَّب وقال: «ما جاء بك يا أم هانئ».

قالت: قلت: يا رسول الله، كنت أمنت رجلين من أحمائي، فأراد علي «عليه السلام» قتلهما.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «قد أجرنا من أجرت».

ثم قام رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى غسله، فسترته فاطمة «عليها السلام»، ثم أخذ ثوباً فالتحف به، ثم صلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» ثمان ركعات سبحة الضحى(١).

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٣١ وفي هامشه عن: صحيح مسلم (صلاة المسافرين) (٨٢) وعن أبي داود (٢٧٦٣) وعن مسند أحمد ج٦ ص٣٤١ و ٣٤٢ و ٣٤٣ والسنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص٧٥ ومستدرك الحاكم ج٤ ص٤٥ والسيرة الحلبية ج٣ ص٩٣ و (ط دار المعرفة) ج٣ ص٤١ وراجع: المغازي للواقدي ج٢ ص٨٣٠ وتاريخ الخميس ج٢ ص٨٤ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٥٥٦ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٤٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥٦٨.

لكن في الحلبية وغيرها: فوجدته يغتسل من جفنة فيها أثر العجين، وفاطمة ابنته تستره بثوب، فسلمت عليه، فقال: من هذه؟!

إلى أن قال: وفي الرواية الأولى: فلما اغتسل أخذ ثوبه وتوشح به، ثم صلى ثماني ركعات من الضحى.

ثم أقبل علي، فقال: مرحباً يا أم هاني، ما جاء بك؟!.

فأخبرته الحديث.

فقال: «أجرنا من أجرت الخ..»(١).

ونقول:

هل تدل ملاحقة علي «عليه السلام» لهذين الرجلين على أن قتالاً كان يجري يوم الفتح، وتكون مكة قد فتحت بالسيف، وتحت وطأة القتال؟!..

وكيف نوفق بين هذا وبين قولهم: إنه «صلى الله عليه وآله» أعلن بالأمان لأهل مكة، وعين لهم مواضع للتواجد فيها، ومنها المسجد، ودار أبي سفيان، وراية أبي رويحة، ومن دخل داره، وأغلق بابه إلخ..

ويمكن أن يجاب:

أولاً: إن عدم لجوء ذينك الرجلين إلى مواضع الأمان التي حددها لهم

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٩٣ و (ط دار المعرفة) ج٣ ص٤١ وتاريخ الخميس ج٢ ص٨٤ وراجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٠ ص٧٨ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٤٣ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٨٦٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥٦٨.

رسول الله «صلى الله عليه وآله»، يدل على أنهما لم يلتزما بما قرره الرسول، وأنهما كانا في وضع قتالي، انتهى بهما إلى اللجوء إلى جوار أم هاني..

ثانياً: صرح بعضهم بأن النبي «صلى الله عليه وآله» كان قد أهدر دم هذين الرجلين: وهما الحارث بن هشام، وزهير بن أبي أمية، فلم يكونا مشمولين لأمان رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ويشهد لذلك ثناء النبي «صلى الله عليه وآله» على علي «عليه السلام» وتصويبه في ملاحقته هذين الرجلين، وتصريحه بصرف النظر عن قتلهما، إكراماً لأم هاني، ولكن أيضاً لقربها من علي «عليه السلام»، فقد قال «صلى الله عليه وآله»: «قد شكر الله سعيه، وأجرت من أجارت أم هاني، لمكانها من علي[1]، وقال لها: قد آمنا من آمنت، وأجرنا من أجرت، فلا نقتلهما»[2].

فقوله «صلى الله عليه وآله»: «فلا نقتلهما» يشير إلى أنه «صلى الله عليه

---

(١) بحار الأنوار ج٢١ ص١٣١ و ١٣٢ وج٤١ ص١٠ و ١١ وإعلام الورى ج١ ص٢٢٤ و ٢٢٥ ومناقب آل أبي طالب ج٢ ص٣٧٦ ومستدرك سفينة البحار ج٨ ص١١١ والإرشاد للمفيد ج١ ص١٣٧ و ١٣٨ وكشف الغمة ج١ ص٢١٨ والدر النظيم ص١٨٠ والمستجاد من كتاب الإرشاد (المجموعة) ص٧٩ وراجع: المغازي للواقدي ج٢ ص٨٢٩ و ٨٣٠

(٢) السيرة الحلبية ج٣ ص٩٣ و (ط دار المعرفة) ج٣ ص٤١ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥٦٨.

وآله» كان مصمماً على قتلهما، وأنهما لم يكونا داخلين في الأمان الذي أطلقه في الناس بشرط الدخول إلى المسجد، أو إلى بعض المواضع الأخرى..

فلا يصح قول بعضهم هنا: «إرادة علي كرم الله وجهه قتل الرجلين اللذين أمنتهما أخته أم هاني لعله تأول فيهما شيئاً، أو جرى منهما قتال له. وتأمين أم هاني لهما من تأكيد الأمان الذي وقع للعموم»[١].

نعم، لا يصح ذلك للأسباب التالية:

١ ـ قد ظهر مما قدمناه آنفاً: أن علياً «عليه السلام» لم يكن متأولاً في ملاحقته لهذين الرجلين، بل هو يجري فيهما حكم الله وحكم رسوله، لأن رسول الله «صلى الله عليه وآله» هو الذي أهدر دمهما، وكان مصمماً على قتلهما لولا شفاعة أم هاني..

٢ ـ لم يكن هناك أمان عام للناس، بل كان هناك أمان لمن يدخل المسجد، ودار أبي سفيان، ويغلق بابه، ويلتجئ إلى راية أبي رويحة..

٣ ـ لو كان هناك أمان عام لاحتجت به أم هاني على علي «عليه السلام»، ولم تحتج إلى شكواه إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

مقارنة ذات مغزى:

تقدم: أن علياً «عليه السلام» يصر على قتل رجلين أجارتهما أخته، ولا يقبل شفاعتها فيهما، ولا يراجع هو النبي «صلى الله عليه وآله» في أمرهما

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٨٤ و (ط دار المعرفة) ج٣ ص٢٧.

حتى جاءت إجارتها من رسول الله «صلى الله عليه وآله» نفسه.

وفي المقابل نجد عثمان يصر على النبي «صلى الله عليه وآله» في العفو عن ابن أبي سرح، بل هو يخبئه في بيته..

ثم يكرر عثمان التماسه العفو، ويعرض عنه النبي «صلى الله عليه وآله» مرة بعد أخرى، حتى استجاب له النبي «صلى الله عليه وآله» على مضض، وظهر عتبه على المسلمين لعدم مبادرتهم إلى قتل ابن أبي سرح قبل ذلك..

كما أنه يخبئ معاوية بن المغيرة، ويضرب زوجته بتهمة أنها دلت عليه حتى تموت من ذلك الضرب..

توضيحات نحتاجها:

واللافت هنا: أن علياً «عليه السلام» يأتي إلى دار أخته مقنعاً بالحديد، ولا يعرِّف أخته بنفسه في بادئ الأمر، ولكنه لا يقتحم الدار، مراعاة للحرمة، ثم هو لا يريد أن يروع أهلها، بل ينادي من خارج الدار: أخرجوا من آويتم!

فخرجت إليه أخته، فلم يبادر إلى تعريفها بنفسه، بل تركها تعرِّف هي بنفسها، بأنها بنت عم النبي «صلى الله عليه وآله»، وأخت علي «عليه السلام»، ثم تأمره بالانصراف عن دارها..

ولكن علياً «عليه السلام» يصرّ على موقفه، ويعيد النداء: أخرجوهم.

فلم تضعف، ولم تتراجع، بل قالت له: والله، لأشكونك إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وفي هذه اللحظة ينزع علي «عليه السلام» المغفرة عن رأسه، فعرفته أخته، فجاءته تشتد حتى التزمته.

فنلاحظ: أن علياً «عليه السلام» قد أجرى الأمور على طبيعتها، كما لو كانت ستجري في أية حالة أخرى، وفي أي بيت شخص آخر.

وهو «عليه السلام» رغم أنه كان يواجه أخته لم يتراجع عن أداء واجبه الشرعي مراعاةً لها، أو انسياقاً مع عاطفته تجاهها، كما أنه أراد لها أن تبر بقسمها الذي أطلقته، وهي ترى أنها محقة في إعطائها الأمان لأولئك المشركين فلم يمنعها من ممارسة حقها في الدفاع المشروع عن موقفها، بل كان هو الذي دلها على مكان رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وطلب منها أن تذهب إليه وتشكوه عنده، ليأتي القرار بالعفو من مصدره الأساس، وهو رسول الله «صلى الله عليه وآله». وبذلك يسقط التكليف عن أمير المؤمنين بصورة تلقائية..

خوف الجبناء:

لقد أظهرت بعض الروايات المتقدمة: مدى خوف أولئك الظالمين من سيف عدل علي «عليه السلام»، حتى جعلوا يذرقون كما يذرق الحبارى خوفاً من رجل واحد، ولم يجرؤوا على الخروج إلى ساحة المواجهة؟!

فبماذا قوي علي «عليه السلام» عليهم؟! أليس بإيمانه الراسخ بالله، واعتزازه وثقته بربه ودينه؟! وعزوفه عن زخارف هذه الدنيا؟! وطلبه لما عند الله الذي هو خير وأبقى؟!

علي عليه السلام يحطم الأصنام:

قال الصالحي الشامي: عن علي «عليه السلام» قال: انطلق رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى أتى بي إلى الكعبة، فقال: «اجلس»، فجلست بجنب الكعبة، فصعد رسول الله «صلى الله عليه وآله» على منكبي، فقال: «انهض»، فنهضت، فلما رأى ضعفي تحته قال: «اجلس»، فجلست.

ثم قال: «يا علي، اصعد على منكبي»، ففعلت، فلما نهض بي خيّل إلي: لو شئت نلت أفق السماء.

فصعدت فوق الكعبة، وتنحى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: «ألق صنمهم الأكبر»، (وفي نص آخر: لما ألقى الأصنام، لم يبق إلا صنم خزاعة[1]) وكان من نحاس، موتد بأوتاد من حديد إلى الأرض، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «عالجه»، ويقول لي: «إيه إيه» ﴿**جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً**﴾[2].

فلم أزل أعالجه حتى استمكنت منه.

وقيل: إن هذا الصنم كان من قوارير صفر، (وقيل: من نحاس[3]).

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٨٦ و (ط دار المعرفة) ج٣ ص٣٠ وتاريخ الخميس ج٢ ص٨٦.

(٢) الآية ٨١ من سورة الإسراء.

(٣) راجع: نظم درر السمطين ص١٢٥ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٣٦ وتأويل الآيات ج١ ص٢٨٦ وغاية المرام ج٤ ص٣١١ وشرح إحقاق الحق ج٢٣ ص٣٦٢.

وفي نص آخر: أنه «صلى الله عليه وآله» قال لعلي «عليه السلام»: ارم به، فحمله رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى صعد، فرمى به فكسره، فجعل أهل مكة يتعجبون، ويقولون: ما رأينا أسحر من محمد(١).

«ثم إن علياً «عليه السلام» أراد أن ينزل، فألقى نفسه من صوب الميزاب، تأدباً وشفقة على النبي «صلى الله عليه وآله».

ولما وقع على الأرض تبسم، فسأله النبي «صلى الله عليه وآله» عن تبسمه.

فقال: لأني ألقيت نفسي من هذا المكان الرفيع، وما أصابني ألم.

قال: كيف يصيبك ألم وقد رفعك محمد، وأنزلك جبريل»؟!(٢).

وفي نص آخر: أنه «صلى الله عليه وآله» قال: يا علي، اصعد على منكبي، واهدم الصنم.

فقال: يا رسول الله، بل اصعد أنت، فإني أكرمك أن أعلوك.

فقال «صلى الله عليه وآله»: إنك لا تستطيع حمل ثقل النبوة، فاصعد أنت..

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٨٦ و (ط دار المعرفة) ج٣ ص٣٠ وتاريخ الخميس ج٢ ص٨٦ وتخريج الأحاديث والآثار ج٢ ص٢٨٧ وجوامع الجامع ج٢ ص٣٨٩.

(٢) تاريخ الخميس ج٢ ص٨٦ عن الزرندي، والصالحاني، ومناقب الإمام علي لابن المغازلي ص٢٠٢ وراجع: شرح الأخبار ج٢ ص٣٩٥ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص٤٠٣ وبحار الأنوار ج٣٨ ص٧٨ ومستدرك سفينة البحار ج٦ ص٢٧٤ ونهج الإيمان ص٦٠٩ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٨ ص٦٩٢ وج١٨ ص١٦٢ و ١٦٣ و ١٦٨.

إلى أن قال: ثم نهض به.

قال علي «عليه السلام»: فلما نهض بي، فصعدت فوق ظهر الكعبة الخ..[١].

وجاء في نص آخر قوله «صلى الله عليه وآله» لعلي «عليه السلام»: لو أن ربيعة ومضر جهدوا أن يحملوا مني بضعة وأنا حي ما قدروا، ولكن قف يا علي، فضرب بيده إلى ساقيه، فرفعه حتى تبين بياض إبطيه، ثم قال: ما ترى يا علي؟!

قال: أرى أن الله قد شرفني بك، حتى لو أردت أن أمس السماء لمسستها الخ..[٢].

وفي نص آخر: قال علي «عليه السلام»: أراني كأن الحجب قد ارتفعت، ويخيل إليَّ أني لو شئت لنلت أفق السماء.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: طوبى لك تعمل للحق، وطوبى لي أحمل للحق[٣].

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٨٦ و (ط دار المعرفة) ج٣ ص٢٩.

(٢) المناقب لابن المغازلي ص٢٠٢ والمناقب المرتضوية ص١٨٨ وبحار الأنوار ج٣٨ ص٨٦ وكشف اليقين ص٤٤٧ والطرائف ص٨٠ والعمدة لابن البطريق ص٣٦٤ و ٣٦٥ وغاية المرام ج٦ ص٢٧٩ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٨ ص٦٨٧ وج١٨ ص١٦٤.

(٣) تاريخ الخميس ج٢ ص٨٦ وإحقاق الحق (الملحقات) ج١٨ ص١٦٢.

كسر الأصنام في الشعر:

وقال بعض الشعراء، وقد نسب القندوزي الحنفي هذا الشعر إلى الإمام الشافعي، ونسبه عطاء الله بن فضل الله الحسيني الهروي في الأربعين إلى حسان بن ثابت:

قيل لي: قل في عليٍّ مدحاً ذكره يخمد ناراً مؤصده
قلت لا أقدم في مدح امرئ ضل ذو اللب إلى أن عبده
والنبي المصطفى قال لنا ليلة المعراج لما صعده
وضع الله بظهري يده فأحسَّ القلب أن قد برده
وعلي واضع أقدامه في محل وضع الله يده[(١)]

وفي حديث يزيد بن قعنب عن فاطمة بنت أسد: أنها لما ولد علي «عليه السلام» في جوف الكعبة، وأرادت أن تخرج به هتف بها هاتف: يا فاطمة سميه علياً، فهو علي..

إلى أن قال عن علي «عليه السلام»: وهو الذي يكسر الأصنام، وهو الذي يؤذن فوق ظهر بيتي الخ..[(٢)].

---

(١) تاريخ الخميس ج٢ ص٨٧ وينابيع المودة (ط إسلامبول) ص١٣٩ و (ط دار الأسوة) ج١ ص٤٢٣ وإحقاق الحق (الملحقات) ج٨ ص٦٨٣ وج١٨ ص١٦٣ وشجرة طوبى ج٢ ص٣٠٦ والغدير ج٧ ص١٢.

(٢) الأمالي للصدوق ص١٩٤ و ١٩٥ وعلل الشرائع ج١ ص١٣٥ و ١٣٦ ومعاني =

وفي بعض المصادر: أنه «عليه السلام» جمع الحطب، وأوقد ناراً، ثم وضع قدمه على عضد النبي «صلى الله عليه وآله»، وصار يأخذ الأصنام عن جدار الكعبة، ويلقيها في النار(١).

ونقول:

لا بد لنا من الوقفات التالية:

لماذا علي عليه السلام؟!:

وقد لوحظ: أن النبي «صلى الله عليه وآله» أوكل مهمة كسر الأصنام لعلي «عليه السلام»، ولم يوكل بها غيره، ولا تولاها «صلى الله عليه وآله» بنفسه، ولو بأن يشير إليها فتتهاوى بصورة إعجازية، كما حصل لعلي «عليه السلام»..

ولعل سبب ذلك: أن تولي علي والنبي «صلى الله عليه وآله» تحطيم

= الأخبار ص٦٢ وروضة الواعظين ص٧٦ و ٧٧ والمحتضر للحلي ص٢٦٤ والجواهر السنية للحر العاملي ص٢٢٩ وبحار الأنوار ج٣٥ ص٨ و ٩ والأنوار البهية ص٦٧ و ٦٨ وشجرة طوبى ج٢ ص٢١٧ والإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» للهمداني ص٦٣٥ وبشارة المصطفى ص٢٧ وكشف الغمة ج١ ص٦١ وكشف اليقين ص١٩ ـ ٢١ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٥ ص٥٦ عن بشائر المصطفى، وعن تجهيز الجيش للدهلوي العظيم آبادي (مخطوط) ص١١٠.

(١) أنيس الجليس للسيوطي (ط سنة ١٢٩١ هـ) ص١٤٨ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٨ ص١٦٧.

الأصنام يقطع الطريق على اتهام غيرهما بأنه قد بالغ في التشفي، وأمعن وتجاوز الحد في إجراء التوجيهات التي صدرت، وقد كان يكفي اقتلاعها وإبعادها عن المكان، دون أن يعمل على تهشيمها بهذه الطريقة المهينة..

وقد يدّعى: أن همَّ النبي «صلى الله عليه وآله» كان مصروفاً إلى الهيمنة على مكة، وقهر قريش، ولعله كان لا يمانع في أن يعتقد الناس بأن لهذه الأصنام شيئاً من التأثير في حياتهم، أو هو على الأقل لا يمانع في اقتنائها للذكرى، أو للتلذذ بجمال صنعها، أو لأي سبب آخر..

فجاء تحطيمها بيد علي «عليه السلام» تحت سمع وبصر رسول الله «صلى الله عليه وآله» ليدلنا على أن وجودها كله مبغوض له تعالى.. ولا يجوز الإحتفاظ بها تحت أي عنوان من العناوين..

تحطيم الأصنام أكثر من مرة:

قد دلتنا الرواية التي ذكرناها قبل الهجرة، عن علي «عليه السلام»، وقد جاء فيها: «ونزلت من فوق الكعبة، وانطلقت أنا والنبي «صلى الله عليه وآله» نسعى حتى توارينا بالبيوت، وخشينا أن يرانا أحد» ـ قد دلتنا ـ على أن تكسير الأصنام قد حدث مرتين:

إحداهما: قبل الهجرة.

والأخرى: في فتح مكة.

فراجع ما ذكرناه في فصل سابق تحدثنا فيه عن أحداث ما قبل الهجرة.

ينوء بثقل النبوة:

وقد ذكرت الروايات السابقة: أن النبي «صلى الله عليه وآله» طلب من علي «عليه السلام» أن يجلس ليصعد هو على ظهر علي.. ففعل ذلك، وإذ به ينوء بثقل النبوة..

فهنا سؤالان:

أحدهما: ألم يكن «صلى الله عليه وآله» يعلم بأن للنبوة ثقلاً ينوء به علي «عليه السلام»؟! فإن كان يعلم، فما هي الحكمة في أن يطلب ذلك من علي «عليه السلام»؟!

الثاني: هل للنبوة ثقل؟! وهل هو ثقل مادي؟! أم ماذا؟!

ونجيب بما يلي:

بالنسبة للسؤال الأول نقول:

لا ريب في معرفة النبي «صلى الله عليه وآله» بأن للنبوة ثقلاً ينوء به علي «عليه السلام».. ولذلك فنحن نرجح الروايات الأخرى التي تقول: إن علياً «عليه السلام» هو الذي طلب من النبي أن يصعد على ظهره، إجلالاً منه للنبي «صلى الله عليه وآله»، فأخبره «صلى الله عليه وآله» بأن للنبوة ثقلاً يمنع من ذلك، لأنه ينوء به «عليه السلام»..

بل نحن لا نستطيع أن نقول: إن علياً «عليه السلام» كان يجهل هذا الأمر أيضاً، ولكنه أراد هو والنبي «صلى الله عليه وآله» التصريح بذلك، ليعلم الناس: أن صعوده على ظهر رسول الله «صلى الله عليه وآله» لا يتنافى مع التكريم والإجلال والتعظيم، إذ لولا هذا البيان لدخل في وهم بعض

الناس، ما لا يجوز توهمه في حق علي «عليه السلام»..

أو لعله نظر إلى قانون البداء، فلعله اقتضى إظهار معنى في علي «عليه السلام» اقتضى تمكينه «عليه السلام» من النهوض بثقل النبوة..

وبالنسبة للسؤال الثاني نقول:

ليس بإمكاننا تحديد ماهية هذا الثقل، ولكننا نعلم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يركب الراحلة والفرس، وغيرهما، ويراه الناس..

ثم هو يعلن لهم: أنه لو اجتمعت ربيعة ومضر على أن يحملوا بضعة منه وهو حي لما قدروا على ذلك.. مما يعني: أن للنبوة في مضمونها المعنوي خصوصية تحتم التدخل الإلهي لتعجيز البشر عن حمل النبي «صلى الله عليه وآله» وهو حي، ربما لأن هذا قد يثير خطرات تسيء إلى معنى النبوة.

ونحن وإن كنا ننزه علياً «عليه السلام» عن مثل تلك الخطرات، لأنه هو نفس النبي «صلى الله عليه وآله» في طهره وسائر صفاته، ولكننا لا ننزه غيره عنها ممن يرى ويسمع.

هل يخيَّل لعلي عليه السلام ؟!:

تقدم: أن علياً «عليه السلام» قال: خيل إليَّ: لو شئت نلت أفق السماء، أو نحو ذلك.

والمراد بالتخييل لعلي «عليه السلام»: إراءته عين الواقع، إذ لا تخييل للمعصوم من الأنبياء والأئمة «عليهم السلام» خارج دائرة إراءة الحقائق.

فإن كان «عليه السلام» قد عبر بكلمة «خيل إلي» فذلك بهدف الرفق

ببعض ضعفاء النفوس، الذين يصعب عليهم إدراك هذه الحقائق على ما هي عليه..

علماً بأن بعض النصوص لم ترد فيها كلمة: «خيّل إليَّ»، وذكرت أنه لو أراد أن ينال السماء لنالها.

ويشير إلى ذلك قوله «صلى الله عليه وآله»: رفعك محمد، وأنزلك جبريل، فإن من يكون هذا حاله، لو أراد أن ينال السماء لنالها.

تعمل للحق، وأحمل للحق:

وقول النبي «صلى الله عليه وآله» لعلي «عليه السلام»: طوبى لك، تعمل للحق، وأحمل للحق، يشير إلى أن تحطيم الأصنام لم يكن بدافع التشفي من الذين كانوا يعبدونها، ولا الرغبة في الإستئثار بجميع ثمرات النصر، أو الحرص على الإمساك بجميع مفردات الغلبة، وإنما أملاه عليه واجب الحق، والدين، والإخلاص لله تعالى، والتماس رضاه، وبث اليأس في أهل الشرك والبغي..

علي عليه السلام يؤذن على ظهر الكعبة:

وزعموا: أنه لما حان وقت الظهر أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» بلالاً أن يؤذن فوق الكعبة، ليغيظ بذلك المشركين، وكانت قريش فوق رؤوس الجبال.

ونقول:

إن ذلك موضع ريب، والصحيح: هو أن علياً «عليه السلام» هو الذي

فعل ذلك، بدليل:

أولاً: قد صرحوا: بأن النبي «صلى الله عليه وآله» دخل البيت يوم الفتح وقت الظهر(١)، فإذا كان الوقت ظهراً، وكان «صلى الله عليه وآله» مشغولاً هو وعلي «عليه السلام» بإزالة الصور من داخل الكعبة، ومن على ظهرها، فمن أولى من علي «عليه السلام» بالأذان من على ظهر الكعبة في اللحظات الأولى، وإن كان ذلك لا يمنع من أن يكون بلال قد أذن بعد ذلك في المسجد، أو من على ظهر الكعبة.

ثانياً: عن يزيد بن قعنب، أن فاطمة بنت أسد: قالت: لما ولد علي «عليه السلام» في جوف الكعبة، وأرادت أن تخرج هتف بها هاتف: يا فاطمة، سميه علياً، فهو علي.. إلى أن قال ذلك الهاتف: «هو الذي يكسر الأصنام، وهو الذي يؤذن فوق ظهر بيتي إلخ..».

وروى ابن الشيخ الطوسي هذا المضمون، عن العباس ويزيد بن قعنب، وفيه: وهو أول من يؤذن فوق ظهر بيتي، ويكسر الأصنام إلخ..(٢).

---

(١) الخرائج والجرائح ج١ ص٩٧ و ١٦٣ وبحار الأنوار ج٢١ ص١١٧ و ١١٩ وجامع أحاديث الشيعة ج٤ ص٦٩٨ ومستدرك الوسائل ج ٤ ص٣٨.

(٢) راجع: روضة الواعظين ص٧٧ وبحار الأنوار ج٣٥ ص٩ و ٣٧ وعلل الشرائع ج١ ص١٦٤ ومعاني الأخبار ص٦٢ و ٦٣ والأمالي للصدوق (ط مؤسسة البعثة) ص١٩٢ والأمالي للطوسي ج٢ ص٣١٨ وإحقاق الحق (الملحقات) ج٥ ص٥٧ عن كتاب تجهيز الجيش للدهلوي.

الفصل الثالث:

الحجابة والسقاية..

مفتاح الكعبة:

وحين فتحت مكة بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» علياً «عليه السلام» إلى عثمان بن طلحة، فأبى أن يدفع المفتاح إليه، وقال: لو علمت أنه رسول الله «صلى الله عليه وآله» لم أمنعه منه، فصعد إلى السطح، فتبعه عليّ «عليه السلام» ولوى يده، وأخذ المفتاح منه قهراً، وفتح الباب[١].

فلما نزل قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا..**﴾[٢]. أمره «صلى الله عليه وآله» أن يدفع المفتاح إليه، متلطفاً به، (ويعتذر إليه. وقال له: قل له: خذوها يا بني طلحة بأمنة الله، فاعملوا فيها بالمعروف، خالدة تالدة الخ..)[٣].

فجاء علي «عليه السلام» بالمفتاح متلطفاً، فقال له: أكرهت وآذيت، ثم

---

(١) تاريخ الخميس ج٢ ص٨٧ و ٨٨ والسيرة الحلبية ج٣ ص٩٨ و (ط دار المعرفة) ج٣ ص٤٩ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص٤٠٤ وبحار الأنوار ج٢١ ص١١٦.

(٢) الآية ٥٨ من سورة النساء.

(٣) راجع: تاريخ الخميس ج٢ ص٨٨ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٧ ص٢٨٢ وكشف الخفاء ج١ ص٣٧٤ وتاريخ مدينة دمشق ج٣٨ ص٣٨٨ وإمتاع الأسماع ج١ ص٣٩٤ وج١٣ ص٣٨٤ وعيون الأثر ج٢ ص٢٠٠.

جئت ترفق؟!

فقال «**عليه السلام**»: لأن الله أمرنا بردها عليك.

فأسلم، فأقره النبي «صلى الله عليه وآله» في يده(١).

وذكر نص آخر: أن عثمان بن طلحة ادعى: أنه هو الذي جاء بالمفتاح إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»(٢).

فقام علي بن أبي طالب، ومفتاح الكعبة بيده، فقال: يا رسول الله، اجمع لنا الحجابة مع السقاية!

(**وفي رواية**: أن العباس تطاول يومئذٍ لأخذ المفتاح في رجال من بني هاشم. أي منهم علي «عليه السلام»)(٣).

---

(١) راجع: السيرة الحلبية ج٣ ص٩٨ و (ط دار المعرفة) ج٣ ص٤٩ وبحار الأنوار ج٢١ ص١١٦ و ١١٧ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص٤٠٤ و ٤٠٥.

(٢) راجع: المصنف للصنعاني ج٥ ص٨٣ والمصنف لابن أبي شيبة ج٨ ص٥٢٩ و ٥٤١ والدرر لابن عبد البر ص٢٢٠ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٧ ص٢٧٩ وكنز العمال ج٢ ص٣٨٤ وج١٠ ص٥٣٥ ومواهب الجليل ج٤ ص٥٠٥ ومجمع الزوائد ج٦ ص١٧٧ والمعجم الكبير للطبراني ج٩ ص٦١ وفتح الباري ج٣ ص٣٧١ وعمدة القاري ج٩ ص٢٤٣ ومسند الحميدي ج٢ ص٣٠٤.

(٣) راجع هذه الفقرة في: السيرة الحلبية ج٣ ص١٠٠ و (ط دار المعرفة) ج٣ ص٥٢ وعيون الأثر ج٢ ص٢٠٠ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٤٤ وفي هامشه عن البداية والنهاية ج٤ ص٣٠١.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أين عثمان بن طلحة؟!

فدعي، فقال: «هاك مفتاحك يا عثمان، اليوم يوم بر ووفاء».

قالوا: وأعطاه المفتاح ورسول الله «صلى الله عليه وآله» مضطبع[1] بثوبه عليه، وقال: «غيبوه. إن الله تعالى رضي لكم بها في الجاهلية والإسلام»[2].

وعن ابن جريح: أن علياً «عليه السلام» قال للنبي «صلى الله عليه وآله»: اجمع لنا الحجابة والسقاية، فنزلت: ﴿**إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا..**﴾[3].

فدعا عثمان، فقال: «خذوها يا بني شيبة خالدة مخلدة».

وفي لفظ: «تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم»[4].

---

(١) اضطبع: أدخل الرداء تحت إبطه الأيمن وغطى به الأيسر.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٤٤ عن ابن سعد والواقدي، والسيرة الحلبية ج٣ ص١٠٠ و ١٠١ وراجع: المغازي للواقدي ج٢ ص٨٣٧ وتاريخ الخميس ج٢ ص٨٥ و ٨٨ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٣٠١.

(٣) الآية ٥٨ من سورة النساء.

(٤) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٤٤ و ٢٤٥ عن ابن عائذ، والأزرقي، وراجع: السيرة الحلبية ج٣ ص١٠٠ ومواهب الجليل ج٤ ص٥٠٥ وشرح مسلم للنووي ج٩ ص٨٣ ومجمع الزوائد ج٣ ص٢٨٥ وفتح الباري ج٨ ص١٥ وعمدة القاري ج٤ ص٢٤٨ والمعجم الأوسط ج١ ص١٥٦ وج١١ ص٩٨ والإستيعاب (ط دار الجيل) ج٣ ص١٠٣٤ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢=

وعن الزهري: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لما خرج من البيت قال علي «عليه السلام»: «إنا أُعطينا النبوة والسقاية والحجابة، ما قوم بأعظم نصيباً منَّا».

فكره رسول الله «صلى الله عليه وآله» مقالته، ثم دعا عثمان بن طلحة، فدفع المفتاح إليه وقال: «غيبوه»(١). فلذلك يغيب المفتاح(٢).

= ص١٣٧ والكامل لابن عدي ج٤ ص١٣٧ وتاريخ مدينة دمشق ج٣٨ ص٣٨٣ و ٣٨٨ و ٣٨٩ وأسد الغابة ج٣ ص٣٧٢ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص١٢ وميزان الإعتدال ج٢ ص٥١٠ وذكر أخبار إصبهان ج١ ص٢٤٨ وإمتاع الأسماع ج١ ص٣٩٤ وج١٣ ص٣٨٤ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٤ ص٨٣ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٧ ص٢٨٢ وكنز العمال ج١٢ ص٢٢٢ وكشف الخفاء ج١ ص٣٧٤ وتفسير الواحدي ج١ ص٢٧٠ وتفسير الآلوسي ج٥ ص٦٣ وتفسير السمعاني ج١ ص٤٤٠ والدر المنثور ج٢ ص١٧٥ والمحرر الوجيز ج٢ ص٧٠ وتفسير الرازي ج١٠ ص١٣٨ والجامع لأحكام القرآن ج٥ ص٢٥٦ وتفسير الثعالبي ج١ ص١٠٤ وج٢ ص٢٥٢.

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٤٤ و ٢٤٥ عن عبد الرزاق، والطبراني. ومواهب الجليل ج٤ ص٥١١ ومجمع الزوائد ج٦ ص١٧٧ والمصنف للصنعاني ج٥ ص٨٤ والمعجم الكبير للطبراني ج٩ ص٦٢ وكنز العمال ج١٤ ص١٠٨ وتاريخ مدينة دمشق ج٣٨ ص٣٩٠.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٤٤ عن الفاكهي، ومواهب الجليل ج٤ ص٥١١=

وعند الحلبي: أن علياً «عليه السلام» أخذ المفتاح وقال: يا رسول الله، إجمع لنا الحجابة مع السقاية.

فقال «صلى الله عليه وآله» لعلي «عليه السلام»: أكرهت وآذيت، وأمره «صلى الله عليه وآله» أن يرد المفتاح على عثمان ويعتذر إليه، فقد أنزل الله في شأنك. أي أنزل الله عليه ذلك وهو في جوف الكعبة. وقرأ عليه الآية، ففعل ذلك علي»(١).

وسياق هذه الرواية يدل: على أن علياً كرم الله وجهه أخذ المفتاح على أن لا يرده لعثمان، فلما نزلت الآية أمره «صلى الله عليه وآله» أن يرد المفتاح لعثمان..(٢).

وعن ابن جريح، عن ابن مليكة: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال لعلي يومئذ حين كلمه في المفتاح: «إنما أعطيتكم ما تُرزؤون، ولم أعطكم ما تَرزؤون».

يقول: «أعطيتكم السقاية، لأنكم تغرمون فيها، ولم أعطكم حجابة البيت».

= وفتح الباري ج٨ ص١٥ والمعجم الكبير للطبراني ج٢ ص١٢٥ وكنز العمال ج١٤ ص١٠٧.

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص١٠٠ و (ط دار المعرفة) ج٣ ص٥٢ وتخريج الأحاديث والآثار ج١ ص٣٢٩ وأسباب نزول الآيات ص١٠٥ وتفسير البغوي ج١ ص٤٤٤ والعجاب في بيان الأسباب ج٢ ص٨٩٣ وتفسير أبي السعود ج٢ ص١٩٣.

(٢) السيرة الحلبية ج٣ ص١٠٠ و (ط دار المعرفة) ج٣ ص٥٢.

قال عبد الرزاق: أي أنهم يأخذون من هديته(١).

وعند الحلبي: إنما أعطيكم ما تبذلون فيه أموالكم للناس، أي وهو السقاية، لا ما تأخذون منه من الناس أموالهم، وهي الحجابة، لشرفكم، وعلو مقامكم(٢).

واللافت هنا: أن الواقدي يذكر نفس هذه القضية، بعين ألفاظها، وينسبها إلى العباس، لا إلى علي «عليه السلام»(٣).

وحديث طلب العباس من النبي «صلى الله عليه وآله» أن يجمع لبني هاشم السقاية والحجابة مروي عن ابن أبي مليكة أيضاً(٤).

---

(١) المصنف للصنعاني ج٥ ص٨٤ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٤٥ عن عبد الرزاق، والمعجم الكبير للطبراني ج٩ ص٦٢ ومجمع الزوائد ج٦ ص١٧٧ وتاريخ مدينة دمشق ج٣٨ ص٣٨٧ وفتح الباري ج٣ ص٣٩٣ وتاريخ الخميس ج٢ ص٨٥.

(٢) السيرة الحلبية ج٣ ص١٠٠ و (ط دار المعرفة) ج٣ ص٥٢.

(٣) راجع: المغازي ج٢ ص٨٣٣ وتاريخ الخميس ج٢ ص٨٥ عن البحر العميق.

(٤) راجع: المصنف للصنعاني ج٥ ص٨٥ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٤٥ عنه، وراجع عن غير أبي مليكة: كنز العمال ج١٤ ص١٠٨ وتاريخ مدينة دمشق ج٣٨ ص٣٨٧ و ٣٨٩ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص٥٢ وتفسير ابن زمنين ج١ ص٣٨١ وفتح الباري ج٣ ص٣٩٣ وزاد المسير ج٢ ص١٤٣ وتفسير القرآن العظيم ج١ ص٥٢٨ وتنوير المقباس ص٧٢ والعجاب في بيان =

ونقول:

إن لنا مع النصوص المتقدمة وقفات عديدة، نذكر منها ما يلي:

أكرهت وآذيت:

تقدم أنهم زعموا: أنه «صلى الله عليه وآله» قال لعلي «عليه السلام»، حين طلب منه أن يجمع لهم الحجابة إلى السقاية: أكرهت وآذيت، وأمره أن يرد المفتاح إلى عثمان بن طلحة.

ونقول:

أولاً: تقدم: أن عثمان بن طلحة هو الذي قال لعلي «عليه السلام» أكرهت وآذيت، فإنه لما تمنع عثمان من دفع المفتاح إليه لحقه إلى سطح الكعبة ولوى يده، وأخذ المفتاح منه..

ثانياً: حتى لو كان النبي «صلى الله عليه وآله» هو الذي قال ذلك لعلي «عليه السلام»، فإنه لا غضاضة فيه عليه، لأنه إكراه وأذى يحبه الله ورسوله، لأنه جاء في سياق تنفيذ أمر الرسول الذي كان عثمان بن طلحة بصدد التمرد عليه، وهو ذنب كبير يدعو علياً «عليه السلام» إلى فرض الطاعة عليه..

ثالثاً: اعطاء المفتاح لبني شيعته يجعل لهم نوع ولاية نصرف فيه.. مع

= الأسباب ج٢ ص٨٩٢ والدر المنثور ج٢ ص١٧٤ ولباب النقول (ط دار إحياء العلوم) ص٧١ و (ط دار الكتب العلمية) ص٦٠ وتفسير الآلوسي ج٥ ص٦٣ وكتاب المنمق لابن حبيب ص٢٨٧.

أنه تعالى قال: ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلاَ الْمُتَّقُونَ﴾(١).

أعطيتكم ما ترزؤون:

وقد قرر «صلى الله عليه وآله»: أنه أعطى بني هاشم، ما يوجب بذل أموالهم فيه، وهو السقاية.. أما الحجابة فأعطاها لبني شيبة، لأنها تجلب لهم المنافع، لأنه «صلى الله عليه وآله» أراد بذل هذه المنافع لهم، لكي يتألفهم على الإسلام، ويسلّ سخيمتهم، ولو أنه أعطى الحجابة لبني هاشم، لوجد الحاسدون والطامعون، والمفسدون والمنافقون الفرصة لتعميق الشرخ بين هؤلاء وهؤلاء، وربما يتهمون النبي «صلى الله عليه وآله» بمحاباة أهل قرابته، وابتغاء المنافع لهم، وتخصيصهم بالمغانم، والمناصب.

والعباس، وإن كان يفكر بأن يستفيد من الحجابة، ويحصل على بعض المنافع، ولكن علياً لم يكن يفكر بهذه الطريقة حين طلب الحجابة، بل أراد أن يهيء الجو لرسول الله «صلى الله عليه وآله» ليظهر هذه الحقيقة، حتى لا يشعر بنو شيبة، أو غيرهم بأن إعطاءه الحجابة لهم يدل على تميزهم في الدين، وعلى أن لهم موقعاً دينياً، استحقوه دون بني هاشم، أو لأجل خصوصيات وخصال خير، كامنة في حقيقة ذاتهم.. مثل الطهارة، أو الإخلاص، أو العلم، أو ما إلى ذلك..

---

(١) الآية ٣٤ من سورة الأنفال.

الأمر بأداء الأمانات:

وتقدم: أن قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾(١) نزل في مناسبة إعطاء مفتاح الكعبة لبني شيبة.

غير أننا نقول:

١ ـ إن هذه الآية وردت في سورة النساء التي انتهى نزولها قبل فتح مكة بعدة سنوات..

ودعوى أن الآية ألحقت في موضعها من تلك السورة في فتح مكة.. لا شاهد لها، ولا دليل عليها سوى الإدعاء والتحكُّم.

٢ ـ عن زيد بن أسلم، قال: أنزلت هذه الآية في ولاة الأمر، وفي من ولي من أمور الناس شيئاً(٢).

٣ ـ عن شهر بن حوشب قال: «نزلت في الأمراء خاصة ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾»(٣).

---

(١) الآية ٥٨ من سورة النساء.

(٢) الدر المنثور ج٢ ص١٧٥ عن ابن المنذر وآخرين، والمصنف لابن أبي شيبة ج٧ ص٥٧١ وراجع: التبيان للطوسي ج٣ ص٢٣٣ وجامع البيان ج٥ ص٢٠٠ وتفسير ابن أبي حاتم ج٣ ص٩٨٦ وأحكام القرآن للجصاص ج٢ ص٢٥٩ وتفسير العز بن عبد السلام ج١ ص٣٣٠.

(٣) الدر المنثور ج٢ ص١٧٥ عن ابن جرير، وابن أبي حاتم، وراجع: عمدة القاري ج١٢ ص٢٢٧ وتفسير ابن أبي حاتم ج٣ ص٩٨٦ وتفسير القرآن العظيم ج١ ص٥٢٨.

٤ ـ عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا**﴾، قال: يعني السلطان، يعطون الناس.

تناقضات تحتاج إلى حل:

إن الروايات التي ذكرت أن علياً «عليه السلام» طلب الحجابة لنفسه، أو لبني هاشم تحتاج إلى تمحيص، لأنها تعاني من إشكالات، تصعِّب على الباحث الإطمئنان إلى صحتها، فلاحظ ما يلي:

١ ـ ذكرت إحدى تلك الروايات: أن النبي «صلى الله عليه وآله» أعطى المفتاح لعثمان بن طلحة، ثم طلبه علي «عليه السلام» من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وكان المفتاح في يده فأعطاه إلى عثمان في هذه اللحظة.

وروايات أخرى تقول: بل إن علياً «عليه السلام» ذهب إليه، وأخذ المفتاح منه بالقوة.

فهل أخذ عثمان المفتاح قبل طلب علي «عليه السلام» أم بعده؟!

ويمكن الجواب بأنه بعد أن أخذ علي «عليه السلام» المفتاح من عثمان، حضر إلى مجلس رسول الله «صلى الله عليه وآله» وجرى ما جرى.

٢ ـ هل قال النبي «صلى الله عليه وآله» أدعو لي عثمان، فدعوه، فأعطاه المفتاح، حين طلب علي الحجابة، أم أعطاه إياه حين كلمه العباس؟!

وقد يجاب: بأن علياً «عليه السلام» والعباس قد كلم رسول الله «صلى الله عليه وآله» بهذا الأمر، على التوالي، فأرسل إلى عثمان، فأعطاه المفتاح.

٣ ـ هل نزلت آية الأمر بأداء الأمانات لحظة استلام النبي «صلى الله عليه وآله» المفتاح قبل دخول الكعبة؟! أم نزلت حين كان النبي «صلى الله عليه وآله» داخل الكعبة؟!

٤ ـ هل طلب العباس من النبي «صلى الله عليه وآله» أن يجعل الحجابة له، قبل دخوله «صلى الله عليه وآله» إلى الكعبة؟! أم كان ذلك بعد خروجه منها؟!

٥ ـ ومما يؤكد الشبهة في صحة ما نسب لعلي «عليه السلام»: أن النبي «صلى الله عليه وآله» بعد أن طمس الصور في داخل الكعبة أخذ بعضادتي بابها وخطب، وقال في خطبته: «إلا سدانة البيت، وسقاية الحاج فإنهما مردودتان إلى أهليهما».

فكيف يصح من العباس أن يطلب السدانة والسقاية بعد ذلك؟! أي بعد أن وضع مفتاح الكعبة في كمه، وتنحى ناحية المسجد، ورد الحجابة والسقاية إلى أهليهما.

٦ ـ ينسب إلى علي «صلى الله عليه وآله» أنه قال: أعطينا النبوة، والسقاية والحجابة.. ما قوم بأعظم نصيب منا.. مع أن الروايات المتقدمة تقول: إن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يعطه الحجابة..

٧ ـ على أنه لو كانت الحجابة حقاً لبني شيبة، فلماذا يرسل النبي «صلى الله عليه وآله» علياً «عليه السلام» ليأخذ المفتاح منه رغماً عنه؟!.. ألا يدل ذلك على أنه كان غاصباً لما لا حق له به؟!، وقد استرجعه منه رسول الله «صلى الله عليه وآله» بواسطة علي «عليه السلام».

٨ ـ وفي جميع الأحوال نقول:

إن كانت الحجابة حقاً لبني شيبة، فإن حشر اسم علي «عليه السلام» في هذه القضية، يكون في غير محله، ولا بد من البحث عن مبررات ذلك، فلعله يراد إظهاره «عليه السلام» طامعاً بأمر دنيوي، ليتساوى مع غيره في هذه الجهة.. ولعله.. ولعله..

وإن كانت الحجابة لبني هاشم، فلا بد أن يكونوا قد تنازلوا عنها تكرماً وتفضلاً لمصلحة حاضرة، مثل التأليف بطلب من رسول الله «صلى الله عليه وآله». ويكون أخذ المفتاح من عثمان بن أبي شيبة في بداية الأمر في محله..

وبذلك لا يبقى مجال للقول: بإن الروايات قد دلت على أن الحجابة لم تعط لبني هاشم. ولعله استعادها من بني شيبة، وردها لبني هاشم أصحابها الحقيقين.

بل قد يقال: إن المقصود بكلام علي «عليه السلام» هو أن أمر الحجابة والسقاية أصبح لرسول الله «صلى الله عليه وآله» ولبني هاشم، ولهم هم أن يعطوه لهذا ثم ينتزعونه منه ليعطوه لغيره..

فإعطاء الحجابة لبني شيبة ليس معناه سقوط حق بني هاشم فيها..

أو يقال: المقصود هو: أن أمر الحجابة يعود البت فيه لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، فيصح لبني هاشم أن يقولوا: أعطينا الحجابة، كما صح لهم أن يقولوا: أعطينا النبوة، مع أن النبوة خاصة برسول الله «صلى الله عليه وآله» دون كل أحد..

مفاخرة شيبة والعباس وعلي عليه السلام:

عن ابن عباس، وعن الحارث الأعور قالا: افتخر شيبة بن عبد الدار والعباس بن عبد المطلب، فقال شيبة: في أيدينا مفاتيح الكعبة، نفتحها إذا شئنا، ونغلقها إذا شئنا، فنحن خير الناس بعد رسول الله.

وقال العباس: في أيدينا سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام، فنحن خير الناس بعد رسول الله، (فقال: ظ) إذ مر عليهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» فأراد أن يفتخر، فقالا له: يا أبا الحسن! أنخبرك بخير الناس بعد رسول الله؟! ها أنا ذا.

فقال شيبة: في أيدينا مفاتيح الكعبة، نفتحها إذا شئنا ونغلقها إذا شئنا، فنحن خير الناس بعد النبي.

وقال العباس: في أيدينا سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام، فنحن خير الناس بعد رسول الله.

فقال لهما أمير المؤمنين «عليه السلام»: ألا أدلكما على من هو خير منكما؟!

قالا له: ومن هو؟!

قال: الذي ضرب رقبتكما حتى أدخلكما في الإسلام قهراً.

قالا: ومن هو؟!

قال: أنا.

فقام العباس مغضباً حتى أتى النبي «صلى الله عليه وآله» وأخبره

بمقالة علي بن أبي طالب «عليه السلام»، فلم يرد النبي «صلى الله عليه وآله» شيئاً.

فهبط جبرئيل «عليه السلام»، فقال: يا محمد! إن الله يقرؤك السلام، ويقول لك: ﴿**أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الحَاجِّ وَعِمَارَةَ المَسْجِدِ الحَرَامِ**..﴾(١).

فدعا النبي «صلى الله عليه وآله» العباس، فقرأ عليه الآية، وقال: يا عم قم فاخرج، هذا الرحمان، يخاصمك في علي بن أبي طالب «عليه السلام»(٢).

ولكن نصاً آخر عن السدي يقول:

«**قال عباس بن عبد المطلب:** أنا عم محمد «صلى الله عليه وآله» وأنا صاحب سقاية الحاج، فأنا أفضل من علي [بن أبي طالب. أ].

[و] **قال عثمان بن طلحة وبنو شيبة:** نحن أفضل من علي [بن أبي طالب. أ، ر] فنزلت هذه الآية: ﴿**أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الحَاجِّ وَعِمَارَةَ المَسْجِدِ**

(١) الآية ١٩ من سورة التوبة.

(٢) تفسير فرات ص١٦٥ و ١٦٦ وراجع ص١٦٧ و ١٦٨ وبحار الأنوار ج٣٦ ص٣٦ عنه، والفصول المهمة لابن الصباغ ص١٢٤ والبرهان (تفسير) ج٣ ص٣٨٤ ومناقب آل أبي طالب ج٢ ص٦٩ و (ط المكتبة الحيدرية) ج١ ص٣٤٣ وتفسير العياشي ج٢ ص٨٩ وشجرة طوبى ج١ ص١٥٣ وراجع: تفسير نور الثقلين ج٢ ص١٩٤ وشواهد التنزيل ج١ ص٣٢٩ وتأويل الآيات ج١ ص٢٠٠ وغاية المرام ج٤ ص٧٦ ومجمع البيان ج٥ ص٢٧ و ٢٨ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٤ ص٦٠٩ وسفينة النجاة للتنكابني ص٣٦٠.

الحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ الله﴾ علي بن أبي طالب [«عليه السلام». ب] ﴿لَا يَسْتَوُونَ..﴾، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ علي ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ الله بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ الله وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ﴾[١]»[٢].

عن جعفر عن أبيه [«عليهما السلام». ر] قال: لما فتح النبي [ر: رسول الله] «صلى الله عليه وآله» مكة أعطى العباس السقاية، وأعطى عثمان بن طلحة الحجابة، ولم يعط علياً شيئاً.

فقيل لعلي بن أبي طالب «عليه السلام»: إن النبي «صلى الله عليه وآله» أعطى العباس السقاية، وأعطى عثمان بن طلحة الحجابة، ولم يعطك شيئاً.

قال: [فقال. ر، ب]: ما أرضاني بما فعل الله ورسوله.

[قال: أ، ب] فأنزل الله [تعالى هذه الآية: ﴿**أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الحَاجِّ وَعِمَارَةَ المَسْجِدِ الحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ الله لَا يَسْتَوُونَ..**﴾ إلى ﴿**أَجْرٌ عَظِيمٌ**﴾[٣]، نزلت في علي بن أبي طالب «عليه

---

(١) الآيات ١٩ ـ ٢١ من سورة التوبة.

(٢) تفسير فرات ص١٦٧ وبحار الأنوار ج٣٦ ص٣٧ عنه، وراجع ج٤١ ص٦٣ وشواهد التنزيل للحسكاني ج١ ص٣٢٥ و ٣٢٧ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٤ ص٦٠٨ وجامع البيان ج١٠ ص١٢٤.

(٣) الآيات ١٩ ـ ٢٢ من سورة التوبة.

السلام»[١].

ونقول:

إن ملاحظة الروايات المختلفة يعطي:

اختلاف الروايات:

إن ثمة اختلافاً في بعض نصوص الرواية مثل: أن علياً «عليه السلام» مر على المتفاخرين، فأرادا أن يفتخرا عليه، فقال لهما: إنه خير منهما، لأنه ضرب رؤوسهما حتى أدخلهما في الإسلام قهراً. كما في رواية الحارث الأعور وابن عباس.

---

(١) تفسير فرات ص١٦٨ و ١٦٩ وبحار الأنوار ج٣٦ ص٣٧ عنه. وقصة الإفتخار هذه مروية عن الإمامين الباقر والصادق «عليهما السلام، وعبيد الله بن عبدة، وعروة وجابر، وعن الكلبي والحارث الأعور، والسدي. ورواها السيوطي في الدر المنثور ج٣ ص٢١٨ عن ابن مردويه، وعبد الرزاق، وابن عساكر، وأبي نعيم، وابن أبي حاتم، وابن المنذر، وأبي الشيخ، وابن جرير، وابن أبي شيبة عن ابن عباس، وأنس، والشعبي، والحسن القرظي، وأسباب نزول الآيات ص١٨٢ عن بعض هؤلاء، ونقله في ينابيع المودة عن النسائي وجماعة آخرين. وراجع: الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٩١ والتفسير الكبير للرازي ج٤ ص٤٢٢ وتفسير الخازن ج٢ ص٢٢١ وتفسير النسفي ج٢ ص٢٢ والفصول المهمة لابن الصباغ ص١٢٣ وتفسير القرآن العظيم، ونظم درر السمطين، وغير ذلك.

وفي رواية ثانية: أنا أشرف منكما، أنا أول من آمن بالوعيد من ذكور هذه الأمة، وهاجر، وجاهد[١].

وفي رواية أخرى: أنه قال لهما: إنه آمن بالله قبلهما بسنوات، وإنه صاحب الجهاد[٢].

كما أن الروايات الكثيرة تذكر حصول المفاخرة بينهم على النحو الذي

---

(١) فرائد السمطين ج١ ص٢٠٣ ونظم درر السمطين ص٨٩ والدر المنثور ج٣ ص٢١٩ وبحار الأنوار ج٣٦ ص٣٩ و ٣٨ والغدير ج٢ ص٥٤ وشواهد التنزيل ج١ ص٣٢٨ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٣٥٨ وغاية المرام ج٤ ص٧٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٤ ص١٩٧ و ١٩٨ و ٦٠٩ وج٢٠ ص٣٠ وج٣٠ ص٣٣ وعن جامع البيان.

(٢) الطرائف لابن طاووس ص٥٠ والعمدة لابن البطريق ص١٩٣ و ١٩٤ وبحار الأنوار ج٢٢ ص٣٧ وج٣٦ ص٣٨ ومناقب أهل البيت للشيرواني ص٧١ والغدير ج٢ ص٥٤ ومجمع البيان ج٥ ص٢٧ وجامع البيان ج١٠ ص١٢٤ وتفسير الثعلبي ج٥ ص٢٠ وأسباب نزول الآيات ص١٦٤ وتفسير البغوي ج٢ ص٢٧٥ وزاد المسير ج٣ ص٢٧٩ وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص٣٥٥ والدر المنثور ج٣ ص٢١٩ ولباب النقول (ط دار إحياء العلوم) ص١١٦ و(ط دار الكتب العلمية) ص١٠٣ وتنبيه الغافلين لابن كرامة ص٨٠ ومطالب السؤول ص١٩٨ وكشف الغمة ج١ ص١٧٩ والفصول المهمة لابن الصباغ ج١ ص٥٨١ وينابيع المودة ج١ ص٢٧٧.

تقدم، لكن رواية لفرات عن الإمام الصادق «عليه السلام» تقول: لما فتح النبي مكة أعطى العباس السقاية، وأعطى عثمان بن طلحة الحجابة، ولم يعط علياً شيئاً.

فقيل لعلي: لم يعطك النبي «صلى الله عليه وآله» شيئاً.

قال: ما أرضاني بما فعل الله ورسوله..

فأنزل الله تعالى: الخ..

وقد يقال: إن هذه الروايات غير متناقضة، فلعل كل ذلك قد حصل..

لكن التدقيق يعطي: أن الاختلاف موجود، فإن إحدى الروايات تقول: إن المفاخرة كانت مع شيبة بن عبد الدار، أو طلحة بن شيبة، أو شيبة بن طلحة، أو شيبة بن أبي طلحة، حسب اختلاف الروايات الناشئ من اشتباه الرواة بالاسم، أو من النسبة إلى الجد تارة، وإلى الأب أخرى، أو الإستفادة من الاسم في مورد، ومن الكنية في مورد آخر، وما إلى غير ذلك..

نعود فنقول:

إن المفاخرة هل كانت بين شيبة المذكور آنفاً والعباس مع علي «عليه السلام»، أو أن المفاخرة كانت بين العباس وعلي فقط[1].

---

(١) الدر المنثور ج٣ ص٢١٨ والعمدة لابن البطريق ص١٩٣ و ١٩٤ والطرائف ص٥٠ وراجع: ينابيع المودة ص٩٣ والمناقب لابن المغازلي ص٣٢١ و ٣٢٢ ومجمع البيان ج٥ ص١٥ ونور الثقلين ج٢ ص١٩٤ والبرهان (تفسير) ج٣ ص٣٨٤ وتفسير المنار ج١٠ ص٢١٥.

وبعض الروايات زادت: حمزة وجعفراً[١].

وحديث المناشدة يوم الشورى وبعده، وشهادتهم لعلي بذلك[٢]. لا يدل على عدم صحة إضافة الحمزة وجعفر، لأن المطلوب هو بيان أنه لم يكن في الشورى غير علي «عليه السلام»، وليس المطلوب حصر نزول الآية به نفي نزولها في حمزة وجعفر.

وثمة مفارقة أخرى بين الروايات، وهي: أن بعضها ذكر أن المفاخرة كانت بين بني شيبة، وبين بني العباس[٣].

الآية.. والإمامة:

وفيما يرتبط بالإمامة نلاحظ:

أولاً: أن علياً «عليه السلام» قد فضل نفسه على العباس «رحمه الله»، وطلحة بن شيبة (أو على شيبة) بما يقتضي أفضليته «عليه السلام» على الأمة بأسرها، حيث قال لهما: أنا أول الناس إيماناً، وأكثرهم جهاداً.

---

(١) الكافي ج٨ ص٢٠٤ وبحار الأنوار ج٣٦ ص٣٥ ونور الثقلين ج٢ ص١٩٣ وغاية المرام ج٤ ص٧٤.

(٢) الإحتجاج للطبرسي ج١ ص٢٠٢ وبحار الأنوار ج٣١ ص٣٣٦ وتفسير البرهان ج٣ ص٣٨٣ ونور الثقلين ج٢ ص١٩٤ ومصباح البلاغة للميرجهاني ج٣ ص٢٢١ والمسترشد للطبري ص٣٥٢ وغاية المرام ج٢ ص١٣٢.

(٣) تفسير فرات ص١٦٨ والدر المنثور ج٣ ص٢١٨.

ثم جاءت الآية لتؤكد صحة هذا التفضيل، وتلوم وتقرع من ينكره، فإذا كان «عليه السلام» هو أفضل الأمة، فيكون هو الأحق بالإمامة.

ثانياً: إن الآية التي بعدها، والتي جاءت للتأكيد على مضمونها تضمنت البشارة الإلهية لهذا المؤمن المجاهد برحمة من الله، وبرضوان، وبجنات لهم فيها نعيم مقيم..

ولا يكون هذا إلا لأعظم الناس عناء وفضلاً، والتزاماً بالطاعات، وعصمة لنفسه من المعاصي والمحرمات، إذ لا يمكن أن يعطى ذلك لمن لا يؤمَنُ أن يعصي الله، لأن إعطاءه الأمان يتضمن تشجيعاً له على الحرام، ولا يبقى شيئاً يحجزه عن المعصية.

فالبشارة بالجنة لا تعطى إلا لمن يعلم أن لديه ملكة تحجزه عن المعاصي حتى الصغائر، فكيف إذا كانت المعاصي من الكبائر، وقد تصل إلى حد غصب الخلافة، وشن الحروب على الإمام الحق كما جرى في حربي الجمل وصفين؟!

وهذا يدل على عدم صحة بشارة طلحة والزبير بالجنة، وكذلك الحال بالنسبة لمن قعد عن دفع البغاة على إمام زمانهم.

بين السقاية والعمارة، وبين الإيمان:

إن الآية قابلت بين السقاية والعمارة، وبين الشخص الذي آمن.. ولكن البعض حاول تفسير الآية، فقال: لا معنى لهذه المقابلة إذا أُبقي المعنى على ظاهره، لأن الإنسان لا يقابل بعمل من الأعمال كالسقاية، بل يقابل العمل بالعمل، أو الإنسان ذي العمل بإنسان آخر ذي عمل.

وذلك يدل: على أنه لا بد من تقدير الكلام بحيث يكون على هذا النحو: أجعلتم أهل سقاية الحاج، وأهل عمارة المسجد، كمن آمن؟! فصارت المقابلة بين إنسانين، فاستقام بذلك السياق.

ونقول:

أولاً: لا حاجة إلى هذا التقدير، فإن التعبير القرآني لم يجعل العمارة والسقاية مقابل المؤمن بالله، ليرد ما أوردوه، بل جعل هذين الفعلين الإختياريين مقابل شخص صدر منه هذا الفعل الإختياري أيضاً..

وإذا كان الفعلان الإختياريان، وهما: السقايةن والعمارة، يراد توصيف الشخص بهما، لإثبات فضيلة وشرف له. فتكون المقابلة الحقيقية بين شخص له عمل السقاية أو العمارة الإختياريين، وبين شحص آخر له عمل إختياري آخر، هو الإيمان والجهاد..

أو يقابل بين عملين: أحدهما: السقاية والعمارة. والآخر: الإيمان والجهاد..

ولعل هذا هو الأولى والأقرب، إن لم نقل: إنه هو الأصوب.

ثانياً: يلاحظ: أنه تعالى قد قابل بين أمرين حازهما علي «عليه السلام»، وهما: الإيمان والجهاد، وأمرين آخرين لم يجمعهما شخص واحد، وهما: السقاية للعباس، والعمارة لشيبة.. وبذلك يكون «عليه السلام» قد امتاز على كل واحد منهما: من حيث الشكل، فجمع خصوصيتين مقابل خصوصية واحدة لهذا، وأخرى لذاك.

ومن حيث المضمون، لدلالة الآية على أن عملهما لم يكن فيه شيء لله،

بل هو عمل دنيوي جاهلي محض، خال من أية نفحة إلهية، أو أي نظرة إلى اليوم الآخر..

ثالثاً: يلاحظ أيضاً: أن مستوى التضحية في السقاية والعمارة لا يصل إلى مستوى البذل في الجهاد، الذي تبذل فيه الأرواح، ويقصد به الله واليوم الآخر، ويكون منطلقاً من هذا الإيمان، ولا يراد به الدنيا.

رابعاً: يلاحظ: أن الآية ذكرت السقاية والعمارة من دون إشارة للساقي والعامر، لأن المطلوب بيان: أن هذه السقاية خاوية من المعنى الروحي، فهي على حد أفعال أهل الجاهلية.. فلا داعي لفضح الناس بأن ينسبب لهم هذا الأمر الذي يعد منقصة، لأنهم صاروا في جملة المسلمين، الذين يريد تعالى حفظ ماء وجههم، وتهيئة الأجواء لهم، لتصفية نفوسهم، وتزكيتها وإصلاحها..

ولكنه تعالى حين ذكر الطرف الآخر، وهو المجاهد الباذل لنفسه في الله، أشار إلى شخصه، وجعله هو طرف الموازنة، والمقارنة، ليدل على مزيته وفضله، وعظيم منزلته، وسامق مقامه.

حديث النعمان بن بشير:

عن النعمان بن بشير الأنصاري، قال: كنت عند منبر رسول الله «صلى الله عليه وآله» في نفر من أصحابه، فقال رجل منهم: ما أبالي ألَّا أعمل عملاً بعد الإسلام، إلا أن أسقي الحاج.

وقال آخر: بل عمارة المسجد الحرام.

وقال آخر: بل الجهاد في سبيل الله خير مما قلتم.

فزجرهم عمر بن الخطاب، وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله «صلى الله عليه وآله» ـ وذلك يوم الجمعة ـ ولكن إذا صليت الجمعة دخلت على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فاستفتيته فيما اختلفتم فيه.

قال: (فدخل بعد الصلاة، فاستفتاه)، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿**أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**..﴾ إلى قوله: ﴿**وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾[1]»[2].

قال السيد رشيد رضا بعد ذكره للروايات المختلفة: «والمعتمد من هذه الروايات حديث النعمان لصحة سنده، وموافقة متنه لما دلت عليه الآيات، من كون موضوعها في المفاضلة أو المساواة بين خدمة البيت وحجاجه من

---

(١) الآية ١٩ من سورة التوبة.

(٢) الفصول المئة ج٢ ص١٨٩ و ١٩٠ وصحيح مسلم (ط دار الفكر) ج٦ ص٣٦ والمعجم الأوسط ج١ ص١٣٤ ومسند الشاميين ج٤ ص١٠٨ وتفسير القرآن للصنعاني ج٢ ص٢٦٨ وجامع البيان ج١٠ ص١٢٢ وتفسير ابن أبي حاتم ج٦ ص١٧٦٧ والجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٩٢ ومسند أحمد ج٤ ص٢٦٩ والسنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص١٥٨ وراجع: تفسير المنار ج١٠ ص٢١٥ وجامع البيان ج١٠ ص١٢٢ وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص٣٥٥ والدر المنثور ج٣ ص٢١٨ ولباب النقول (ط دار إحياء العلوم) ص١١٥ و (ط دار الكتب العلمية) ص١٠٢ وفتح القدير ج٢ ص٣٤٥ وتفسير الآلوسي ج١٠ ص٦٧.

أعمال البر البدنية الهينة المستَلَذَّة، وبين الإيمان، والجهاد بالمال، والنفس والهجرة. وهي أشق العبادات النفسية، البدنية، المالية. والآيات تتضمن الرد عليها كلها الخ..(١).

ونقول:

ذكر بعض العلماء الأمور التالية:

أولاً: إن الآيات لم تقارن بين ثلاثة أطراف هي: الجهاد، وسقاية الحاج، وعمارة المسجد الحرام، وإنما فاضلت بين طرفين هما: سقاية الحاج، وعمارة المسجد من جهة.. وبين الإيمان بالله، واليوم الآخر والجهاد من جهة أخرى.. أي أن القرآن يريد أن يبطل المقارنة بين هذين الأمرين.

فرواية النعمان بن بشير لا تنسجم مع مضمون الآية.

ثانياً: إن الآية تعتبر أن من يقوم بهذه المفاضلة ظالم معتدٍ، محروم من هداية الله سبحانه.. الأمر الذي يشير إلى أن الإفتخار إنما هو بما كان يحصل في الجاهلية، وهو السقاية والعمارة التي لا يقصد بها الله تعالى..

ورواية النعمان تتحدث عن المفاضلة بين السقاية، التي يقصد بها لله تعالى، والحجابة التي يقصد بها الله تعالى أيضاً، وكذلك الحال بالنسبة للجهاد في سبيل الله تعالى..

فلا يوجد ظلم في سقاية وحجابة كهذه، لكي يصح قوله تعالى: ﴿**وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾.

---

(١) تفسير المنار ج١٠ ص٢١٦.

وهذا دليل قاطع على أن حديث النعمان ـ إن صح ـ فلا ربط له بالآية.

ثالثاً: إن النعمان بن بشير لا يؤتمن على كل ما له مساس بعلي «عليه السلام»، فهو حامل قميص عثمان إلى معاوية[١]. وهو عامل يزيد بن معاوية على الكوفة[٢]. وقد سماه النبي «صلى الله عليه وآله» غدر، لأنه أعطاه عنقوداً ليوصله إلى أمه، فأكله، ولم يوصله إليها[٣].

ولعلك تقول: إن قوله تعالى بعد هذه الآية يدل على أن الكلام عن

---

(١) مروج الذهب، والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج٧ ص٢٥٥ والفصول المهمة لابن الصباغ ج١ ص٣٥٣ والكامل في التاريخ ج٣ ص١٩٢.

(٢) راجع: أنساب الأشراف ص٧٧ والإرشاد للمفيد ج٢ ص٤١ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٣٦ وروضة الواعظين ص١٧٣ والعوالم، الإمام الحسين «عليه السلام» ص١٨٥ وعمدة القاري ج٦ ص١٩٩ وتاريخ مدينة دمشق ج٦٢ ص١٢٢ وراجع: ينابيع المودة ج٣ ص٥٦ والإمامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج٢ ص٤ والامامة والسياسة (تحقيق الشيري) ج٢ ص٨ وإعلام الورى ج١ ص٤٣٧ ومطالب السؤول ص٣٩٥ وكشف الغمة ج٢ ص٢٥٣ والفصول المهمة لابن الصباغ ج٢ ص٧٨٩.

(٣) سنن ابن ماجة ج٢ ص١١١٧ والمعجم الأوسط ج٢ ص٢٥٣ وتهذيب الكمال ج١٧ ص٢٨١ والوافي بالوفيات ج٢٧ ص٨٦ وسبل الهدى والرشاد ج٧ ص٢٠٥ والإستيعاب (ط دار الجيل) ج٤ ص١٤٩٧ وقاموس الرجال للتستري ج١٠ ص٣٧٥.

السقاية والحجابة عمل جيد وحسن أيضاً، لكن الجهاد أفضل وأحسن، فلاحظ عبارة: «أعظم درجة» في قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ**﴾(١).

ونجيب:

إن هذا التعبير بكلمة «أعظم» لا يدل على وجود حسن في المفضل عليه أصلاً، فإن المقارنة والمفاضلة تصح بين عملين أحدهما في غاية الحسن، والآخر خال من ذلك بصورة نهائية، وشاهدنا على ذلك قوله تعالى: ﴿**وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ**﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿**لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ**﴾(٣) مع أن مسجد الضرار لا يصح القيام فيه، وقال: ﴿**وَاللهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى**﴾(٤)..

والآيات التي تعتبر بعض الأعمال خيراً من بعضها الآخر كثيرة جداً، فراجع المعجم المفهرس كلمة «خير»، لتجد أنها تستعمل في الآيات الشريفة للتفضيل حتى في مقابل خير موهوم في الطرف الآخر، أو في مقابل نفع دنيوي زائل.

---

(١) الآية ٢٠ من سورة التوبة.

(٢) الآية ٢٢١ من سورة البقرة.

(٣) الآية ١٠٨ من سورة التوبة.

(٤) الآية ٧٣ من سورة طه.

متى نزلت الآية؟!:

وقد أظهرت الروايات: أن حديث المفاخرة هذا قد كان بعد فتح مكة، وبعد أن جعل النبي «صلى الله عليه وآله» السقاية للعباس «رحمه الله»، والحجابة لبني شيبة..

وإنما أسلم شيبة الذي كان يتولى عمارة المسجد بعد الفتح. فكيف تكون طرفاً في المفاخرة المذكورة. فراجع.

حمزة وعمارة المسجد:

١ ـ ذكرت رواية صحيحة السند، رواها علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن صفوان، عن ابن مسكان، عن أبي بصير، عن أبي جعفر «عليه السلام» قال: «نزلت في علي والعباس وشيبة، قال العباس: أنا أفضل لأن سقاية الحاج بيدي.

وقال شيبة: أنا أفضل، لأن حجابة البيت بيدي.

وقال حمزة: أنا أفضل، لأن عمارة البيت بيدي.

وقال علي: أنا أفضل؛ فإني آمنت قبلكما، ثم هاجرت وجاهدت، فرضوا برسول الله «صلى الله عليه وآله».

فأنزل الله: ﴿**أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الحَاجِّ وَعِمَارَةَ المَسْجِدِ الحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللهِ**..﴾ إلى قوله: ﴿**إِنَّ اللهَ**

عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾(١)»(٢).

٢ ـ رواية أخرى صحيحة السند رواها الكليني، عن أبي علي الأشعري، عن صفوان بن يحيى، عن ابن مسكان، عن أبي بصير، عن أحدهما «عليهما السلام» في قول الله عز وجل: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الحَاجِّ وَعِمَارَةَ المَسْجِدِ الحَرَامِ كَمَنْ آَمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ﴾(٣) نزلت في حمزة وعلي وجعفر والعباس وشيبة، إنهم فخروا بالسقاية والحجابة، فأنزل الله عز وجل: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الحَاجِّ وَعِمَارَةَ المَسْجِدِ الحَرَامِ كَمَنْ آَمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ﴾.

وكان علي وحمزة وجعفر «صلوات الله عليهم» الذين آمنوا بالله واليوم الآخر وجاهدوا في سبيل الله لا يستوون عند الله(٤).

---

(١) الآيات ١٩ ـ ٢٢ من سورة التوبة.

(٢) تفسير القمي ج١ ص٢٨٣ والبرهان (تفسير) ج٣ ص٣٨٢ وتفسير نور الثقلين ج٢ ص١٩٣ وبحار الأنوار ج٢٢ ص٢٨٩ وج٣٦ ص٣٤ والتفسير الأصفى ج١ ص٤٥٧ والتفسير الصافي ج٢ ص٣٢٨ وتأويل الآيات ج١ ص٢٠١ ومجمع البحرين ج٢ ص٣٨٨ وغاية المرام ج٤ ص٧٤.

(٣) الآية ١٩ من سورة التوبة.

(٤) الكافي ج٨ ص٢٠٤ وبحار الأنوار ج٣٦ ص٣٦ وتفسير نور الثقلين ج٢ ص١٩٣ وتفسير الميزان ج٩ ص٢١٥ وغاية المرام ج٤ ص٧٤ والبرهان (تفسير) ج٣ ص٣٨٢ وقريب منه في تفسير العياشي ج٢ ص٨٩.

ونقول:

لا يمكن قبول هذه الرواية بالرغم من صحة سندها.

أولاً: لأن الآية تتحدث عن المؤمن المهاجر المجاهد في سبيل الله تعالى. كما أن الرواية ذكرت: أن علياً «عليه السلام» آمن قبلهم، ثم هاجر وجاهد.. فتكون الآية ـ بناء على هذا ـ قد نزلت بعد الهجرة.

فإذا كان شيبة قد أسلم قبل الفتح، أي في السنة الثامنة للهجرة[(١)]، بل هو قد أراد أن يغتال النبي «صلى الله عليه وآله» يوم حنين، فقذف الله الرعب في قلبه[(٢)]، فإن الإشكال في الرواية يصبح واضحاً، لأن حمزة قد استشهد في واقعة أحد في سنة ثلاث بعد الهجرة.. ولم يجتمع هؤلاء الأربعة

(١) الإصابة ج٢ ص١٦١ و (ط دار الكتب العلمية) ج٣ ص٢٩٨ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٥٥١ وراجع: المعجم الكبير ج ٧ ص ٢٩٧ وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال ص١٦٨ والأعلام للزركلي ج٣ ص١٨١ والأنساب للسمعاني ج٣ ص٤٨٧ .

(٢) الإصابة ج٢ ص١٦١ و (ط دار الكتب العلمية) ج٣ ص٢٩٩ عن ابن أبي خيثمة، عن مصعب النميري، وذكره ابن إسحاق في المغازي، وأخرجه ابن سعد عن الواقدي، وذكره البغوي. وراجع: بحار الأنوار ج٢١ ص١٦٦ وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص٣٥٩ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٥٨٣ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج٤ ص٣٨١ وإمتاع الأسماع ج١٤ ص١٦ وإعلام الورى ج١ ص٢٣١ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٦٣٢ .

علي «عليه السلام» وحمزة، والعباس، وشيبة.

ولو كان شيبة مشركاً آنئذٍ، فلا معنى لأن يرضى بتحكيم رسول الله في هذه القضية.

ثانياً: لو كان الأمر كذلك، لكان حمزة «رضوان الله تعالى عليه» في جملة الظالمين، الذين يهديهم الله تعالى حسب نص الآية.. مع أن سيد الشهداء في عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وفضائله، وكلمات الرسول في حقه لا يجهلها أهل المعرفة والتتبع.

ثالثاً: إن رواية القمي جعلت حمزة في الفريق المناوئ لعلي «عليه السلام»!! وراواية الكليني جعلته مع علي «عليه السلام»!!

رابعاً: إن جعفراً لم يجتمع بحمزة بعد الهجرة، بل استشهد حمزة في واقعة أحد، وإنما قدم جعفر إلى المدينة من الحبشة في عام خيبر سنة ست..

خامساً: صرحت بعض الروايات: أن المفاخرة بين عباس وشيبة وعلي «عليه السلام» قد حصلت في مكة في المسجد الحرام، بعد أن أعطى رسول الله «صلى الله عليه وآله» مفاتيح الكعبة لشيبة، والسقاية لعباس «رحمه الله».

الفصل الرابع:

تنفيذ أحكام وتولية حكام..

علي عليه السلام يلاحق الحويرث:

قالوا: كان الحويرث بن نقيدر يؤذي رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقد نخس بزينب بنت رسول الله «صلى الله عليه وآله» لما هاجرت إلى المدينة، فأهدر النبي «صلى الله عليه وآله» دمه.

فبينما هو في منزله قد أغلق عليه بابه، سأل عنه علي بن أبي طالب «عليه السلام».

فقيل: هو بالبادية.

فأخبر الحويرث أنه يُطْلَبُ، فتنحى علي «عليه السلام» عن بابه، فخرج الحويرث يريد أن يهرب من بيت إلى آخر، فتلقاه علي «عليه السلام»، فضرب عنقه[1].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٢٤ وراجع: السيرة الحلبية ج٣ ص٨١ و ٩١ و (ط دار المعرفة) ص٣٨ وبحار الأنوار ج٢١ ص١٣١ والمغازي للواقدي ج٢ ص٨٥٧ وتاريخ الخميس ج٢ ص٩٢ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٨ ص١٣ وإمتاع الأسماع ج١ ص٣٩٩ والإرشاد ج١ ص١٣٦ والمستجاد من كتاب الإرشاد ص٧٨ وفتوح البلدان ج١ ص٤٦ وسنن الدارقطني ج٢ ص٢٦٣ وتاريخ مدينة دمشق =

وقالوا أيضاً: كان العباس بن عبد المطلب حمل فاطمة، وأم كلثوم بنتي رسول الله «صلى الله عليه وآله» من مكة يريد بهما المدينة، فنخس بهما الحويرث، فرمى بهما الأرض(١).

وكان (يؤذي) يعظم القول في رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وينشد الهجاء فيه، ويكثر أذاه وهو بمكة(٢).

= ج٢ ص٣٢ وتهذيب الكمال ج١١ ص١١٤ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٣٦ والكامل في التاريخ ج٢ ص٢٥٠ وعيون الأثر ج٢ ص١٩٥ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٤١ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥٦٤ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ ق٢ ص٤٤ وكشف الغمة ج١ ص٢١٨ ونهج الحق وكشف الصدق ص٢٥٠.

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٢٥ عن ابن هشام، وراجع: السير ة الحلبية ج٣ ص٩١ و (ط دار المعرفة) ص٣٨ وتاريخ الخميس ج٢ ص٩٢ عن الإكتفاء، والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٨٦٨ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٤١ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥٦٤ وتخريج الأحاديث والآثار ج٣ ص٤٥١.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٢٥ عن البلاذري، والسيرة الحلبية ج٣ ص٩١ والكامل في التاريخ ج٢ ص٢٥٠ وتاريخ الإسلام ج٤ ص١٨٤ والإرشاد ج١ ص١٣٦ وعيون الأثر ج٢ ص١٩٥ وإحقاق الحق (الأصل) ص٢٠٦ وشرح إحقاق الحق ج٣٢ ص٣٠٦ وتخريج الأحاديث والآثار ج٣ ص٤٥٢ والدرر لابن عبد البر ص٢٢٠ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٨ ص١٣ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ ق٢ ص٤٤ وأعيان الشيعة ج١ ص٤٠٩ وكشف =

ونقول:

أخطاء تحتاج إلى تصحيح:

تضمنت النصوص المتقدمة أخطاءاً تحتاج إلى تصحيح، وهي التالية:

الأول: إن الذي حمل فاطمة بنت رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وسائر الفواطم، وبعض ضعفاء المؤمنين حين الهجرة من مكة إلى المدينة هو علي «عليه السلام»، وليس العباس بن عبد المطلب.

الثاني: إن التي تعرضت للأذى، ونخس بها البعير، وروعت، وجرى عليها ما جرى هي زينب، وليست فاطمة الزهراء، ولا أم كلثوم..

فما معنى قولهم: إن العباس حمل فاطمة، وأم كلثوم من مكة يريد بهما المدينة، فنخس بهما الحويرث؟!

الثالث: إن أم كلثوم ورقية لم يحملهما العباس ولا علي «عليه السلام» إلى المدينة.

الرابع: إن هبار بن الأسود هو الذي نخس بزينب، وأضافت بعض الروايات إليه الحويرث بن نقيدر.. فلعل هذه الرواية هي الصحيحة.

الخامس: ذكرنا: أن الأدلة تسوقنا إلى التأكيد على أن البنت الوحيدة لرسول الله «صلى الله عليه وآله» هي فاطمة الزهراء «عليها السلام»، أما أم كلثوم، ورقية، وزينب فقد تربين في بيت النبي، فصح إطلاق عنوان «بنات

= الغمة ج١ ص٢١٨ ونهج الحق وكشف الصدق ص٢٥٠.

النبي» عليهن لأجل ذلك[١]..

إستدراج الحويرث:

يلاحظ: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» تحاشى مهاجمة الحويرث في بيته، واستدرجه ليخرج منه، والسبب في ذلك:

أولاً: قد يُخيَّل إلى بعض قاصري النظر أن قتل الحويرث في بيته نقض للأمان الذي أعطاه رسول الله «صلى الله عليه وآله» للناس حيث تضمن: أن من أغلق بابه فهو آمن.. ويتحرك المغرضون للتشنيع على الإسلام وأهله، واتهام علي «عليه السلام» بنقض الأمان، واتهام النبي «صلى الله عليه وآله» بأنه تغاضى عن هذا النقض، ومالأ عليه، إن لم يتخذ إجراء ضده «عليه السلام».

مع أن حقيقة الأمر هي:

أن النداء بأن من أغلق بابه فهو آمن لا يشمل الذين أهدر النبي «صلى الله عليه وآله» دمهم. والحويرث هذا منهم.

---

(١) تاريخ الخميس ج٢ ص٩٢ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٢٤ والسيرة الحلبية ج٣ ص٨١ و ٩١ والمغازي للواقدي ج٢ ص٨٥٧ وبحار الأنوار ج٢١ ص١٣١ ونيل الأوطار ج٨ ص٧٥ وفتح الباري ج٦ ص١٠٤ ونصب الراية ج٤ ص٢٦٣ والدراية في تخريج أحاديث الهداية ج٢ ص١٢٠ وسير أعلام النبلاء ج٢ ص٢٤٧ ومقدمة فتح الباري ص٢٨٨ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٠ ص٥٢٦ والإصابة ج٥ ص٥١ والأنساب ج٤ ص٥٧٣ وإمتاع الأسماع ج٥ ص٣٤٧ و ٣٤٨.

ثانياً: إنه «عليه السلام» أراد أن يتجنب لحوق أي أذى بغير المجرم، ممن قد يكون حاضراً في ذلك البيت، ولو بمقدار جو الرهبة والخوف الذي يفرض نفسه في مثل هذا الحال.

فعمل «عليه السلام» على استدراج المجرم إلى الخروج من البيت، وأجرى فيه حكم الله، وأمر رسوله «صلى الله عليه وآله».

والأسلوب الذي اتبعه «عليه السلام» لذلك هو أنه سأل عنه بنحو أوصل إليه الخبر بأن ثمة من يبحث عنه، ومن الطبيعي أن يكون بيت الرجل هو الهدف الأول للبحث عنه، فيفتش البيت أولاً، ثم يسأل عنه الجار القريب، والصديق، والقريب، ثم يتوسع في البحث، وفق ما يتوفر من معطيات.

فلما سأل «عليه السلام» عن الحويرث بادر الحويرث إلى الإبتعاد عن هذه النقطة الحساسة، والمقصودة والمرصودة، إلى مكان يكون أكثر أمناً ليتدبر أمره، وفق ما يستجد من معطيات.. فلما خرج من موقعه تلقاه علي «عليه السلام»، فأنزل به العقوبة التي أمر النبي «صلى الله عليه وآله» بإنزالها به..

قتل علي عليه السلام ابن الطلاطل الخزاعي:

وكان الحويرث بن الطلاطل (الحرث بن طلاطل) الخزاعي يؤذي النبي «صلى الله عليه وآله» وقد أهدر النبي «صلى الله عليه وآله» دمه، فقتله علي «عليه السلام».. ذكره أبو معشر(١).

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٢٥ وتاريخ الخميس ج٢ ص٩٤ ونيل الأوطار ج٨ ص١٧٢ وج١٢ ص٧٠ وفتح الباري ج٨ ص١٠ وشرح الأخبار ج١ ص٣٠٧.

قريبة مولاة ابن خطل:

وهناك قينة لابن خطل كانت تغني بهجاء رسول الله «صلى الله عليه وآله».. وقد قتلها علي «عليه السلام» أيضاً، لأن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أهدر دمها(١).

علي عليه السلام في رسالة النبي صلى الله عليه وآله للمكيين:

قالوا: لما فتح الله مكة أمَّر عتاب بن أسيد عليها، وكتب له عهداً، وهو التالي:

«من محمد رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى جيران بيت الله الحرام، وسكان حرم الله.

أما بعد.. فمن كان منكم بالله مؤمناً، وبمحمد رسوله في أقواله مصدقاً، وفي أفعاله مصوباً، ولعلي أخي محمد رسوله، ونبيه، وصفيه، ووصيه، وخير خلق الله بعده موالياً، فهو منا وإلينا. ومن كان لذلك أو لشيء منه مخالفاً، فسحقاً وبعداً لأصحاب السعير، لا يقبل الله شيئاً من أعماله، وإن عظم وكبر، يصليه نار جهنم خالداً مخلداً أبداً.

وقد قلد محمد رسول الله عتاب بن أسيد أحكامكم ومصالحكم، وقد

---

(١) بحار الأنوار ج٢١ ص١٣١ والإرشاد ج١ ص١٣٦ والمستجاد من كتاب الإرشاد (المجموعة) ص٧٧ وتاريخ مدينة دمشق ج٢٩ ص٣٢ وتاريخ الخميس ج٢ ص٩٤: أما قريبة فقتلت مصلوبة.

فوض إليه تنبيه غافلكم، وتعليم جاهلكم، وتقويم أَوَدَ مضطربكم، وتأديب من زال عن أدب الله منكم، لما علم من فضله عليكم، من موالاة محمد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ومن رجحانه في التعصب لعلي ولي الله، فهو لنا خادم، وفي الله أخ، ولأوليائنا موال، ولأعدائنا معاد، وهو لكم سماء ظليلة، وأرض زكية، وشمس مضيئة، قد فضله الله على كافتكم، بفضل موالاته ومحبته لمحمد وعلي، والطيبين من آلهما، وحكَّمه عليكم، يعمل بما يريد الله، فلن يخليه من توفيقه.

كما أكمل من موالاة محمد وعلي «عليه السلام» شرفه وحظه، لا يؤامر رسول الله ولا يطالعه، بل هو السديد الأمين.

فليطمع المطيع منكم بحسن معاملته شريف الجزاء، وعظيم الحباء.

وليتوق المخالف له شديد العذاب، وغضب الملك العزيز الغلاب.

ولا يحتج محتج منكم في مخالفته بصغر سنه، فليس الأكبر هو الأفضل، بل الأفضل هو الأكبر. وهو الأكبر في موالاتنا، وموالاة أوليائنا، ومعاداة أعدائنا، فلذلك جعلناه الأمير عليكم، والرئيس عليكم، فمن أطاعه فمرحباً به. ومن خالفه فلا يبعد الله غيره».

قال: فلما وصل إليهم عتاب وقرأ عهده، ووقف فيهم موقفاً ظاهراً، ونادى في جماعتهم حتى حضروه، وقال لهم:

معاشر أهل مكة، إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» رماني بكم(١) شهاباً

---

(١) لعل الصحيح: رماكم بي.

محرقاً لمنافقكم، ورحمة وبركة على مؤمنكم، وإني أعلم الناس بكم وبمنافقكم، وسوف آمركم بالصلاة فيقام بها، ثم أتخلف أراعي الناس، فمن وجدته قد لزم الجماعة التزمت له حق المؤمن على المؤمن، ومن وجدته قد بعد عنها فتشته، فإن وجدت له عذراً عذرته، وإن لم أجد له عذراً ضربت عنقه، حكماً من الله مقضياً على كافتكم، لأطهر حرم الله من المنافقين.

أما بعد.. فإن الصدق أمانة، والفجور خيانة، ولن تشيع الفاحشة في قوم إلا ضربهم الله بالذل، قويكم عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه، وضعيفكم عندي قوي حتى آخذ الحق له.

اتقو الله، وشرفوا بطاعة الله أنفسكم، ولا تذلوها بمخالفة ربكم.

ففعل والله كما قال، وعدل، وأنصف، وأنفذ الأحكام، مهتدياً بهدى الله، غير محتاج إلى مؤامرة ولا مراجعة(١).

ونقول:

إننا نشك في صحة هذا الكتاب لأسباب كثيرة، نذكر منها ما يلي:

آثار الكلفة والصنعة:

قال العلامة الأحمدي «رحمه الله»: «لا يخفى ما في هذا الكتاب من آثار الكلفة والصنعة، مع ضعف هذا التفسير في الإنتساب إليه «صلوات الله

---

(١) بحار الأنوار ج٢١ ص١٢٢ ـ ١٢٤ والتفسير المنسوب للإمام العسكري «عليه السلام» ص٥٥٥ و ٥٥٧ وراجع: الإقبال ص٣١٨ ومدينة البلاغة ج٢ ص٢٩٢.

عليه»، هذا مضافاً إلى أنه يخالف أسلوب كتبه «صلى الله عليه وآله»[١].

عتاب لم يكن أفضل المكيين:

لقد أسلم عتاب يوم الفتح.. وكان في المهاجرين المكيين من هو أفضل وأكثر تجربة من عتاب، بل كان في مكة عدد من المسلمين مضت لهم سنوات فيها، وهم على الإسلام، فهل أصبح هذا الشاب حديث الإسلام أفضل من هؤلاء أيضاً وهم قد مضى لهم سنوات طويلة وظهرت صحة إيمانهم وصبرهم على الأذى؟!

إن الحقيقة هي: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يريد والياً من سكان مكة بالذات، ومن مسلمة الفتح أيضاً، ليتمكن من التعامل مع أهل مكة، ولا يكون متهماً عندهم.

ثم أراده بهذا السن أميراً على الكبير والصغير في مكة، وأراد أيضاً أن تستمر ولايته إلى حين وفاته «صلى الله عليه وآله».. لأن المكيين هم الذين سوف يطعنون في خلافة علي «عليه السلام» استناداً إلى مقدار عمره الشريف.. الذي كان يزيد على عمر عتاب أمير عاصمة الإسلام والإيمان وبلد قريش، ويزيد أيضاً على عمر أسامة بن زيد الأمير على كبار المهاجرين والأنصار ـ بعشر سنوات تقريباً.

(١) مكاتيب الرسول ج٢ ص٦٦٢.

ولاء عتاب لعلي عليه السلام:

وإذا كان عتاب حديث الإسلام، أو فقل: قد أسلم للتوّ، فلم يتحقق بعد الإتجاه الذي سيتجه إليه ولاؤه، هل هو لعلي أو لغيره، فضلاً عن أن يكون قد أصبح متعصباً لعلي بصفتهِ وَلِيَّ الله، ولآل علي الطيبين الأطهار..

فقه عتاب وفضله:

وإذا كان عتاب قد أسلم للتو، فمتى تفقه في الدين، وعرف الأحكام، ليمكن تفويضه تعليمهم؟!

إنه ـ لا شك ـ يحتاج هو الآخر إلى من يفقهه في الدين، ويزيل جهله.. كما هم يحتاجون إلى ذلك.. فلا بد أن يجلس معهم بين يدي معاذ أو غيره، ليعلمه ويعلّمهم أبسط الأحكام، وأوليات القواعد..

كما أنه لم يمض وقت يمكن أن يظهر فيه فضل عتاب على غيره، ويتميز به على أهل مكة.

وكيف يمكن أن يتقبلوا هذا الأمر في شاب أسلم للتو، فلا مبرر ـ بنظرهم ـ لإعطائه هذه الأوسمة، ولا يرون لها مبرراً على أرض الواقع، بل هم لا ينظرون إلى النبي «صلى الله عليه وآله» نفسه بعين التقديس، ولا يتقبلون نبوته إلا رغماً عنهم فهل يتقبلون مثل هذا الامر في عتاب؟!

عتاب يتحدث عن المنافقين:

أما حديث عتاب عن معرفته بالمنافقين من أهل مكة.. فهو أيضاً من موجبات الريب، لأن أهل مكة كانوا في أول أيام قبولهم بهذا الدين، ولم

يتميز بعد المنافق عن صحيح الإيمان.. ولم يكن لأحد إلا الله تعالى أن يطلع على قلوبهم، ويعرف ويميز المؤمن من المنافق في هذا البلد الكبير..

وسيتلقون ذلك منه على أنه كلام طائش، وغير ذي قيمة من شاب في مقتل العمر مثله.

عتاب سماء ظليلة:

لا معنى لوصف عتاب الذي أسلم للتو بأنه سماء ظليلة، وأرض زكية، وشمس مضيئة، والحال أنه كان لا يزال معانداً إلى ما قبل يوم أو أيام، ولم يتفقه بعد في الدين، ولا أدب نفسه بآداب الإسلام، ولا تخلق بأخلاق أهل الإيمان..

إجراء مضحك:

ومن المضحك المبكي أن يكون أول إجراء يتخذه هذا الوالي الجديد، ـ الذي تدعي الرسالة المنسوبة للنبي «صلى الله عليه وآله» له الفضل والأمانة والسداد، وغير ذلك، ـ هو أنه سوف يأمرهم بالصلاة، ويقيم لهم إماماً، ثم يتخلف هو ليراقب من يحضر ومن لا يحضر، ثم يثيب ويعاقب.

فإن هذا لا يعدو كونه إجراءً صبيانياً مضحكاً.

أولاً: لأنه كان يمكنه أن يوظف من يراقبهم، ويخبره بما يرى، ليتخذ الإجراء المناسب..

ثانياً: إن عدم حضورهم الصلاة حتى لو كان بلا عذر لا يوجب ضرب عنق من لم يحضر..

ثالثاً: كيف صار ضرب عنق من لم يحضر الصلاة حكماً مقضياً من الله على كافة أهل مكة؟! ومن الذي أخبره بهذا الحكم؟! ولماذا اختص هذا الحكم بأهل مكة دون سائر الناس؟!.. ولم نسمع ان الله قد أوجب الصلاة جماعة عليهم دون سائر الناس..

رابعاً: إن عدم حضور الصلاة ليس دليلاً على النفاق..

سرقة كلمات علي عليه‌السلام:

وقد لاحظنا: أن بعض الفقرات التي نسبت لعتاب قد استعيرت له من كلام علي أمير المؤمنين «عليه السلام»، فقوله مثلاً: قويكم عندي ضعيف حتى آخذ منه الحق، وضعيفكم عندي قوي حتى آخذ الحق له، مأخوذ من كلام علي «عليه السلام» في نهج البلاغة، ففي الخطبة رقم ٣٧ قال «عليه السلام»: الذليل عندي عزيز حتى آخذ الحق له، والقوي عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه.

ففعل ـ والله ـ كما قال:

وأكثر ما لفت نظرنا في النص المتقدم قوله: «ففعل ـ والله ـ كما قال، وعد وأنصف، وأنفذ الأحكام، مهتدياً بهدي الله، غير محتاج إلى مؤامرة ولا مراجعة».

فقد تضمنت هذه الفقرة أموراً لا واقع لها فلاحظ:

ألف: قول الرواية: إنه فعل كما قال، ولو فعل ذلك وقتل أحداً ممن لم يحضر الصلاة لضج التاريخ بالحديث عن ذلك..

ب: إن هذا النص يصور عتاب بن أسيد الأموي، وكأنه رجل يوحى إليه.. حيث إنه يقول: إنه كان مهتدياً بهدي الله، فإذا ضممنا ذلك إلى حقيقة: أنه لم يدخل في الإسلام إلا قبل ذلك بساعات أو بيوم، او بأيام. فلا بد أن نفهم أنه يقصد بالهدي الإلهي ما يجعله مستغنياً عن تعليم أحد..

ج: قوله: من غير حاجة إلى مؤامرة ولا مراجعة، قد جاء ليؤكد ما يسعون إليه من الإيحاء بأنه كان يتمتع بالإكتفاء الذاتي حتى بالنسبة لرسول الله «صلى الله عليه وآله»..

ولذلك لم يحتج إلى أن يؤامره في شيء، ولا أن يراجعه بشيء، ولا يمكن تفسير ذلك إلا على أساس نزول الوحي على عتاب..

كما أن ذلك يطرح الإشكال في أن يكون قد احتاج إلى الإعتراف بنبوة النبي «صلى الله عليه وآله»، طيلة حياة النبي «صلى الله عليه وآله»، أو أنه كان في غنى عن ذلك أيضاً!..

كلمتنا الأخيرة عن عتاب:

ونحن أمام هذه المبالغات لا نريد أن نستبعد مقولة أن يكون المقصود إعطاء الأوسمة لعتاب، لأنه كان أموياً من حيث النسب(١)، وقد توفي يوم

(١) الإستيعاب ج٣ ص١٠٢٣ وطبقات خليفة بن خياط ص٤٨٥ و ٧٧ وتاريخ مدينة دمشق ج٢١ ص١٨١ وج٣٧ ص١١ والوافي بالوفيات ج١٩ ص٢٨٩ والبداية والنهاية ج٧ ص٤١ وأسد الغابة ج٣ ص٣٠٨ والكاشف في معرفة من له رواية =

موت أبي بكر، وقيل غير ذلك(١).

= في كتب الستة للذهبي ج١ ص٦٩٥ والإصابة ج٥ ص٣٥ والأعلام للزركلي ج٤ ص١٩٩ والمعارف لابن قتيبة ص٢٨٣ واللباب في تهذيب الأنساب ج٢ ص٣١٩ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٦١٢ وج٣ ص٩٧ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١١ ص١٢٣ وج١٥ ص٢٦٥ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٥ ص٤٤٦ والآحاد والمثاني ج١ ص٤٠٣ والمعجم الكبير للطبراني ج١٧ ص١٦١ والمستدرك للحاكم ج٣ ص٥٩٥ وعمدة القاري ج١٧ ص١٥٨ وتفسير مقاتل بن سليمان ج١ ص١٤٩ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٤٧ وتفسير الثعلبي ج٢ ص٢٨٥ وج٦ ص١٢٨ والأحكام لابن حزم ج٧ ص٩٨٣ والثقات لابن حبان ج٢ ص٦٧ وج٣ ص٣٠٤ والدرر لابن عبد البر ص٢٢٥ وإمتاع الأسماع ج٢ ص١٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج١ ص١٨١ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٦١٥.

(١) أسد الغابة ج٣ ص٣٥٨ وتهذيب التهذيب ج٧ ص٨٢ و ١٩١ والإصابة في تمييز الصحابة ج٢ ص٤٥١/ ٥٣٩١ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٥ ص٤٤٦ وشرح مسند أبي حنيفة ص٥٤٦ وتهذيب الكمال ج١٩ ص٢٨٢ و ٢٨٣ والأعلام للزركلي ج٤ ص١٩٩ و ٢٠٠ والإصابة ج٤ ص٣٥٦ وراجع: مكاتيب الرسول ج١ ص٣٠ وتحفة الأحوذي ج٣ ص٢٤٤ وعون المعبود ج٤ ص٣٤٥ والبداية والنهاية ج٧ ص٤١ والوافي بالوفيات ج١٩ ص٢٨٩ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٣ ص٩٨ والمعارف لابن قتيبة ص٢٨٣ والكاشف في =

وقد أبقاه أبو بكر على مكة إلى أن مات[1] مما يشير إلى مدى التوافق والإنسجام بين عتاب وبين السلطة القائمة آنئذ..

= معرفة من له رواية في كتب الستة للذهبي ج١ ص٦٩٥ والثقات لابن حبان ج٣ ص٣٠٤ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١١ ص١٢٣.

(١) الأعلام للزركلي ج٤ ص٢٠٠ والمعارف لابن قتيبة ص٢٨٣ والكاشف في معرفة من له رواية في كتب الستة للذهبي ج١ ص٦٩٥ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٦١٢ وج٣ ص٩٨ والوافي بالوفيات ج١٩ ص٢٨٩ والبداية والنهاية ج٧ ص٤١ وإمتاع الأسماع ج٢ ص١٠.

الفهارس:

١ ـ الفهرس الإجمالي

٢ ـ الفهرس التفصيلي

١ ــ الفهرس الإجمالي

الفصل الرابع: قتل مرحب.. .... ٥ ـ ٤٠

الفصل الخامس: قلع باب خيبر في الحديث والتاريخ.. .... ٤١ ـ ٧٦

الفصل السادس: فدك.. وحديث رد الشمس................ ٧٧ ـ ١٠٨

الباب السابع: إلى فتح مكة..

الفصل الأول: ذات السلاسل.. .... ١١١ ـ ١٤٢

الفصل الثاني: لمحات أخرى عن ذات السلاسل............ ١٤٣ ـ ١٦٦

الفصل الثالث: بنو خثعم وعلي عليه السلام.. .... ١٦٧ ـ ١٨٦

الفصل الرابع: قبل فتح مكة............................ ١٨٧ ـ ٢١٤

الباب الثامن: من فتح مكة.. إلى فتح الطائف..

الفصل الأول: نقض العهد.. ومقدمات الفتح.. .... ٢١٧ ـ ٢٥٢

الفصل الثاني: فتح مكة وتحطيم الأصنام.. .... ٢٥٣ ـ ٢٨٠

الفصل الثالث: الحجابة والسقاية.. .... ٢٨١ ـ ٣١٢

الفصل الرابع: تنفيذ أحكام وتولية حكام.. .... ٣١٣ ـ ٣٣٠

الفهارس: .... ٣٣١ ـ ٣٤٤

٢ ـ الفهرس التفصيلي

الفصل الرابع: قتل مرحب..

علوتم، والذي أنزل التوراة: ٧
قتل علي عليه السلام مرحباً والفرسان الثمانية: ٩
ضربات علي عليه السلام لا تصنع شيئاً: ١٦
قطع رأس مرحب:........................ ١٧
أحداث خيبر بصيغة أخرى: ١٩
من سمى علياً بحيدرة؟!: ٢٣
الصحيح في هذه القضية:........................ ٢٧
إشارات ودلالات: ٢٩
ألف: سر زعامة مرحب: ٢٩
ب: اكفني مرحباً: ٢٩
ج: الناس يريدون علياً عليه السلام: ٣٠
قاتل مرحب محمد بن مسلمة: ٣١
الإختصام في سلب مرحب:........................ ٣٨

الفصل الخامس: قلع باب خيبر في الحديث والتاريخ..

علي عليه السلام قالع باب خيبر: ٤٣
التشكيك غير المنطقي: ٤٩
خبر قلع الباب صحيح: ٥٠
اختلافات لا أثر لها: ٥٤
١ ـ أربعون أم سبعون: ٥٥
٢ ـ باب واحد أو بابان.. .... ٥٥
٣ ـ المناداة من السماء: ٥٦
لا سيف إلا ذو الفقار في المواطن الثلاثة: ٥٧
مضمون النداء دلالة ومعنى: ٥٩
اهتزاز حصن خيبر: ٦٠
ما قلعته بقوة جسمانية: ٦١
القموص ليس آخر ما فتح: ٦٣
تواتر حديث جهاد علي عليه السلام في خيبر: ٦٦
علي عليه السلام يفتح خيبر وحده: ٦٧
جراح علي عليه السلام في خيبر: ٧٢
اللمسات الأخيرة: ٧٣

الفصل السادس: فدك.. وحديث رد الشمس..

حدود فدك: ٧٩

حديث فدك: ٧٩
الراية لعلي عليه السلام في فدك: ٨٢
في خيبر؟! أو في فدك؟!: ٨٤
المزيد من التوضيح والبيان: ٨٥
فلان.. وآخر، وهاك يا علي: ٨٧
قطع الشك باليقين: ٨٨
فضيحة لا بد منها: ٨٨
ما جرى في وادي القرى: ٨٩
رد الشمس لعلي عليه السلام: ٩٠
رواة حديث رد الشمس: ٩٢
لماذا لم تنقل الأمم ذلك؟!: ٩٦
لم تحبس الشمس إلا ليوشع: ٩٩
الذين يرون المعجزة: ١٠٣
إختلال النظام الكوني: ١٠٤
لو ردت لعلي عليه السلام لردت للنبي صلى الله عليه وآله: ١٠٥
علي عليه السلام لا يترك الصلاة: ١٠٦

الباب السابع: إلى فتح مكة..

الفصل الأول: ذات السلاسل..

سرية ذات السلاسل: ١١٣
إختلافات لها حل: ١١٩
من اختلافات الروايات: ١١٩
تحرزوا، بدل: انهزموا: ١٢٩
كرار غير فرار، مرة أخرى: ١٢٩
على خلاف ما يتوقع: ١٣٠
النصر بالقائد، لا بالعسكر: ١٣١
الحسد القاتل: ١٣٢
استجابة الشيخين لتحريض ابن العاص: ١٣٢
منطق علي عليه السلام: ١٣٣
خطة علي عليه السلام: ١٣٤
هل أغار عليهم وهم غارّون؟!: ١٣٥
تبييت العدو ليس غدراً: ١٣٧
علي عليه السلام يقبل قدمي الرسول صلى الله عليه وآله: ١٣٩
رضى الله ورسوله عن علي عليه السلام: ١٤٠

الفصل الثاني: لمحات أخرى عن ذات السلاسل..

ذات السلاسل برواية القمي: ١٤٥

الرفق بالحيوان: ١٥٠
على نفسها جنت براقش: ١٥٠
لا نريد إلا محمداً وعلياً: ١٥١
أبو بكر أخو عمر، وعلي عليه السلام أخو النبي صلى الله عليه وآله: ١٥٢
القائد هو المعيار: ١٥٣
تطمينات علي عليه السلام لأصحابه: ١٥٥
علي عليه السلام أخو النبي ورسوله إليكم: ١٥٦
علي عليه السلام لا يحتكر النصر: ١٥٧
تخريب الديار: ١٥٨
سورة العاديات.. وأصول الحرب: ١٥٩

الفصل الثالث: بنو خثعم وعلي عليه السلام..

سرية علي عليه السلام إلى بني خثعم: ١٦٩
نزول سورة العاديات: ١٧٦
أين كان ابن عباس؟!: ١٧٦
جموع الأعداء: ١٧٧
بكاء النبي صلى الله عليه وآله لماذا؟!: ١٧٨
لا مبرر لإحجام المسلمين: ١٧٩
هل ضلوا عن الطريق؟!: ١٧٩
متى تنزل ملائكة النهار؟!: ١٨٠

لماذا لا يُقاتل علي عليه السلام إلا بعد الزوال؟!: ١٨٢

﴿إن الإنسان لربه لكنود﴾ في من نزلت؟!:١٨٥

الفصل الرابع: قبل فتح مكة..

العبرة من حنين الجذع: ١٨٩

رب لا تذرني فرداً، بعد مؤتة: ١٩٠

ابنة حمزة في عمرة القضاء: ١٩١

المشاجرة: ١٩٢

كتاب النبي صلى الله عليه وآله لخزاعة بخط علي عليه السلام: ١٩٩

علي عليه السلام وجلد المستحاضة: ٢٠١

كأنك في الرقة علينا منا: ٢٠٣

من صدقات علي عليه السلام: ٢٠٥

علي عليه السلام يقتل أصل الخوارج: ٢٠٦

الباب الثامن: من فتح مكة.. إلى فتح الطائف..

الفصل الأول: نقض العهد.. ومقدمات الفتح..

أبو سفيان في المدينة: ٢١٩

فشل محاولة أبي سفيان: ٢٢٦

على عهدنا، لا نغير ولا نبدل: ٢٢٦

لماذا رفضوا مساعدة أبي سفيان؟!: ٢٢٧

كلمي علياً: ٢٢٨

سيد كنانة! يطلب النصيحة!: ٢٢٨

ما يدري ابناي ما يجيران: ٢٣٠

علي عليه السلام يكشف رسالة ابن أبي بلتعة: ٢٣٠

علي الأمير: ٢٤٠

يقين علي عليه السلام وريب غيره: ٢٤٠

ألا يكفي إرسال علي عليه السلام وحده؟!: ٢٤٢

إن أبت فاضربوا عنقها: ٢٤٣

التهديد بالقتل: ٢٤٥

ردها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله: ٢٤٥

الذي جرأ علياً عليه السلام على الدماء: ٢٤٦

علي عليه السلام وأبو سفيان بن الحارث: ٢٤٩

الفصل الثاني: فتح مكة وتحطيم الأصنام..

اللواء في فتح مكة: ٢٥٥

الراية واللواء: ٢٥٧

الراية للزبير، أم لعلي عليه السلام ؟!: ٢٥٧

لماذا علي عليه السلام ؟!: ٢٥٨

إدخال الراية برفق: ٢٥٩

إعطاء الراية لقيس بن سعد: ٢٦٠

علي عليه السلام وأم هاني يوم الفتح: ٢٦١
مقارنة ذات مغزى: ٢٦٧
توضيحات نحتاجها: ٢٦٨
خوف الجبناء: ٢٦٩
علي عليه السلام يحطم الأصنام: ٢٧٠
كسر الأصنام في الشعر: ٢٧٣
لماذا علي عليه السلام ؟!: ٢٧٤
تحطيم الأصنام أكثر من مرة: ٢٧٥
ينوء بثقل النبوة: ٢٧٦
هل يخيّل لعلي عليه السلام ؟!: ٢٧٧
تعمل للحق، وأحمل للحق: ٢٧٨
علي عليه السلام يؤذن على ظهر الكعبة: ٢٧٨

الفصل الثالث: الحجابة والسقاية..

مفتاح الكعبة: ٢٨٣
أكرهت وآذيت: ٢٨٩
أعطيتكم ما ترزؤون: ٢٩٠
الأمر بأداء الأمانات: ٢٩١
تناقضات تحتاج إلى حل: ٢٩٢
مفاخرة شيبة والعباس وعلي عليه السلام: ٢٩٥

اختلاف الروايات: ٢٩٨
الآية.. والإمامة: ٣٠١
بين السقاية والعمارة، وبين الإيمان: ٣٠٢
حديث النعمان بن بشير: ٣٠٤
متى نزلت الآية؟!: ٣٠٩
حمزة وعمارة المسجد: ٣٠٩

الفصل الرابع: تنفيذ أحكام وتولية حكام..

علي عليه السلام يلاحق الحويرث: ٣١٥
أخطاء تحتاج إلى تصحيح: ٣١٧
إستدراج الحويرث: ٣١٨
قتل علي عليه السلام ابن الطلاطل الخزاعي: ٣١٩
قريبة مولاة ابن خطل: ٣٢٠
علي عليه السلام في رسالة النبي صلى الله عليه وآله للمكيين: ٣٢٠
آثار الكلفة والصنعة: ٣٢٢
عتاب لم يكن أفضل المكيين: ٣٢٣
ولاء عتاب لعلي عليه السلام: ٣٢٤
فقه عتاب وفضله: ٣٢٤
عتاب يتحدث عن المنافقين: ٣٢٤
عتاب سماء ظليلة: ٣٢٥

إجراء مضحك:.. ٣٢٥
سرقة كلمات علي عليه السلام:.. ٣٢٦
ففعل ـ والله ـ كما قال:.. ٣٢٦
كلمتنا الأخيرة عن عتاب: ٣٢٧

الفهارس:

١ ـ الفهرس الإجمالي ٣٣٣
٢ ـ الفهرس التفصيلي ٣٣٥